



الجامعة الإسلامية - غزة  
شؤون البحث العلمي والدراسات العليا  
كلية الآداب  
قسم اللغة العربية

## الغربة والحنين في شعر أحمد شوقي (دراسة وصفية وتحليلية)

Foreignness and Nostalgia at the Poetry of Ahmed Shawki  
(A Descriptive and Analytic Study)

إعداد الطالب

نضال عليان عويض العماوي

إشراف الدكتور

د. ماجد محمد النعامي

أستاذ الأدب والنقد المشارك في الجامعة الإسلامية - غزة

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد من  
كلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة

١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، باعث النبيين مبشرين ومنذرين ، وأصلي على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ( صلى الله عليه وسلم ) وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد ،،،

ظاهرة الغربة والحنين قديمة قدم الإنسانية ، والشعر العربي مليء بتلك الشواهد منذ بداياته ، فلقد كان الشعراء الأوائل يقفون على الأطلال وما وقوفهم هذا إلا شعور بالغربة عن الديار والأحباب ، وحنين لمن أحبهم وأخلصوا لهم ، وسار على هذا النمط كل من عانى تجربة الغربة والحنين من الشعراء العرب على مر العصور الأدبية منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث؛ لكن بواعث الغربة تنوعت بينهم ، فكانت بواعث الغربة إما سياسية أو اجتماعية أو نفسية أو ثقافية ، وقد تشترك بعض البواعث عند أحد الشعراء ، والحنين ناتج عن إحدى هذه البواعث . أما عند شوقي فقد اشتركت مجموعة من العوامل في إبراز ظاهرة الغربة والحنين في شعره ، منها : العامل السياسي ، والاجتماعي ، والنفسي ، والثقافي .

إنَّ الواقع الذي عاشه شوقي كان له الدور الأبرز في تكوين تلك الظواهر في شعره ، فالفترة الزمنية من حياة شوقي مرت فيها تغيرات جذرية على المستوى العالمي عامة ، وفي الوطن العربي خاصة ، لاسيما مصر قلب الأمة النابض ، ومن تلك الأهوال : نفي شوقي عن وطنه ، واندلاع الحرب العالمية الأولى، وسقوط الخلافة الإسلامية على يد مصطفى أتاتورك ، وتعرض الوطن العربي للاحتلال الغربي، والواقع الاجتماعي في مصر ، ناهيك عن أحاسيسه الشخصية والنفسية وفاعليته في بث الحياة الأدبية من جديد من خلال دوره البارز في مدرسة الإحياء والبعث .

ومن خلال اطلاع الباحث ودراسته لديوان شوقي ، وجد بروز ظاهرة الغربة والحنين لدى الشاعر ، مما دفع الباحث وحفره إلى دراسة هذه الظاهرة عنده ، خاصة وأنها لم تدرس من قبل ، وقد بدأت البحث بمقدمة وتمهيد ، وأشرت في المقدمة إلى أهمية البحث ، وسبب اختيار موضوع البحث ، ثم ذكرت الصعوبات التي واجهتني أثناء كتابتي هذا البحث ، ثم ذكرت الدراسات السابقة ومنهج البحث ، وفي التمهيد تناولت حياة شوقي منذ ولادته حتى وفاته ، ثم قسمت البحث إلى ثلاثة فصول : فتحدثت في الفصل الأول عن الغربة في شعر أحمد شوقي ، وفي الفصل الثاني تحدثت عن الحنين في شعر أحمد شوقي ، أما الفصل الثالث فتناولت الدراسة الفنية لغرض الغربة والحنين في شعر شوقي ثم الخاتمة مشتملة على أهم نتائج البحث ، وذكرت مصادر البحث ومراجعته ، واختتمت الدراسة بمجموعة من الفهارس .

وقد اعتمدت في دراستي هذه على ديوان أحمد شوقي ( الشوقيات ) تدقيق : محمد فوزي حمزة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٢ م ، وذلك لأنها شملت جميع أشعار شوقي، مضافة إليها الأشعار المجهولة التي أثبتتها محمد صبري في كتابه (الشوقيات المجهولة). فأرجو أن يجد هذا البحث عند اللجنة الموقرة صدراً رحباً، يقيم عوجه، ويرأب صدعه، وأحسب أن ذوي العلم والقدم الراسخة في هذا المجال سيَلْتَمِسُونَ لِي الأعدارَ مَا يُتَجَاوَزُ بِهِ عَنِ الهَيَّاتِ التي وَقَعَتْ دُونَ قَصْدِ مَنِّي في هذا العَمَلِ، وسأكون سعيداً بالغ السعادة بما سيُبدونه من ملاحظاتٍ واستدراكاتٍ ، ستَكُونُ مَحَلَّ تَقْدِيرِي واعتزازي أولاً ، ثمَّ عِنَايَتِي واهتمامي ثانياً ، لِيُخْرِجَ هذا البَحْثُ في حُلَّتِهِ القَشِيْبِيَّةِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

وعند الانتهاء من كتابة هذا العمل تختلط عند الإنسان مجموعة من الأفكار ، تراوده باستمرار حول المراجعة والتدقيق الجيد ، ولعل القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني يجمل ذلك التفكير في قوله : "إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ فِي غَدِهِ ، لو غَيْرَ هذا لَكَانَ أَحْسَنُ ، ولو زِيدَ كَذَا لَكَانَ يُسْتَحْسَنُ ، ولو قُدِّمَ هذا لَكَانَ أَفْضَلَ ، ولو تُرِكَ هذا لَكَانَ أَجْمَلَ ، وهذا مِنْ أَعْظَمِ العِبَرِ ، وهو دَلِيلٌ عَلَى استيلاء النَّفْسِ عَلَى جُمْلَةِ البَشَرِ " (١).

فأسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه ، وأن يعيننا على خِدْمَةِ لغة قرآنه ، وأن يهبئ لنا من أمرنا رَشَدًا ، فمنه أَسْتَمِدُّ الصَّوَابَ ، والتوفيقَ إِلَى ما يُحْظِيْنِي لديه بجزيل الثواب ، وإياهُ أسأَلُ أن يعصِمَ القَلَمَ مِنَ الخَطَا والخَطَلِ ، وأن يقيَ الفهْمَ مِنَ الزيغِ والزَلَلِ ، إنه أكرمُ مسؤولٍ ، وأعظمُ مأمولٍ .

### سبب اختيار البحث :

لقد دفع الباحث إلى اختيار موضوع بحثه بروز هذه الظاهرة عند الشاعر أحمد شوقي بشكل لافت للنظر ، ومعالجة الشاعر لها معالجة موضوعية تستوجب الدراسة والتحليل .

### أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في الغوص داخل شعر أحد عمالقة الشعر العربي الحديث ، فهو يبرز عاطفة إنسانية متجذرة في النفس البشرية منذ نشأة الإنسان ، وتقوم هذه الدراسة على إظهار ظاهرتي الغربة والحنين عند الشاعر أحمد شوقي ، وتجليات تلك الظاهرة في شعره من حيث الأسلوب واللغة والصورة الشعرية والموسيقا .

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين : محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م ، ص ٣ .

## الدراسات السابقة :

- قسمت الدراسات السابقة إلى قسمين : قسم متعلق بالشاعر أحمد شوقي وشعره ، وقسم متعلق بغرض الغربة والحنين .
- أولاً : الدراسات التي تناولت أحمد شوقي ومنها :
- شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف .
  - شعر شوقي الغنائي والمسرحي : طه وادي .
  - أحمد شوقي حياته وشعره : المكتبة الحديثة ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
  - البديع في شعر شوقي : منير سلطان .
  - ذكرى الشعارين ( شاعر النيل وأمير الشعراء ) : أحمد عبيد .
  - إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية : سعاد عبد الوهاب عبد الكريم .
  - خصائص الأسلوب في الشوقيات : محمد الهادي الطرابلسي .
  - وطنية شوقي : أحمد الحوفي .
  - شوقي وشعره الإسلامي : ماهر حسن فهمي .
  - حافظ وشوقي : طه حسين .
  - المتنبي وشوقي : عباس حسن .
  - الشوقيات المجهولة : محمد صبري .
  - أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : فوزي العطوي .

## ثانياً : الدراسات التي تناولت الحنين فأذكر بعضها :

- رسالة للجاحظ بعنوان الحنين إلى الأوطان .
- الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث للدكتور ماهر فهمي .
- الحنين والغربة في الشعر العربي للدكتور يحيى الجبوري .
- الغربة والحنين في الشعر الأندلسي للدكتورة فاطمة صحصح .
- الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة للدكتور أمين العمصي .
- تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة : رسالة ماجستير للباحثة فتيحة دخموش .
- الحنين والغربة في الشعر الأندلسي ( عصر سيادة غرناطة ) . رسالة ماجستير من إعداد الباحثة مها روجي الخليلي .
- الحنين في الشعر الزنكي والأيوبي رسالة ماجستير من إعداد الباحثة مي إبراهيم عمرو .

## منهج دراسة البحث :

اقتضت طبيعة هذا البحث ، أن أسلك فيه سبيلَ المنهج الوصفي التحليلي الإحصائي في دراسة الموضوعات المُشكّلة لموضوعه ، وذلك لمناسبة هذا المنهج لمثل هذه البحوث ، فالوصف والتحليل منهج علماء العربية الأوائل في تناول مسائل اللغة ، وإننا نعلم أن التحليل يُعمّق فهمنا لهذه اللغة ، وذلك من خلال الدراسة المتفحّصة لمسائل اللغة وربط جزئياتها بعضها ببعض ، للوصول إلى النتائج المقنعة ، وأرجو من الله أن أكون قد وفّقت في ذلك .

## الصعوبات التي واجهت الباحث :

لقد واجهتُ بعض الصعوبات في البحث ، أذكرُ منها:

١. تداخل أبيات الغربة والحنين عند أمير الشعراء أحمد شوقي .
٢. صعوبة الحصول على بعض المصادر الحديثة الخاصة بالدراسة ، بسبب الحصار الغاشم على قطاعنا الحبيب .
٣. تقادم انقطاع التيار الكهربائي ، جراء الحصار الجائر على قطاعنا الحبيب .

## خطة البحث

المقدمة : وتشمل سبب اختيار البحث وأهميته والدراسات السابقة .

التمهيد : إضاءات في حياة الشاعر أحمد شوقي وسيرته .

أولاً : المولد والنشأة .

ثانياً : حياته التعليمية .

ثالثاً : حياته السياسية .

رابعاً : مكانته الأدبية .

خامساً : شوقي في ميزان النقد .

سادساً : وفاته .

## الفصل الأول : الغربة في شعر أحمد شوقي

المبحث الأول : الغربة لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: بواعث الغربة .

المبحث الثالث: أنواع الغربة :

أ- داخلية ( الاغتراب )

ب-خارجية

## الفصل الثاني : الحنين في شعر أحمد شوقي

المبحث الأول : الحنين لغة واصطلاحاً :

المبحث الثاني : الحنين في شعره :

- الحنين إلى الوطن .
- الحنين إلى الأهل والأصدقاء .
- الحنين إلى الذكريات الماضية .
- الحنين الديني .
- الحنين إلى المكان .
- الحنين إلى المحبوب .

## الفصل الثالث : الدراسة الفنية

المبحث الأول : الأسلوب :

المبحث الثاني : الصورة الشعرية :

المبحث الثالث : الموسيقى :

- المطلب الأول : الموسيقى الخارجية .
- المطلب الثاني : الموسيقى الداخلية .

خاتمة وأهم النتائج .

قائمة المصادر والمراجع .

فهارس الدراسة .

## **التمهيد**

**أولاً : المولد والنشأة .**

**ثانياً : حياته التعليمية .**

**ثالثاً : حياته السياسية .**

**رابعاً : مكانته الأدبية .**

**خامساً : شوقي في ميزان النقد .**

**سادساً : وفاته .**

## التمهيد

### أولاً : المولد والنشأة :

هو أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، أشهر شعراء العصر الأخير ، يلقب بأمير الشعراء<sup>(١)</sup>، ولد في القاهرة بحي الحنفي ، وقد اختلف المؤرخون في سنة ميلاده اختلافاً كبيراً ، فمنهم من ذكر عام ١٨٦٩م<sup>(٢)</sup> ، واعتبر بعضهم عام ١٨٧٠م هو العام الصواب معتمدين على ما وثق في شهادات شوقي العلمية ، ولا سيما ما جاء في شهادة الليسانس التي نالها في باريس في الحقوق<sup>(٣)</sup> ، وذهب آخرون إلى اعتبار عام ١٨٦٨م تاريخاً لعام ميلاد شوقي<sup>(٤)</sup> ؛ لكننا نجد أن جميعهم منفقون على يوم ميلاده وهو السادس عشر من أكتوبر ، ويرى الباحث أن سبب الاختلاف هذا يتعلق في سفر شوقي إلى فرنسا ، حيث حدد سن الثامنة عشرة للاتحاق بالبعثة إلى فرنسا ، وسافر شوقي إلى فرنسا عام ١٨٨٧م ؛ فأوعز الخديوي توفيق لتغيير سنة ميلاده ليتسنى له الالتحاق بالبعثة ، ويذكر الدكتور محمد صبري أن عام ١٨٦٨م هو التاريخ الصحيح لميلاد شوقي مستنداً في ذلك إلى مذكرة عن سكرتير شوقي الخاص أحمد عبد الوهاب<sup>(٥)</sup> . وعليه يكون شوقي قد ولد في السادس عشر من أكتوبر لعام ١٨٦٨م<sup>(٦)</sup> .

ينحدر أحمد شوقي من أسرة تآزرت فيها مجموعة من الأصول ، " فقد جاءت به من عنصر تركي وآخر شركسي ، وعنصر يوناني وآخر عربي كردي"<sup>(٧)</sup> ، ويذكر لنا شوقي في مقدمة ديوانه أصوله فيقول : " سمعت أبي ( رحمه الله ) يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب ، ويقول إن والده قدم هذه الديار يافعاً يحمل وصاة من أحمد باشا الجزار إلى والي مصر محمد علي باشا"<sup>(٨)</sup> ، ويذكر شوقي في المقدمة تاريخاً مختصراً لجده حيث تقلد عدة مناصب ، فيقول : " وكان جدي وأنا حامل اسمه ولقبه يحسن كتابة العربية والتركية خطأً وإنشاءً ، فأدخله الوالي في معيته ، ثم تداولت الأيام وتعاقب الولاة الفخام وهو يتقلد المراتب العالية ويتقلب في المناصب

(١) الأعلام : خير الدين بن محمود بن فارس الزركلي دمشقي(ت١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ،

ط٥ ، ٢٠٠٢م ، ج١ ، ص١٣٦ .

(٢) شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٧ ، ص٩ .

(٣) شعر شوقي الغنائي والمسرحي : طه وادي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٥م ، ص٧ .

(٤) الأعلام : خير الدين الزركلي ، ج١ ، ص١٣٦ .

(٥) الشوقيات المجهولة : محمد صبري ، دار المسيرة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩م ، ج١ ، ص٥ .

(٦) يقول شوقي في مقدمة الديوان ص ١٢ : " أما ولادتي فكانت بمصر القاهرة ، وأنا اليوم أحبو الثلاثين "

وكان مولده سنة ١٨٦٨م وكانت الطبعة الأولى من الديوان سنة ١٨٩٨م .

(٧) شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص٩ .

(٨) مقدمة الشوقيات ، ديوان أحمد شوقي : تدقيق محمد فوزي حمزة ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ٢٠١٢م ،



السامية إلى أن أقامه سعيد باشا أميناً للجمارك المصرية<sup>(١)</sup> ، أما جده لوالدته فأصوله تركية واسمه أحمد بك حليم ويعرف بالنجدهلي ، أما جدته لوالدته فكانت من أصل يوناني أتى بها كأسيرة حرب ، وها هو شوقي بين ذلك فيقول : "أما جدي لوالدتي فاسمه أحمد بك حليم ، ويعرف بالنجدهلي نسبة إلى ( نجدة ) إحدى قرى الأناضول ، وفد على هذه البلاد فتياً كذلك ، فاستخدمه والي مصر إبراهيم باشا من أول يوم ، ثم زوجه من معتوقته جدتي التي أرثيها في هذا المجموعة وأصلها من مورة ، جلبت منها أسيرة حرب لا شراء"<sup>(٢)</sup>.

يفتخر شوقي بأصوله في قوله : " أنا إذن عربي تركي يوناني جركسي بجدتي لأبي ، أصول أربعة في فرع مجتمعة ، تكفله لها مصر ، كما كفلت أبويه من قبل<sup>(٣)</sup> " ولا ينسى شوقي الحب الكبير الذي يكنه لمصر ، هذا البلد التي تكلم عنه شوقي كثيراً في أشعاره ، فيمتدح هذا الوطن الغالي على قلبه فيقول : " وما زال لمصر الكنف المأمول ، والنائل الجزل ، على أنها بلادتي ، وهي منشئي ومهادي ، ومقبرة أجدادي ، ولد لي بها أبوان ، ولي في تراها أب وجدان ، وبيعض هذا تحبب إلى الرجال الأوطان<sup>(٤)</sup> " .

دافع شوقي عن أجداده وأصوله وأنهم كانوا يعيشون عيشة كريمة في ظل الخديوي إسماعيل حيث يقول : " فما زالوا مغمورين بنعمة هذا البيت الكريم حتى توفي جدي وهو وكيل لخاصة الخديوي إسماعيل باشا ، فأمر بنقل مرتبه إلى أرملته وأن يحسب ذلك معاشاً لا إحساناً ، وكان الخديوي المشار إليه يقول عنهما : لم أر أعف منه ولا أقنع من زوجته ، ولو لم يسمه أبي حليماً لحلمه لسميته عفيفاً لعفته"<sup>(٥)</sup> .

نشأ شوقي منذ نعومة أظافره في كنف القصر ، كانت جدته لوالدته تحبه حباً جماً ، وتحنو عليه وتهتم به ، وصلتها بالقصر الحاكم قديمة منذ أيام إبراهيم باشا ، فتكفلت بتربيته في قصر الخديوي إسماعيل ، ويذكر لنا شوقي قصته وهو ابن ثلاث سنوات مع الخديوي إسماعيل عندما يتحدث عن جدته لأمه ، فيقول : " حدثتني أنها دخلت بي على الخديوي إسماعيل وأنا في الثالثة من عمري ، وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه ، فطلب الخديوي بكرة من الذهب ، ثم نثرها على البساط عند قدميه ، فوقعت على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به ، فقال لجدتي : اصنعي معه مثل هذا فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض ، قالت : هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي ، قال : جيئي به إلي متى شئت ؛ إنني آخر من ينثر الذهب

(١) مقدمة الشوقيات ، ديوان أحمد شوقي : تدقيق محمد فوزي حمزة ، ص ١١ .

(٢) السابق ، ص ١١ .

(٣) السابق ، ص ١٢ .

(٤) السابق ، ص ١٢ .

(٥) السابق ، ص ١١ .

في مصر<sup>(١)</sup>. هذه النشأة هيأت لشوقي أموراً لم تتوفر لغيره ، حتى أنه اعتاد على حياة القصر وهذا ما نلاحظه في كثرة مديحه لأصحاب السلطان في مصر آنذاك ، حيث إنه أكثر من مدحهم في غير موضع .

---

(١) مقدمة الشوقيات ، ديوان أحمد شوقي : تدقيق محمد فوزي حمزة ، ص ١١ .

## ثانياً : حياته التعليمية :

تلقى تعليمه منذ نعومة أظافره وهو في الرابعة من عمره ، حيث دخل مدرسة الشيخ صالح ثم انتقل إلى المبتديان فالتجهيزية ( الخديوية اليوم ) ، فكان التلميذ الثاني في هذه المدرسة ؛ فمنح المجانية مكافأة له ، وتخرج فيها وعمره خمس عشرة سنة<sup>(١)</sup> .

عرف عن شوقي تفوقه ونبوغه منذ أن كان في المراحل التعليمية الأولى ، فظهرت موهبته الشعرية أيام صباه ، وقال قصيدة ارتجلها ارتجالاً في المدرسة صاغ فيها بعض المعارف الجولوجية والجغرافية منها : ( الرجز )

إفريقيًا قِسْمٌ مِنَ الْوُجُودِ فِي شَكْلِهِ أَشْبَهُ بِالْعُنُقُودِ<sup>(٢)</sup>

تعتبر هذه القصيدة من بواكير شوقي الشعرية التي قالها في سن مبكرة أظهر من خلالها نواة لشاعر كبير يلوح في الأفق ، اتجه شوقي بعد ذلك إلى دراسة القوانين والشرائع بناء على رغبة والده في مدرسة الحقوق ، فدرس فيها سنتين ثم التحق بقسم الترجمة الذي أنشئ أثناء دراسته ، ومكث فيها سنتين إلى أن أكمل تعليمه وحصل على الشهادة النهائية . يصفه أحمد زكي باشا<sup>(٣)</sup> حين دخل هذه المدرسة ، فقال : " كان في جملة الوافدين سنة ١٨٨٥م فتى نحيف ، هزيل ، ضئيل ، قصير القامة ، وسيم الطلعة ( تقريباً ) ، فتى بعيون متألقة ( تحديقاً ) ؛ ولكنها منتقلة ( كثيراً ) فإذا نظر إلى الأرض دقيقة واحدة فللسماء منه دقائق متمادية ، وإذا تلفت صوب اليمين فما ذاك إلا لكي يرمي ببصره نحو الشمال ، وهو مع هذه الحركات المتتابعة المتنافرة هادئ ، ساكن ، وادع ، كأنما يتحدث بنفسه عن نفسه ، أو يتلأغى مع عالم من الأرواح . ما كان يلبسنا فيما نأخذ فيه من اللهو والمزاح ، ولا يتهافت معنا على تلقف الكرة بعد الفراغ من تناول الغذاء ، أو حينما نتنفس الصعداء لانتهاؤ مواقيت الدراسة<sup>(٤)</sup> " .

هذا الوصف الذي ذكره أحمد زكي يعبر تعبيراً دقيقاً عن تحركات شاعر تحركه ربة الشعر لكي تملأ هذا الشعور ليخرج أجمل الأشعار وأرقها ، فشوقي قد شغله الشعر وتفكيره فيه

(١) الشوقيات : ص ١٣ / شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص ١١ / أحمد شوقي حياته وشعره :

كمال أبو مصلح ، المكتبة الحديثة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ص ١٢ .

(٢) الشوقيات : ص ٢٥٩ / شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص ١١ .

(٣) هو أحمد زكي بن إبراهيم بن عبد الله ، شيخ العربية : أديب باحثة مصري ، من كبار الكتاب .

ولد بالإسكندرية عام ١٨٦٧ م وتخرج بمدرسة الإدارة والحقوق بالقاهرة ، وأتقن الفرنسية ، وكان يفهم الإنكليزية والإيطالية وله بعض المعرفة باللاتينية . عين مترجماً لمجلس النظار ، فسكربتيراً ثانياً ، فسكربتيراً أول . ومنح لقب ( باشا ) واتصل بعلماء المشرقيات ، ومثل مصر في مؤتمراتهم . وقام بفكرة إحياء الكتب العربية . توفي عام ١٩٣٤م . انظر الأعلام : ١ / ١٢٦ .

(٤) ذكرى الشعراء ( شاعر النيل وأمير الشعراء ) : أحمد عبيد ، المكتبة العربية ، دمشق ، ط ١ ، ص ٣٢٦ .

عن زملائه في المدرسة ؛ فانعزل عن أقرانه وانهمك في خياله الشعري حتى لفت انتباه أستاذه في اللغة العربية الشيخ محمد البسيوني البيباني<sup>(١)</sup> وكان شاعراً فصيحاً ، والذي راح ينمي فيه موهبته الشعرية ، حيث كان يجلس منه مجلس التلميذ من أستاذه ؛ فكان يعرض على شوقي القصائد التي ينظمها في مدح الخديوي توفيق كلما حل موسم أو أهل عيد قبل إرسالها إلى قصر الخديوي.

لقد أسهمت مجموعة من الظروف في رسم شخصية شوقي التي ارتبطت بالقصر ، سواء عائلته ذات العلاقة الوطيدة مع قصر الخديوي ، وأستاذه الشيخ محمد البسيوني البيباني الذي غرس فيه التعلق بالقصر من خلال مدح عناصره التي أثرت على شعره فيما بعد ، حيث سار شوقي على خطى أستاذه البسيوني في نظم القصائد في مدح الخديوي توفيق ومن جاء بعده لا سيما الخديوي عباس حلمي .

ختم شوقي حياته التعليمية في مصر ، وكانت حياة أوروبية في جملتها ؛ لأن تعليمه ارتبط بالعلوم الغربية وبالأخص الفرنسية مما أدى إلى تأثره بالنماذج الغربية في شعره ، أتاحت البيئة التي عاشها شوقي توسيع ثقافته من خلال دراسته للعربية والفرنسية وبيئة بيته المنحدرة من الأصل التركي ، وجعلته يحذق هذه اللغات الثلاث .

" بعدما تخرج شوقي عين في القصر موظفاً كبيراً في رئاسة القلم الإفرنجي ، وشاعراً للخديوي توفيق ، ولم يكن عضواً هامشياً فضولياً في موكب الحاشية ، فما هي إلا سنة على توليه الوظيفة في القصر ، حتى وجد الخديوي توفيق أن الفتى ، ابن العشرين ، لا يجوز له أن يلتحق بقصره قبل أن يستكمل أسباب الثقافة القانونية ، بالإضافة إلى شهادة الترجمة التي يحملها؛ وهكذا بعث به إلى فرنسا للالتحاق بكلية الحقوق ، والاطلاع على ألوان الثقافة الأوروبية<sup>(٢)</sup> " .

سافر شوقي على نفقة الخديوي ، وكتب إلى مدير البعثة المصرية في فرنسا ليهتم به ، لما وصل إلى مرسيليا رآه في استقباله ، وأخبره أن الخديوي كتب إليه أن يقضي في مونبلييه عامين ، وفي باريس عامين آخرين ، والتحق شوقي بمدرسة الحقوق في مونبلييه. بعد قضاء

---

(١) محمد علي البسيوني البيباني: من فضلاء المالكية بمصر. تعلم بالأزهر، ودرّس فيه ثم بمدرسة الإدارة (الحقوق) بالقاهرة. وعين مفتياً للمعية السننية أيام الخديوي توفيق، وله نظم في مدحه . من تلاميذه أحمد شوقي الشاعر وأحمد زكي (باشا) من كتبه (حسن الصنيع في علوم المعاني والبيان والبديع ) و (خاتمة حسنة على شرح كفاية الطالب الرباني على رسالة أبي زيد القيرواني ) نسبته إلى (بسيون) قرية كبيرة من غربية مصر . توفي عام ١٨٩٢ م . انظر الأعلام : ٣٠٠/٦ .

(٢) بتصرف : انظر : أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : فوزي العطوي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩ م ، ص١٥-١٦ .

شوقي السنة الأولى في مونبلييه اشتاق إلى وطنه وأهله ؛ لكن الخديوي رفض عودته حتى لا تؤثر عليه العودة إلى مصر بالسلب ، فتنقل في أرجاء فرنسا مستكشفاً هذا العالم الغربي ، انتقل في عدة أماكن وقضى السنة الثانية على هذا الحال ، وما أن أتت العطلة استغل فرصة أتاحت له السفر إلى لندن ، فمكث فيها شهراً زار خلالها أغلب معالم لندن ، فخرج إلى بعض المدائن على بحر الشمال حيث راحة خاطر وقرّة الناظر ، ثم عاد إلى باريس ليكمل دراسته فيها إلا أن المرض داهمه فيها ؛ فأصيب بمرض شديد كان فيه بين الحياة والموت ، وعندما منّ الله عليه بالشفاء أشار عليه الأطباء أن يقضي أياماً في سماء أفريقيا ، فاختر الجزائر ومكث فيها أربعين يوماً ثم عاد إلى باريس مستكماً دراسته فأنهاى دراسته مع تمام السنة الثالثة ، وحصل على الشهادة النهائية في الحقوق ، ومكث في باريس ستة أشهر يتعرف على آدابها وعلومها ، عاد بعدها إلى وطنه يشده الشوق والحنين إلى مسقط رأسه بعد طول غياب<sup>(١)</sup>.

أتاحت له الأيام التي عاشها متنقلاً بين أكثر من بلد كثيراً من المعارف والعلوم المختلفة ؛ فأتسعت مداركه وأصبح على دراية وإطلاع ، ساهمت في صقل شخصيته والتي أثرت بعد ذلك على شعره ، هذه الأيام حررت شوقي من حياة القصر ، الذي ما لبث أن عاد إليه من جديد؛ ليعيش كما يعيش الموظفون ، حياة فيها من الرتبة أكثر مما فيها من التجديد ، خصوصاً وأن وظيفته كانت تحتم عليه - عن قناعة أو عن مجاملة - أن يرفع المدائح في المناسبات الدينية والوطنية إلى الخديوي ، وأن ينظم القصائد في تأييد العرش ، والإشادة بآل إسماعيل . ذلك كان دأبه ، وقد بقي كذلك رديحاً من الزمن<sup>(٢)</sup>، ولسان حاله يقول : ( الكامل )

المُؤكِّفُ فـيـكـمَّ آلَ إِسـمـاعـيـلَ      لا زالَ بـيـتـكـمُ يُظـلُّ النـيـلَ  
هـذـي أصـولـكـمُ وتـلـكـ فـرـوعـكـم      جـاءَ الصـمـيـمُ من الصـمـيـمِ بـديـلًا<sup>(٣)</sup>

(١) بتصرف : انظر : شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص ١٤ .

(٢) بتصرف : انظر : أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : فوزي العطوي ، ص ١٧ .

(٣) الشوقيات : ص ٤٩٣ .

### ثالثاً : حياته السياسية :

بعد عودة شوقي من رحلته التعليمية وحصوله على شهادة الحقوق من باريس ، أخذ شوقي يتقرب من سدة الحكم لا سيما بعد موت الخديوي توفيق وتولية الخديوي عباس الثاني ؛ فانشأ قصيدة يرثي فيها الخديوي توفيق ، وبهتئى الخديوي الجديد عباس الثاني بتولية الحكم ؛ فيقول : ( الخفيف )

بَيْنَ مَاضِيِ الْأَسَى وَآتِيِ الْهَتَاءِ      قَامَ عُدْرُ النَّعَاةِ وَالْبُشْرَاءِ  
نَبَأٌ مُعْزِرٌ نَفَى بَعْضُهُ بَعْدَ      ضَاً فَكَانَ السَّفِيَةَ فِي الْأَنْبَاءِ<sup>(١)</sup>

ويقول في تهنتته للخديوي عباس الثاني في القصيدة ذاتها : ( الخفيف )

وَاحْمِلِ السِّيفَ وَالْبَسِ التَّاجَ وَازِقَ الْـ      عَرَّشَ وَأَنْهَضْ بِالدَوْلَةِ الْعِلْيَاءِ  
وَرِذِّ الْمَلِكِ مِنْ شَبَابِكَ حُسْنًا      وَأَنْزِ عَصْرَهُ بِذَلِكَ الذِّكَاةِ<sup>(٢)</sup>

لم تكن علاقة شوقي مع الخديوي عباس طيبة في بادئ الأمر ، فنجده قد جفاه ولم يهتم به ؛ لأنه يبحث عن رجل سياسي يسانده في معارضته للإنجليز ، فالخديوي يرى في شوقي شاعراً لا غير ، وسبب ذلك هي وشاية البعض ضد شوقي ؛ لكن تدخل بعضهم من أمثال بطرس غالي وبشارة تقلا<sup>(٣)</sup> ومصطفى كامل غير نظرة الخديوي في شوقي ، فقربه الخديوي وأعلى منزله ، وجعله شاعر القصر ، وولاه رئاسة القسم الإفرنجي ، وما فتئ شوقي يتسلم المناصب العالية حتى أصبح من العناصر المعهودة التي يعتمد عليها الخديوي . ففي عام ١٨٩٦ م<sup>(٤)</sup> انتدبته الحكومة المصرية للمشاركة في مؤتمر المشتشرقين الذي عقد في مدينة جنيف بسويسرا ، وهناك ألقى قصيدته الرائعة التي تحدث فيها عن تاريخ مصر منذ القدم ، تناول فيها وصفاً لرحلته إلى جنيف عبر البحر ، وبدأ بذكر أمجاد الفراعنة مروراً بالفتوحات الإسلامية

(١) الشوقيات : ص ٨٥ .

(٢) السابق : ص ٨٧ .

(٣) بطرس ( باشا ) بن غالي نيروز : ولد في مصر عام ١٨٤٦ وتوفي عام ١٩١٠ م ، وقد شغل منصب وزير . الأعلام ٥٩/٢ . بشارة بن خليل تقلا : ولد في لبنان عام ١٨٥٢ م وتوفي عام ١٩٠١ م ، أحد مؤسسي جريدة الأهرام . الأعلام ٥٢/٢ .

(٤) انظر : شوقي شاعر العصر الحديث ، ص ٢٦ . أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ ، ص ١٧ . أحمد شوقي حياته وشعره ، ٣٠ . مقدمة الشوقيات ص ١٦ . الأعلام ١٣٦/١ . تروي بعض الكتب أن زيارته لجنيف كانت عام ١٨٩٤ م ، وذلك بخلاف ما هو موجود في مقدمة الشاعر لديوانه وكتاب الأعلام للزركلي .

والاستعمار المتلاحق لمصر وصولاً إلى محمد علي الكبير ، اعتبرها البعض ملحمة تاريخية لما تضمنته بداخلها من أحداث ، حيث قاربت على مئتين وتسعين بيتاً ، ومطلعها : ( الخفيف )  
هَمَّتِ الْفُلُكُ وَاحْتَوَاهَا الْمَاءُ      وَحَدَاها بِمَنْ نُقِلُ الرَّجَاءُ  
ضَرَبَ الْبَحْرُ ذُو الْعُبَابِ حَوَالِيَّ      هَا سَمَاءٌ قَدْ أَكْبَرَتْهَا السَّمَاءُ<sup>(١)</sup>

لازم شوقي الخديوي منذ سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩١٤ م ، عاش خلالها في كنف الخديوي عباس حبيس المدائح يتغنى به وبأعماله ومناسباته ، " هذه الحقبة من حياته كان يعيش بعيداً عن الشعب ، فهو في القصر أو في برجه العاجي ، لا يفكر إلا فيما يفكر عباس فيه ، وكان في عباس طموح واندفاع ، فصارع الإنجليز وغازبهم ، ووقف شوقي في صفه يغضب عليهم مع غضبه ، ويرضى مع رضاه<sup>(٢)</sup> " اعتبر بعض النقاد أن هذه الفترة كانت مقبرة لربة الشعر لدى شوقي ، واعتبروا مدائحه للخديوي عباس وما يتعلق به من مناسبات وأعمال ، ضربة لفنون الشعر عند شوقي .

اقتراب شوقي من سلطة الحكم جعله يتبنى أفكار الحاكم ، ويسير وفق سياسة القصر ، حيث عرف عن الخديوي عباس الثاني ارتباطه بالدولة العثمانية وولائه لها ، وكرهه الشديد للإنجليز ، ورفضه لأشكال الذل والهوان الذي مارسه الإنجليز على المصريين ، فأصول شوقي التركية واتجاهات الخديوي وتطلعات الشعب للتحرر من الهيمنة الإنجليزية نمت بواكير الشعر الوطني عند شوقي ، فنظم عدداً كبيراً من القصائد التي تؤكد هذه الفكرة .

عانى المصريون من سيطرة الإنجليز على مناحي الحياة في شتى شؤون حياتهم ، فغضبوا وثاروا ثورات عديدة ؛ ولكن دون جدوى ، حتى وصل الأمر إلى سيطرة الإنجليز على بعض فرق الجيش المصري في السودان ، مما أدى إلى غضب الخديوي وامتعاضه من هذا الأمر وكان ذلك في زيارة له إلى شمال السودان ( وادي حلفا ) ، عندما وجد قائداً إنجليزياً لإحدى فرق الجيش ، فانتقد ذلك صراحة ورفضه بالمطلق ما أثار حفيظة (اللورد كرومر) المعتمد البريطاني في مصر ، فطالب الخديوي بالاعتذار عما بدر منه ؛ لكن الخديوي لم يأبه لهذا الأمر ولم يقدم أي اعتذار ، في هذا الوقت قام رئيس الوزارة آنذاك رياض باشا بطلب الاعتذار من (اللورد كرومر) وأرسل برقية إلى القائد الإنجليزي للجيش يحمده له نظام الجيش ، فأنكر شوقي على رياض باشا تعلقه بالإنجليز وركونه لهم ، فهجاه في قصيدة يعتبرها البعض أنها جاءت من تعصبه لوطنه ودفاعه عن الخديوي ، حيث يقول فيها : ( الوافر )

كبيرَ السابقينَ مِنَ الْكِرَامِ      بِرُغْمِي أَنْ أَنَالَكَ بِالْمَلَامِ

(١) الشوقيات : ص ٥٧ .

(٢) شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص ١٧ .

إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ لِلْقَوْلِ أَهْلًا      فَمَا لَكَ فِي الْمَوَاقِفِ وَالْكَلامِ  
خَطَبْتَ فَكُنْتَ خَطْبًا لَا خَطِيئًا      أُضِيفَ إِلَى مَصَائِنِ الْعِظَامِ  
لُهِجَتْ بِالِاحْتِلَالِ وَمَا أَتَاهُ      وَجُرْحِكَ مِنْهُ لَوْ أَحْسَسْتَ دَامِي (١)

لم يقف شوقي عند هذا الحد في تحديه لبعض الشخصيات التي ساندت الإنجليز ولو  
بالكلمة ، فها هو شوقي يطلق لقلمه العنان في قصيدة وداع (اللورد كرومر) سنة ١٩٠٧ م  
المعتمد البريطاني في مصر ، ينتقده فيها ويذكر مساوئه ، فيقول : ( الكامل )

لَمَّا رَحَلْتَ عَنِ الْبِلَادِ تَشَهَّدْتَ      فَكَأَنَّكَ الدَّاءُ الْعِيَاءُ رَحِيلًا  
إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ لِلْقَوْلِ أَهْلًا      فَمَا لَكَ فِي الْمَوَاقِفِ وَالْكَلامِ  
أَوْسَعَتْنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ إِهَانَةً      أَدَبٌ لَعَمْرُكَ لَا يُصِيبُ مَثِيلًا (٢)

ولم يقف شوقي عند هذا الحد في تحديه لرموز الاحتلال ، بل وصف بعض من حضروا  
هذا الاحتفال بالجبين ؛ لأنهم لم يدافعوا عن مصر وحكامها عندما أساء كرومر في حقهما ، وفي  
البيتين الآتين يستنكر شوقي على السلطان حسين كامل وهو من الأسرة العلوية ، صمته ودفاعه  
عن بلده وأجداده ، فيقول : ( الكامل )

شَهَدَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ لَعْنٌ أَصُولِهِ      وَيُصَدِّرُ الْأَعْمَى بِهِ تَطْفِيلًا  
جُبْنٌ أَقْلٌ وَحَطٌّ مِنْ قَدْرِيهِمَا      وَالْمَرءُ إِنْ يَجْبُنْ يَعْشِ مَرْدُولًا (٣)

مرت أحداث جسام على مصر إبان سيطرة الإنجليز عليها ، ولا ينسى التاريخ حادثة  
دنشواي (٤) الأليمة ، التي ظهر فيها بشاعة المحتل وبطشه ، فقام بصلب عدد من أهل القرية  
وسجن آخرين وتعذيبهم ، كتب شوقي في ذكرى الحادثة أبياتاً من الشعر يقول فيها : ( الكامل )  
يَا دِنْشَوَايَ عَلَى رُبَاكِ سَلَامٌ      ذَهَبَتْ بِأَنْسِ رُبُوعِكَ الْأَيَّامُ  
شُهَدَاءُ حُكْمِكَ فِي الْبِلَادِ تَفَرَّقُوا      هَيْهَاتَ لِلشَّمْلِ الشَّتِيَّتِ نِظَامُ

(١) الشوقيات : ص ٦٠٣ .

(٢) السابق : ص ٤٩٥ .

(٣) السابق : ص ٤٩٥ . قصد السلطان حسين كامل ، والأعمى : الشيخ عبد الكريم سلمان .

(٤) دنشواي إحدى قرى مركز الشهداء التابع لمحافظة المنوفية في جمهورية مصر العربية، ويحدها قرى أبو  
كلس وإبشادي ودناصور وكفر دنشواي، وهي القرية التي كانت مسرحاً لأحداث حادثة دنشواي.



نوحى حَمَائِمَ دِنْشَوَايَ وَرَوَّعِي شَعْباً بِوَادِي النَيْلِ لَيْسَ يَنَامُ<sup>(١)</sup>

هذه القصيدة كتبها شوقي بعد عام من حادثة دنشواي ، مما أثار حفيظة بعض النقاد على شوقي ؛ لأنه لم يكتب القصيدة إبان الثورة التي ملأت مصر بعد هذه الحادثة ، يقول شوقي ضيف : " ومع ذلك لم يستجب الشاعر لكل هذه الثورة وما انطوى فيها من غضب وحقد وغيظ إلا بعد مرور عام على الحادث ، وليس من ريب في أن حادث دنشواي أفضع وأبشع من خطاب (كرومر) وتعرضه لإسماعيل وأسرته ، ولكن عند من ؟ عند الشعب ، ولم يكن شوقي من الشعب ، فقد نشأ بباب القصر"<sup>(٢)</sup> . نرى شوقي ضيف في كتابه يلوم على أحمد شوقي أنه التجأ إلى القصر ونسي هموم شعبه ، وأصبح متحدثاً بلسان القصر يفعل ما يريده الخديوي دون تأثر يذكر بما يعاينه الشعب المصري وقتذاك .

في عام ١٩١٤ م اندلعت الحرب العالمية الأولى وظهرت ويلاتهما ، الأمر الذي أثر على العالم بأسره ، ومنها مصر بلد شوقي ، فتمكنت إنجلترا من بسط سيطرتها الكاملة على مصر ، وكان الخديوي عباس - المعروف بعدائه للإنجليز - غائباً عن مصر بتركيا ، فرفض الإنجليز عودته إلى مصر ، وقضوا بعزله من منصبه ، وتعيين حسين كامل - الذي عرف بولائه لهم - بدلاً منه على عرش مصر . أخذ المحتلون بتغييرات كبيرة في القصر الحاكم بمصر ، ومن هؤلاء شوقي لمكانته الفكرية والسياسية ، وحبه الشديد للعهد القديم وللخديوي عباس الثاني ، ولم ينسَ السلطان حسين ما كتبه عنه شوقي في وداع اللورد كرومر ، فعمل على نفيه من البلاد وذلك بالتنسيق مع الإنجليز .

اختار شوقي الأندلس منفىً له ولعائلته ، ركب البحر مغادراً وطنه الذي أحبه وكان ذلك في الخامس من أغسطس عام ١٩١٥ م<sup>(٣)</sup> ، غادر وقلبه يعتصر ألماً ، نرى هذا الألم واضحاً عليه عندما يخاطب السفينة التي تحمله للمنفى ؛ فيقول : " فقلت : سيرى عودتك بوديعة التابوت ، وبصاحب الحوت ، وبالحى الذي لا يموت ؛ وأسرى يا بنة اليم ، زمامك الروح ، وربانك نوح ، فكم عليك من منكوب ومجروح ، إن للنفي لروعة ، وإن للنأي للوعة ، وقد جرت أحكام القضاء ، بأن نعبر هذا الماء ؛ حين الشر مضطرم ، واليأس محتدم ، والعدو منتقم ، والخصم محتكم ، وحين الشامت جذلان مبتسم ، يهزأ بالدمع وإن لم ينسجم ، نفانا حكام عجم ، أعوان العدوان والظلم ، خلفناهم يفرحون بذهب اللجم ، ويمرحون في أرسان يسمونها الحكم . ضربونا بسيف لم يطبعوه ، ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه ، سامحهم في حقوق الأفراد ، وسامحوه

(١) الشوقيات : ص ٥٧٩ .

(٢) شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص ٢٠ .

(٣) عشرون من شعراء المنافي والسجون : أحمد سويلم ، دار الطلائع ، القاهرة ٢٠١١م ، ط ١ ، ص ٤٣ .

في حقوق البلاد، وما ذنب السيف إذا لم يستحِ الجلاد" (١). يرى المتأمل للنص السابق اللوعة العظيمة ومرارة الفراق التي سيطرت على شوقي وقت خروجه من شواطئ بورسعيد عند بداية قناة السويس، نلاحظ انكساره ، وصدق مشاعره ، وحق له ذلك ، فهل يستطيع الإنسان تحمل الهجرة القصرية التي يفرضها عليه المحتل الغاصب ؟ بتلك الكلمات عبر شوقي عما يجول في وجدانه، ودونه في كتابه أسواق الذهب تحت عنوان ( قناة السويس ) .

ألقت به السفينة على شواطئ مدينة (برشلونة) في أسبانيا ، هذه المدينة التي اختارها لارتباطها بتاريخ أمتنا الإسلامية والعربية ، " أقام في ضاحية من ضواحي (برشلونة) ، تدعى (فالفديرا) وترتفع كثيراً عن سطح البحر، فيما تحيط بها غابات الصنوبر ومشاهد الطبيعة الأخاذة(٢) ". أعجب شوقي بهذا الجمال ؛ لكن الغربة كانت تعكر عليه الإحساس بجمال الطبيعة، نرى ذلك في شعره عندما يسمع صوت البواخر تمر بجانب الضاحية التي كان يقطن فيها ؛ فتحرك بداخله الحنين إلى الوطن والشعور بالغربة ، فيخاطب السفينة بأن ترأف بحاله وتحمله معها إلى وطنه ، فهو على استعداد أن يجعل من نفسه وقوداً لها ، حيث يوضح ذلك في قوله : ( الخفيف )

|   |  |
|---|--|
| مُسْتَطَارٌ إِذَا الْبَوَاخِرُ رَنَّتْ    | أَوَّلَ اللَّيْلِ أَوْ عَوَتْ بَعْدَ جَرَسِ  |
| رَاهِبٌ فِي الضُّلُوعِ لِلسُّفُنِ قَطْنُ  | كُلَّمَا تُرِنَ شَاعَهُنَّ بِتَقْسِ          |
| يَا بِنَةَ الْيَمِّ مَا أَبُوكِ بَخِيلٌ   | مَا لَهُ مَوْلَعاً بِمَنْعٍ وَحَبْسِ         |
| أَحْرَامٌ عَلَى بِلَابِلِهِ الدَّوْ       | حُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ      |
| كُلُّ دَارٍ أَحَقُّ بِالْأَهْلِ إِلَّا    | فِي خَبِيثٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ رِجْسِ         |
| نَفْسِي مِرْجَلٌ وَقَلْبِي شِرَاعٌ        | بِهِمَا فِي الدُّمُوعِ سِيرِي وَأَرْسِي      |
| وَأَجْعَلِي وَجْهَكَ الْفَنَارَ وَمَجْرَا | كَ يَدِ الثَّغْرِ بَيْنَ رَمْلِ وَمَكْسِ (٣) |

ولعل أصدق الأبيات التي أنشأها شوقي في حبه للوطن ما نظمه في قصيدته التي عارض فيها البحري ، حيث نراه يفضل الوطن عن جنة الخلد وذلك على سبيل المجاز ؛ ليبين مدى تعلقه بوطنه ، وفي ذلك يقول : ( الخفيف )

(١) أسواق الذهب : أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، مطبعة الهلال ، مصر ١٩٣٢م ، ص ٢٨ .

(٢) أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : فوزي عطوي ، ص ٢٣ .

(٣) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

وَطَنِي لَوْ شُغِلْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ نَارَعَتِي إِلَيْهِ فِي الْخُلْدِ نَفْسِي (١)

تفرغ شوقي في منفاه إلى نفسه ، تجرد من قيود ارتباطه بالقصر ، فأخذ يقرأ الأدب العربي ، ويطلع على آثار شعرائه من أمثال : البحري ، وابن زيدون ، وغيرهم الكثير ، فنجد هذا التأثير واضحاً في معارضاته لهم ، حيث عارض البحري في سينيته بسينية أخرى تحمل أروع آيات الحب والحنين إلى الوطن ، والتي مطلعها : ( الخفيف )

إِخْتِلَافُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ يُنْسِي أَذْكَرًا لِي الصَّبَا وَأَيَّامَ أَنْسِي (٢)

وعارض ابن زيدون في نونيته بنونية عبر فيها عن شوقه الشديد لوطنه ، وشعوره بالأسى لما يجري على ثرى وطنه ، حيث يقول في مطلعها : ( البسيط )

يَا نَائِحِ الطَّلْحِ أَشْبَاهَ عَوَادِينَا نَشْجِي لَوَادِيكَ أَمْ نَأْسِي لَوَادِينَا (٣)

مكث شوقي في منفاه بالأندلس ( أسبانيا ) خمس سنوات أخذ ينتقل خلالها في هذا البلد الذي يحمل رائحة من ذكرى قاسية على كل مسلم وعربي ، كيف لا وهي الجنة التي فرط فيها المسلمون ؟ هذه الأرض التي تركت أثراً عميقاً في نفوسنا إلى يومنا الحاضر ، غيرت هذه الفترة من حياته كثيراً ، ففيها عرف الألم والحسرة على فقدان وطنه ؛ فتجمعت مجموعة من الآلام في قلب الشاعر ، ألم ترك الوطن وفراقه وحنينه له ، وشوقه إلى مجالسة الأصدقاء ، وألم الحاجة إلى المال الذي تعود عليه شوقي ، هذه العوامل فجرت ربة الشعر عنده ؛ فأخرجت لنا شعراً لا يضاهي ، حيث اعتبر بعض النقاد أن هذه الفترة قلبت نظرة شوقي رأساً على عقب ، فأصبح شاعر الوطنية الأول ، والمدافع عن الأمة الإسلامية والعربية ، ولنا في ديوانه الكثير من الدلائل على هذا .

كانت بعض الجهود تبذل من أجل عودة شوقي من المنفى ، فكان لأحمد زكي دور في عودة صديقه ( شوقي ) وذلك في معرض حضوره لمأدبة غداء في قصر عابدين أقامها السلطان حسين كامل ، عندما سأل السلطان عن شاعر باستطاعته مجارة شعراء الإفرنج ، فقال أحمد زكي : "إن شوقي ممن تزدان بهم الدول ولو كان في زمن الخلفاء لتخاطفته دمشق وبغداد وقرطبة، لقد أفاض على العروبة من نفثاته ومنح الشعر والأدب من نفحاته حسنات باقية وآثاراً خالدة . أصبح بعد هذا أن تبقى مصر محرومة من بلبلها الغريد، وأن يرفرف هذا الطائر

(١) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

(٢) السابق : ص ٣٨٤ .

(٣) السابق : ص ٦٨٠ .

بجناحيه على قرطبة وطليطلة وإشبيلية وغرناطة، بعد أن خرجت منها العروبة خروج الأرواح من الأبدان"، وبعدها طلب السلطان من رئيس وزرائه أن يعمل على عودة شوقي من المنفى (١).

عاد شوقي إلى مصر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بعد سماح الإنجليز له بالعودة ، فأبحر من أسبانيا إلى إيطاليا ومنها إلى مصر ، " وما إن بلغ القاهرة حتى خرج الشعب المصري عن بكرة أبيه ، يستقبله ويحتفي به ، ويروى أن الجموع حملته على الأعناق ، والدموع تنهمر من عينيه ؛ فقد اعتبره شعبه بطلاً من أبطاله ، لا يهادن الاستعمار ، ولا يتواطأ مع الأعداء على حكام وطنه ، ولا على أبناء شعبه (٢)". يعبر شوقي عن لحظة وصوله لمصر مخاطباً هذا الوطن الغالي : ( الوافر )

وَيَا وَطَنِي لَقَيْتُكَ بَعْدَ يَأْسٍ      كَأَنِّي قَد لَقَيْتُ بِكَ الشَّبَابَا  
وَلَوْ أَنِّي دُعِيتُ لَكُنْتُ دِينِي      عَلَيْهِ أَقَابِلُ الحَتَمِ المُجَابَا  
أَدِيرُ إِلَيْكَ قَبْلَ البَيْتِ وَجَهِي      إِذَا فُهِتُ الشَّهَادَةَ وَالمَتَابَا (٣)

كان استقبال الشعب لشوقي دلالة على حب الجميع له ، فكان استقبال الجماهير له على محطة القطار وفي مقدمتهم حافظ إبراهيم ، ويحييه حافظ قائلاً : ( الكامل )

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَد رَدَّهُ      مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهِ إِلَى أوطَانِهِ  
فَتَنَظَّرُوا آيَاتِهِ وَتَسَمَّعُوا      قَد قَامَ بُلْبُلُكُمْ عَلَى أَغصَانِهِ (٤)

بعد عودته إلى مصر تغيرت حياته عما كانت عليه قبل نفيه إلى إسبانيا ، ابتعد عن حياة القصر وعكف على أدبه وشعره ، فتأثر بمن حوله ، فنجده لا ينسى هموم شعبه ، يعيش معه في كل صغيرة وكبيرة ، يدون بقلبه ولسانه هذه الهموم ، يخاطب ويعاتب وينصح ، فما هو يناشد زعماء الأحزاب في مصر بالوحدة وترك الخلافات جانباً ، ومواجهة المحتل بكل الوسائل ، فمصر ما زالت محتلة والسودان حالها يرثى له ؛ فيقول : ( الوافر )

إِلَامَ الخُلُوفِ بِيَتُّكُمْ إِلَامَا      وَهَذِي الضَّجَّةُ الكُبْرَى عَلَامَا  
وَفِيمَ يَكِيدُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ      وَتُبْدُونَ العَدَاوَةَ وَالخِصَامَا  
وَأَيْنَ الفَوْزُ لَا مِصرُ اسْتَقَرَّتْ      عَلَى حَالٍ وَلَا السُّودَانُ دَامَا (٥)

(١) بتصرف : انظر : عشرون من شعراء المنافي والسجون ، ص ٤٩-٥٠ .

(٢) أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : ص ٢٤ .

(٣) الشوقيات : ص ١٠٥-١٠٦ .

(٤) عشرون من شعراء المنافي والسجون : ص ٥١ .

(٥) الشوقيات : ص ٥٦٢ .

يصف شوقي ضيف حياة شوقي بعد عودته من المنفى ، فيقول : " ومن هنا تبدأ الدورة الثانية في حياته الأدبية ، فإنه لم يعد يفكر في القصر ولا في وظيفته فيه ، فقد أصبح حرّاً طليقاً ، وهياً له ثراؤه أن ينعم إلى أقصى حد بهذه الحرية ، فخلص لفنه ولشعبه وأخذ يغنيه أغاني وطنية رائعة <sup>(١)</sup> ". يذكر ضيف في معرض حديثه عن هذه الفترة من حياة شوقي أن هذا من الأسباب التي فاضلت شوقي على صديقه حافظ إبراهيم ، حيث يقول ضيف : " ومرجع ذلك أن فنه كان أروع من فن حافظ ، فلما اتجه به إلى تصوير عواطفنا الوطنية وحياتنا السياسية بلغ من ذلك الغاية التي لا تمتد إليها الأعناق <sup>(٢)</sup> ".

أصبح شوقي بعد ذلك لسان الأمة العربية الذي لا يفتأ يدافع عن قضاياها وهمومها ، فلم يترك قضية إلا وأدلى بدلوه فيها ، فأنشأ الشعر في ذلك وبعث روح الحمية في نفوس أبناء الأمة العربية ، يستنهض همهم تجاه قضاياهم المصيرية ، وها هو يعبر عما حل بدمشق من المحتل الفرنسي قائلاً : ( الوافر )

|   |   |
|---|---|
| سَلَامٌ مِنْ صَبَا بَرَدَى أَرْقُ         | وَدَمْعٌ لَا يُكَفِّفُ يَا دِمَاشِقُ            |
| وَمَعَزِرَةُ الْيَرَاعَةِ وَالْقَوَافِي   | جَلَالُ الرُّزْءِ عَنِ وَصْفِ يَدِيقُ           |
| أَلَسْتَ دِمَاشِقُ لِلْإِسْلَامِ ظَنُّرًا | وَمُرْضِعَةُ الْأَبُوَّةِ لَا تُعَقُّ           |
| دَمَ الثُّوَارِ تَعْرِفُهُ فَرَنْسَا      | وَتَعْلَمُ أَنَّهُ نُورٌ وَحَقُّ <sup>(٣)</sup> |

يعود مرة أخرى ويناشد شباب سوريا بمواجهة المحتل ، فالعدو لايعرف إلا لغة السلاح ، يطالبهم بترك الأمانى جانباً ، وعدم الانخداع بمغريات المحتل لهم ؛ فيقول : ( الوافر )

|   |  |
|---|--|
| بَنِي سُوْرِيَّةَ إِطْرِحُوا الْأَمَانِي    | وَأَلْقُوا عَنكُمْ الْأَحْلَامَ أَلْقُوا             |
| فَمِنْ خِدَاعِ السِّيَاسَةِ أَنْ تُغَرَّوْا | بِأَلْقَابِ الْإِمَارَةِ وَهِيَ رِقُّ <sup>(٤)</sup> |

عاش شوقي بقية عمره على هذا المنوال ، لم يترك أمراً يخص الأمة العربية والإسلامية إلا وأطلق لقلمه العنان ليعبر عما يجول في خاطره حتى اختير أميراً للشعراء عام ١٩٢٧ م ، وستحدث عن هذا في المبحث القادم .

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ص ١١٢ .

(٢) السابق : ص ١١٢ .

(٣) الشوقيات : ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٤) السابق : ص ٤٤٧ .

## رابعاً : مكانته الأدبية :

أتيحت لشوقي أمور فجرت شاعريته ، فتعليمه في فرنسا أتاح له تعلم اللغة الفرنسية والتعرف إلى آدابها المختلفة وشعرائها ، أما نفيه إلى إسبانيا مكنه من معرفة آداب الأسبان من جهة ، وجعله يتعرف أمجاد العرب في بلاد الأندلس من جهة أخرى ، وما رأيناه من معارضاته للبحثري ولابن زيدون خير دليل على ذلك ، وامتلاكه للغة العربية وهضمها جيداً أنشأ لدى شوقي ثقافة واسعة لم تتوفر لغيره . " وكان أكبر نبع يستقي منه هذه المياه كتاب ( الوسيلة الأدبية ) للشيخ حسين المرصفي، وهو يضم بين دفتيه أروع ما للقدماء من نماذج كما يضم بعض نماذج البارودي الحديثة، ولم يكد يلم شوقي بهذه النماذج الأخيرة حتى احتواها لنفسه وفنه ، فقد تمثلها تمثلاً رائعاً<sup>(١)</sup>. فتقافة شوقي كانت وليدة عدة أسباب هي: نسبه المنحدر من أربعة أصول ، وتلمذه على يد شاعر الشيخ محمد البسيوني البيباني ، تعلمه اللغة الفرنسية ودراسة الأدب الفرنسي ، ورحلاته المتعددة لعدد من الدول العربية والغربية .

أظهر شوقي براعة فذة ، نجد ذلك في ثنايا شعره ، وفي أغراضه المختلفة ، حيث تنوعت أغراض الشعر عنده ، " فنظم في معظم الأغراض والمجالات ، ولا سيما المجالات الوطنية والسياسية ، فضلاً عن الرثاء ، والغزل ، والمدح ، وغيرها . فجاءت أشعاره متمسمة بالعواطف القوية ، والأخيلة الرحيبة ، والألفاظ السلسة العذبة ، والتراكيب القوية ، وشاعت فيها ومضات متميزة ، أهمها : حب الوطن ، وحب الدين ، وحب الحرية ، وحب الحياة ، وقد تكتفت هذه الومضات معاً ، وارتفعت به إلى مستوى سامق<sup>(٢)</sup> . "

تبنى شوقي فكر أستاذه الشاعر الكبير محمود سامي البارودي في إحياء التراث وبعث الحياة في الشعر بعدما وصل لمراحل انحطاط ، وكما فعل البارودي في تأثره بالعصر العباسي ، ظهر هذا جلياً عند شوقي ، فقد تأثر بعدد من شعراء العصر العباسي من أمثال : المتنبّي ، البحتري ، أبي تمام ، أبي نواس ، والشريف الرضي ؛ لكن شوقي ما لبث إلا ورسم لنفسه طريقاً واضحاً يسير عليه ، ومن ذلك محافظته على قوالب الشعر وإضفاء روح الحدائث عليها من خلال تعبيره عن الواقع الملموس في عصره .

عارض شوقي الشاعر العباسي أبا نواس في خمرياته وذلك أيام شبابه ، فنظم قصيدة بعد انقضاء شهر رمضان يقول فيها : ( الكامل )

رَمَضانُ وَلَيْ هاتِها يا ساقِي      مُشتاقَةٌ تَسعى إلى مُشتاقِ

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر : مرجع سابق ، ص ١١٤ .

(٢) بتصرف : انظر : من أعلام الفكر والأدب في التراث العربي : محمد جواد النوري ، مطبعة الشرق العربية ،

القدس - شعفاط ، ص ٢٠٦-٢٠٧ .

ضَجِكَتِ إِلَيَّ مِنْ السُّرُورِ وَلَمْ تَنْزَلِ      بِنْتُ الْكُرُومِ كَرِيمَةً الْأَعْرَاقِ  
هَاتِ إِسْقِنِيهَا غَيْرَ ذَاتِ عَوَاقِبِ      حَتَّى نُرَاعَ لِصِيحَةِ الصَّقَاقِ (١)

ولهذه القصيدة قصة طريفة ، إذ تغضب بسببها تلميذ اللغة العربية محمد متولي الشعراوي - الداعية الكبير فيما بعد رحمه الله - وعاتب فيها شوقي ، فاستمع لعتابه ثم تلا عليه قوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ (٣) ثم تباسط الحديث .

كانت قريحة شوقي الشعرية قادرة على مجازاة أعلام الشعر في زمن عنفوانه لما يمتلكه من حصيلة لغوية ، هذا التمكن اللغوي رأيناه في غير موضع مما أضفى على شعره بعض السمات والخصائص هي (٣) :

- ١- استلهام التراث العربي والوعي بكنوزه .
  - ٢- العاطفة الهادئة المركزة التي تتأى عن الصخب .
  - ٣- الاعتماد على الإيقاع الموسيقي اعتماداً واعياً بوظيفته في المعنى .
  - ٤- تدفق الصور الفنية المنبثقة من الصورة العامة للعمل الفني .
- هذه الخصائص الفنية التي أصبحت منهجاً لشوقي في إبداعه الشعري ، فاستلهامه للتراث العربي، ومجاراته لأشعار العصر العباسي على وجه الخصوص ، وفي بعض الأحيان يستغل بعض الأحداث المشابهة لينظم قصائد يعارض فيها هؤلاء الشعراء ، حيث عارض البحتري في سينيته ، والتي مطلعها : (الخفيف)
- إِخْتِلَافُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ يُنْسِي      أَذْكَرَ لِي الصِّبَا وَأَيَّامَ أَنْسِي (٤)

وعبر شوقي من خلالها عن شدة حنينه للوطن ، ونيران الغربة التي اشتعلت داخل قلبه ، معلناً رفضه للخضوع لأوامر المحتل ، ومجدداً على ضرورة خروج الاستعمار من وطنه .

وعارض ابن زيدون في نونيته ، ومطلعها : ( البسيط )

يَا نَائِحَ الطَّلَحِ أَشْبَاهَ عَوَادِينَا      نَشْجِي لُوَادِيكَ أَمْ نَأْسِي لُوَادِينَا (٥)

(١) الشوقيات : ص ٤٥٧ .

(٢) سورة الشعراء : آية ٢٢٤-٢٢٦ .

(٣) البديع في شعر شوقي : منير سلطان ، المعارف ، الإسكندرية ، ط٢ ، ١٩٩٢ م ، ص ٣٨ .

(٤) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

(٥) السابق : ص ٦٨٠ .

وكانت تلك القصيدة كسابقتها ( السينية ) تتمحور حول الغربة والحنين إلى الوطن ، ومدى اشتياقه للعودة إلى مصر ، فقد أنشأها في منفاه بالأندلس .

كما عارض البويصري في نهج البردة قائلاً : ( البسيط )

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ      أَحَلَّ سَفَكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ (١)

وفيها مدح شوقي خير مخلوق سيدنا محمد ( صلى الله عليه وسلم ) . وكثير من المعارضات التي أبدع فيها شوقي ، بل أنه تفوق أحياناً على من عارضه ، فكل ذلك كان يستقيه من التراث العربي الأصيل ، كيف لا وهو الذي أخذ على عاتقه إكمال مسيرة أستاذه البارودي في إحياء التراث وبعث الحياة فيه من جديد .

وصلت مكانة شوقي الأدبية إلى ذروة سنامها عندما بوبع أميراً للشعراء ، وكان ذلك عندما أعاد شوقي طبع ديوانه ( الشوقيات ) عام ١٩٢٧ م ، فأقيم له حفل تكريم لما قدمه من أشعار لمصر وللأمة العربية جمعاء ، حيث شاركت في هذا الاحتفال حشود كبيرة ، والحكومة المصرية والبلاد العربية ؛ إذ قدمت منها وفود مختلفة تمجد شاعر مصر وتشيد بعبقريته ونبوغه. وقد وضع الشعراء في هذا الحفل على مفرقه تاج إمارة الشعر لا في مصر وحدها ؛ بل في سائر الأقطار العربية ، ومن الشخصيات المشاركة في حفل الإمارة محمد كرد علي عن المجمع العلمي العربي بدمشق ، وشبلي ملاط عن لبنان ، وأمين الحسيني عن فلسطين ، وشكيب أرسلان ، وفندنبرج البلجيكي عن بلده ، وحافظ إبراهيم الذي أعلن البيعة لشوقي باسمه واسم شعراء البلاد العربية (٢) قائلاً : ( الطويل )

أَمِيرَ الْقَوَافِي قَدْ أَتَيْتُ مُبَايَعاً      وَهَذِي وَفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِي (٣)

(١) الشوقيات : ص ٦٠٦ .

(٢) ينظر : شوقي شاعر العصر الحديث ، شوقي ضيف ، ص ٣٧ . أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ ، ص ٢٥ . الأدب العربي المعاصر في مصر ، شوقي ضيف ص ١١٣ .

(٣) ديوان حافظ إبراهيم : ضبطه وشرحه ، احمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٣ ، ١٩٨٧ م ، ص ١٢٨ .



كانت إمارة الشعر بالنسبة لشوقي مكافأة لما قدمه لمصر وللأمة العربية والإسلامية ،  
فكان المدافع الأول لهموم الشعب المصري والشعب العربي كذلك ، ناهيك عن براعته الشعرية  
وأسلوبه العذب ولغته المناسبة كالجداول الهادئة ، فاستحق بجدارة ذلك اللقب .

## خامساً : شوقي في ميزان النقد:

تعرض شوقي لنقد كبير سواء بالثناء عليه أو بالهجوم السافر على شخصه وشعره ، ومما أثار غضبهم تكريمه بلقب إمارة الشعر في العصر الحديث ، " فقام نفر من الكتاب يهاجمون شوقي ، وينتقدون مكرميته ، وينكرون عليه مجرد الشاعرية ، وما عملهم هذا إلا دليل على علو كعب الشاعر " (١).

فالكلام عن شوقي يطول ويطول لكثرة من تحدثوا عنه ، حيث يقول عنه شيخ الأدباء المرحوم مصطفى صادق الرافعي : " انفلت من تواريخ الآداب لمصر وحدها كانفلات المطرة من سحبها السائر في الجوزاء ، فأصبحت مصر سيدة العالم العربي في الشعر ، ولم يستطع أحد من الشعراء أن يضع تاريخ الشعر على مفرد مصر ووضعه شوقي وحده " (٢) ويقول عنه الأديب أحمد الزيات : " إنه شاعر غير مدافع تهيأ له مالم يتهيأ لغيره من سلامة الفطرة وكرم النشأة ، وسعة الثقافة ، ونعيم الحياة فأجاد التعبير ، أما معانيه فكثيرها مخلوق ، لم يتمثل في غير خاطره ، وقليلها مطروق نفخ فيه من روحه وخلع عليه من وشيه ، ومشى به إلى حد الكلام ومبتكره " (٣) .

كثير هم من أنصفوا شوقي ، وعبروا بصدق عن إسهامات شوقي في الشعر العربي الحديث، والنقلة النوعية التي أحدثها ، فيجمل الدكتور منير سلطان ذلك في قوله : " جاء شوقي فوجد البناء مستويًا على عوده ، فأكمل في البناء ، جدد في الأركان ، وسّع في الشرفات ، بدّل في المداخل ، بقدر ما تحتمل أعمدة البناء ، بحيث لا تضيع معالمه فينكره من يعرفه ، فصار للشعر العربي قصر منيف ، وفيه باحة واسعة وسور حصين ، ويضم حديقة غناء ، فمنذ أن كان شوقي ، إلى أن مات ، وكل الاتجاهات والمدارس تنطلق من رحابه ، إما غاضبة منه ، أو غاضبة عليه ، لكنها مرتبطة به بصورة من الصور ، ودرجة من الدرجات ، بل اقول ، لولا شوقي ما كانت ، ولا ظهر نجم في سماء الشعر " (٤).

لقد حمل الناقد عباس العقاد لواء النقد ضد شوقي ، فكان هجومه على شوقي ممنهجاً من خلال تناول الموضوعات المتعلقة بشعر شوقي ، ووصل به الأمر إلى الحديث عن شخصية شوقي نفسه ، وجاء نقد العقاد لشوقي في محاور هي : التفكك وافتقاد الوحدة العضوية ، والإحالة (فساد المعنى) ، والتقليد والسرقة .

(١) بتصرف : أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : ص ٢٦ .

(٢) أمير الشعراء أحمد شوقي : محمد الطاهر الزنكلوني ، مجلة الأزهر - القاهرة ، الجزء العاشر ، يوليو ١٩٨٦ م ، ص ١٦٠٦-١٦٠٧ .

(٣) السابق : ص ١٦٠٧ .

(٤) البديع في شعر شوقي : منير سلطان ، ص ٢٨-٢٩ .

يذكر الدكتور حماد أبو شاويش خصائص نقد العقاد لشوقي ، ومنها:

- ١- التجني والتحامل .
- ٢- النظرة الجزئية .
- ٣- الاهتمام بشخصية شوقي أكثر من الاهتمام بشعره أحياناً .
- ٤- التعميم . (١)

#### سادساً : وفاته :

عانى شوقي أواخر حياته من الأمراض لاسيما السنتين الأخيرتين من حياته ، فعكف على قراءة القرآن وكتب الحديث النبوي ، وكان يُعجب بالغزالي ومؤلفاته والجبرتي وتاريخه (٢) .  
" وأخيراً حول الساعة الثانية في ليلة ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٣٢ م كف البلبل عن شذوه ، فقد سقطت قيثارة الشعر من يده ، ولبت روحه نداء ربه ، وارتفع النواح والنشيج في مصر والأقطار العربية ، وخرجت الأمة المصرية الكريمة تشيع شاعرها بقلب ملهوف وعين جارية (٣) رحم الله الأمير ، فقد عرف نتيجة الحياة بأنها زائلة ، لذلك عبّر بصدق عن طلبه للغفران من الله - تبارك وتعالى - عندما مدح سيد الخلق محمد - صلى الله عليه وسلم - في نهج البردة قائلاً : ( البسيط )

|   |   |
|---|---|
| فِي اللَّهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرِ مُعْتَصِمٍ       | إِنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغُفْرَانِ لِي أَمَلٌ |
| مُفَرِّجِ الْكَرْبِ فِي الدَّارَيْنِ وَالْعَمَمِ    | أَلْقَى رَجَائِي إِذَا عَزَّ الْمُجِيرُ عَلَيَّ |
| عِزُّ الشَّفَاعَةِ لَمْ أَسْأَلْ سِوَى أُمَّمِ      | إِذَا خَفَضَتْ جَنَاحَ الذُّلِّ أَسْأَلُهُ      |
| قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ عِبْرَةَ النَّدَمِ        | وَإِنْ تَقَدَّمَ ذُو تَقْوَى بِصَالِحَةٍ        |
| يُمْسِكُ بِمِفْتَاحِ بَابِ اللَّهِ يَغْتَنِمُ       | لَزِمْتُ بَابَ أَمِيرِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ    |
| فِي يَوْمٍ لَا عِزَّ بِالْأَنْسَابِ وَاللَّحْمِ (٤) | عَلَّقْتُ مِنْ مَدْحِهِ حَبْلًا أُعَزُّ بِهِ    |

(١) بتصرف : دراسات في النقد الأدبي : د. حماد أبو شاويش ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ١٩٩٩م ص ٨٧-٩٧ .

(٢) بتصرف : شوقي شاعر العصر الحديث ، شوقي ضيف ، ص ٤١ .

(٣) السابق ، ص ٤١ .

(٤) الشوقيات : ص ٦١٢-٦١٣ .

لقد رثى شوقي عددً من الشعراء الكبار من أمثال : سكيب أرسلان ، وخلييل مطران ، وقد أصدرت مجلة أبولو أعداداً كثيرة للحديث عن الأمير ودوره في نهضة الشعر العربي <sup>(١)</sup>، وحتوت أشعاراً كثيرة جاءت رثاءً لشوقي ، وكان ذلك بعيد وفاته بأشهر قليلة ، ثم في ذكرى وفاته .

---

(١) العدد الرابع (ديسمبر ١٩٣٢م) ، والخامس (يناير ١٩٣٣م) ، والسادس (فبراير ١٩٣٣م) والسابع (مارس ١٩٣٣م) من مجلة أبولو .

## **الفصل الأول**

**الغربة في شعر أحمد شوقي .**

**المبحث الأول : الغربة لغة واصطلاحاً .**

**المبحث الثاني : بواعث الغربة .**

**المبحث الثالث : أنواع الغربة .**

## الفصل الأول الغربة في شعر أحمد شوقي

المبحث الأول : الغربة لغة واصطلاحاً :

أولاً : الغربة لغة :

جاءت الغربة في اللغة بمعنى : " الذهابُ والتَّحَيُّ عن الناسِ وقد عَرَبَ عنا يَغْرُبُ غَرْباً وَعَرَّبَ وَأَعْرَبَ وَعَرَّبَ وَعَرَّبَهُ وَأَعْرَبَهُ نَحَّاهُ ، وَعَرَّبَهُ وَعَرَّبَ عَلَيْهِ تَرَكَهُ بَعْدَ الْعُرْبَةِ وَالْعُرْبُ النُّزُوحُ عَنِ الْوَطَنِ وَالْإِعْتِرَابُ قَالَ الْمُتَمَلِّسُ : ( الطويل )

أَلَا أُبْلِغَا أَفْنَاءَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ رِسَالَةَ مَنْ قَدْ صَارَ فِي الْعُرْبِ جَانِيَهُ <sup>(١)</sup>

والإعترابُ والتغرُّبُ كذلك تقول منه تَغَرَّبَ وَاغْتَرَبَ وَقَدْ عَرَّبَهُ الدَّهْرُ وَرَجُلٌ غُرِبَ بِضَمِّ الْغَيْنِ وَالرَّاءِ وَغَرِيبٌ بَعِيدٌ عَنِ وَطَنِهِ الْجَمْعُ غُرَبَاءُ وَالْأُنْثَى غَرِيبَةٌ <sup>(٢)</sup> ، " وَعَرَّبَ : عَنِ وَطْنِهِ - غَرَابَةٌ ، وَغَرِبَةٌ : ابْتَعَدَ عَنْهُ ، وَاعْتَرَبَ : نَزَحَ عَنِ الْوَطَنِ ، وَالغَرْبَةُ وَالغُرْبَةُ : النَّوَى وَالْبَعْدُ <sup>(٣)</sup> "

فإذا تتبعنا الموروث القديم للعرب نجد أن كلمة الغربة واردة بكثرة في الأدب ، فذكروها لفظاً ومعنى ، وذلك ضمن بكائهم على الأطلال في المقدمة الطللية ، والغربة هي السبب الرئيس لهذا البكاء ، حيث يقول امرؤ القيس في معلقته : ( الطويل )

قِفَا نَبَاكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بَسِيقِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ <sup>(٤)</sup>

وقد ذكر الزبيدي في معجمه : التغرب الدَّهَابُ ، والغرب : النوى والبعد ، والعَرَبُ والغُرْبَةُ: النزوح عن الوطن ، والتغريب : النفي من البلد <sup>(٥)</sup> ، وفي الصحاح جاءت كلمة التغريب بمعنى النفي عن البلاد والتباعد عن الوطن <sup>(٦)</sup> .

فالملاحظ أن الغربة والإعتراب وردا في معظم معاجم اللغة بمعنى واحد ، وهو الذهاب والبعد عن الوطن ؛ لكن معاجم العربية لم تفرق بين مصطلحي الغربة والإعتراب ، فالغربة

(١) ديوان المتلمس الضبيعي : تحقيق حسن الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٠ ،

ص ٢٦٧ ، والمتلمس جرير بن عبد العزّي شاعر جاهلي ، انظر : الأعلام ١١٩/٢ .

(٢) لسان العرب لابن منظور : دار صادر - بيروت ، ط ١ ، مادة ( غرب ) ، ١/٦٣٨ .

(٣) المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، ص ٦٤٧ .

(٤) ديوان امرئ القيس / تحقيق / عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة - بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٤ ، ص ٢١ .

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ج ١ ، ص ٤٠٤-٤١٢ .

(٦) الصحاح : لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت ،

١٩٧٩ ، ط ٢ ، ص ١٩١-١٩٢ .

مقترنة بالبعد عن الوطن وفراق الأهل والأحبة ؛ و هي بذلك مرتبطة بالمكان ، أما الاغتراب فهو شعور نفسي يمتلك الإنسان بسبب ما ؛ فيشعر بأنه غريب حتى لو كان في قلب وطنه .  
ثانياً : الغربة اصطلاحاً :

تظهر الغربة في أوقات الاضطراب والقلق وعدم استقرار الفرد بسبب الأوضاع السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو جميعها معاً ، كما حدث مع شعراء المهجر في عصرنا الحديث، فالغربة طبيعة متجذرة في النفس البشرية ، " فهي من المشاعر الفطرية التي تختلف من إنسان لآخر، ومن مجتمع لآخر، ذلك لأنها تتلون بطبيعة صاحبها، وبالمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات، وبطبيعة العصر وما يحتويه من قيم أو أعراف ومعارف، والغربة ظاهرة قديمة رافقت المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة، ولكنها كانت غربة واضحة المصطلح والمفهوم، بينما اتخذت لها صوراً معقدة في العصر الحديث، بل صارت من أكثر المفاهيم إثارة للجدل بسبب التعريفات الكثيرة التي وضعت لها "(1)

عند الحديث عن الغربة يختلط تعريفها بمعنى الاغتراب ، حتى أننا نجد من يعددها بنفس المعنى ؛ فالاغتراب : " هو حالة نفسية تصور مدى انعدام السلطة والانخلاع عن الذات والأشياء أو التذمر والعداء والعزلة ، وانعدام المغزى في واقع الحياة والإحباط "(2) .  
إن الشعور بالغربة من أقسى فترات الحياة على المرء ، فرسولنا الكريم ( صلى الله عليه وسلم ) عندما هاجر من مكة إلى المدينة المنورة وقف على أحد جبال مكة قائلاً : " والله إنك لأحب أرض الله إليّ وإنك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت "(3)  
فالرسول خارج لتبليغ دين الله ؛ لكن الشعور بترك الوطن أثر عليه ، فما بألنا بالإنسان العادي ؟ فالوطن الأم لا يمكن للمرء أن ينساه ، وكيف ينساه ؟ وهو الدار الأولى التي عرفها ، ونشأ فيها، وتمتع بخيراتها ، ولعب في عرصاتها ؟ إنها ستبقى مسيطرة على فكره ووجدانه حتى لو عاش في عدد من الأماكن بعدها ، حيث يقول أبو تمام الطائي : ( الكامل )  
تَقُلُّ فُوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى  
مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

(1) تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة : فتيحة دخموش (رسالة ماجستير ) جامعة منتوري ، ٢٠٠٥م، ص ١٢ .

(2) المكان في الشعر الأندلسي : محمد الطربولي ، دار الرضوان ، عمان ، ط ١ ، ص ٣٣ .

(3) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي : تحقيق ، عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٤/١٣٣ .

كَم مَنزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنزِلٍ<sup>(١)</sup>

" إن نظرة الإنسان العربي الأصل للغربة مختلفة كل الاختلاف عن نظرة العالم الحالية، فالغربة عند شعرائنا غربة وجودية : غربة المكان ، غربة النفس في وطن غير الوطن ، ووسط أهل غير الأهل غربة الروح عن الجذور بينما هي في المفهوم الحديث اغتراب حضاري وموقف يتخذه المثقف الغربي الفارغ قلبه من كل القيم الروحية " <sup>(٢)</sup>.

### المبحث الثاني : بواعث الغربة :

ظاهرة الغربة قديمة قدم الإنسانية ، فالإنسان القديم لم يستقر في مكان واحد ، والعربي على وجه الخصوص لم يعرف استقراراً ألبتة ، فالنزاعات القبلية والحروب فيما بينهم جعلت من هذه الظاهرة أمراً طبيعياً في حياتهم . فالعرب كانوا يعتاشون على تربية الإبل والأغنام التي تتطلب وجود الماء والكلأ ، فكانت حياتهم مرتبطة بوجود مقومات الحياة لهم ولمواشيهم ، فالتنقل والبعد عن أماكنهم الأصلية وتغريبهم بسبب طلبهم للرزق ، ناهيك عن نزاعاتهم الداخلية التي قد تستمر عقوداً ، لذلك وجدنا الشعراء الأوائل يكثرون من البكاء على الأطلال التي سببها الغربة ، فرأيناهم يصفون أيامهم وأماكن محبوباتهم فيما أصبح يعرف بالبكاء على الأطلال ، فهذا طرفة ابن العبد يبدأ معلقته قائلاً : ( الطويل )

لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِبُرْقَةٍ تَهْمَدِ تَلُوحُ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ  
وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَدِ<sup>(٣)</sup>

من هذا المنطلق أصبح الوقوف على الأطلال سمة ظاهرة عند الشعراء القدماء ، فالمعلقات سواء السبع أو العشر تبدأ بما هو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالغربة ، فامرؤ القيس يقول في مطلع معلقته : ( الطويل )

قِفَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنزِلِ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ<sup>(٤)</sup>

(١) شرح ديوان أبي تمام : الخطيب التبريزي ، تحقيق / راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤ م ، ج١ ، ص٢٩٠ .

(٢) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : فاطمة صحصح ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص٣٥ .

(٣) ديوان طرفة بن العبد : تحقيق / مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٢ م ، ص١٩ .

(٤) ديوان امرئ القيس : تحقيق / عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة - بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٤ م ، ص٢١ .



بقيت هذه الظاهرة حتى بعد ظهور الدين الإسلامي الحنيف ؛ ولكن خفت حدتها بعد تمكّن الإيمان من قلوب الناس ، فأصبح الشعراء يعبرون عن القصيدة مباشرة دون التطرق للوقوف على الأطلال ، فأخذت الغربية تظهر بوضوح في قصائد الشعراء المجاهدين الذين خرجوا لتبليغ دين الله في شتى أصقاع الأرض ، فظهر باعث آخر وهو الجهاد في سبيل الله ، حيث كان المجاهدون يودعون أوطانهم وأهليهم، ويغيبون لفترات طويلة مما يترك في قلوبهم لوعة البعد والفرق التي تجعل الشعراء منهم يعبرون عن ذلك أصدق تعبير ، ومنهم من يصاب في المعارك أو يتعرض لأمر فيه الهلاك مثلما حدث مع الشاعر مالك بن الربيع الذي كان فارساً لا يشق له الغبار منتمياً لمجموعة من الصعاليك ، فطلبه القائد سعيد بن عفان ( رضي الله عنه ) ليكون معه ، وبهذا تغير فكر مالك من صعلوك إلى مجاهد في سبيل الله يقاتل الأعداء ، فهناك روايتان في وفاته : إحداها أنه أصيب في إحدى المعارك ، والأخرى أنه عندما وضع قدمه في خفه لدغته أفعى كانت في الخف ، فأصيب إصابة مميتة كانت سبباً في موته ، فأنشأ قصيدة تحمل في ثناياها لوعة الفرق والغربة عن الأهل ، ولعل هذه القصيدة كانت السبب في شهرة مالك بن الربيع التي ذاع صيتها وفيها يقول : ( الطويل )

|  |  |
|--|--|
| أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً        | بَجَنِبِ الْغَضَا أُزْجِي الْقِلَاصَ النَّوَاجِيَا |
| فَلَيْتَ الْغَضَا لَمْ يَقْطَعْ الرِّكْبُ عَرْضَهُ | وَلَيْتَ الْغَضَا مَاشَى الرِّكَابَ لِيَالِيَا     |
| تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ     | سِوَى السِّيفِ وَالرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ بَاكِيَا |
| وَأَكْبَنَ بِأَكْنَافِ السُّمَيْيَةِ نَسْوَةً      | عَزِيْرٌ عَلَيَّهِنَّ الْعَشِيَّةَ مَا بِيَا       |
| وَلَمَّا تَرَأَتْ عِنْدَ مَرَوْ مَنِيَّتِي         | وَحَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَفَاتِيَا         |
| فِيَا صَاحِبِي رَحَلِي دَنَا الْمَوْتُ فَاَنْزَلَا | بِرَابِيَّةٍ إِنِّي مُقِيمٌ لِيَالِيَا             |
| وَحُطَّ بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي         | وَرُدًّا عَلَيَّ عَيْنِي فَضَلَّ رَدَائِيَا        |
| خُذَانِي فَجَرَّانِي بِثُوبِي إِلَيْكُمَا          | فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا  |
| يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي      | وَأَيَّنَ مَكَانَ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا      |
| فِيَا صَاحِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَأْغُنْ          | بَنِي مَازِنٍ وَالرَّيْبَ أَنْ لَا تَلْقِيَا       |

غَرِيبٌ بَعِيدُ الدَّارِ ثَاوٍ بِقَفْرَةٍ      يَدَ الدَّهْرِ مَعْرُوفاً بِأَنْ لَا تَدَانِيَا (١)

إن الأبيات السابقة لتترك أثراً كبيراً في نفس المثقفي ، لما تحويها من آلام وأسى وحزن ، فالشاعر يضيق ذرعاً بالغرابة ؛ لكنه يشعر بأنه سيفارق الدنيا فيطلب من أصحابه ويوصيهم ، يذكر أهله وحياته السابقة ويتمنى أن يرجع إلى بلدته الأصلية التي رمز لها بشجر الغضا ، حيث إن الغربة في هذه الحالة يمكن أن تدرج تحت مسمى غربة الموت ، فالشاعر يموت بعيداً عن موطنه الأصلي ، لم يودعه أهله وأحبته .

تلك الأبيات أنموذج لشعر الغربة الذي صدر من المجاهدين في سبيل الله ، ونجد أن سبباً آخر وجد في تلك الحقبة وما زال ، إنه الأسر الذي يترك حسرة في القلب وشعوراً بالغرابة ؛ لأن المرء لا يستطيع أن يفك أسرهِ ، فهو مرغم على البقاء فيه ، وهو بذلك يشبه إلى حد قريب غربة المنفى التي عاشها الشاعر أحمد شوقي ، وتجربة الأسر موجودة في أدبنا العربي ، ولعل ما يقاسيه شعراء فلسطين خير دليل على غربة الأسر ، فالأسير يعاني مجموعة من المآسي ، فقد حرم من الحرية ومن رؤية الأهل والأحبة ، ومن التمتع بهذه الحياة . وهذا أبو فراس الحمداني يعيش تجربة الأسر عند الروم ، فأنشأ مجموعة من القصائد وهو في الأسر عرفت فيما بعد بالروميات ، يبيت فيها آلامه ويشكو غرْبته ، فيرسل بمجموعة من الأبيات لأمه من خلالها يواسي نفسه في غرْبته ووحدته ، فيقول : ( الطويل )

مُصَابِي جَلِيلٌ وَالْعَزَاءُ جَمِيلٌ      وَظَنِّي بِأَنَّ اللَّهَ سَوَفَ يُدِيلُ  
جِرَاحٌ تَحَامَاهَا الْأَسَاءُ مَخَوْفَةٌ      وَسُقْمَانٌ بَادٍ مِنْهُمَا وَدَخِيلُ  
وَأَسْرٌ أَقَاسِيهِ وَلَيْلٌ نُجُومُهُ      أَرَى كُلَّ شَيْءٍ غَيْرُهُنَّ يَزُولُ  
تَطْوُلُ بِي السَّاعَاتُ وَهِيَ قَصِيرَةٌ      وَفِي كُلِّ دَهْرٍ لَا يَسْرُكُ طَوْلُ (٢)

ومن بواعث الغربة النفي عن الوطن ، ولعل هذا وجد تحت وطأة الدول الظالمة ، ومن ذلك ما فعله الاستعمار في الوطن العربي ، حيث كان ينفي الطبقة المثقفة التي لها تأثير واضح على الشعب ، ومن هؤلاء الشعراء الذين هم لسان قومهم ، يعبرون بأشعارهم ما يحمس الشباب ويقوي

(١) ديوان مالك بن الريب : تحقيق / د. نوري حمودي القيسي ، مجلة معهد المخطوطات العربية" مج ١٥ ،

ج ١ ، ص ٨٨ - ٩٥ ، جمهرة أشعر العرب : لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق / علي محمد الباجي ، نهضة مصر - القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٦٠٧ - ٦١٤ .

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني : تحقيق / خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٤ ،

عزيمتهم ، ومن أبرز من عانى ويلات النفي شاعرنا أحمد شوقي ، وأستاذه الشاعر الكبير محمود سامي البارودي ( رب السيف والقلم ) ، فعندما قامت الثورة العربية وأحكمت سيطرتها على معظم مصر ، كان البارودي ممن ساعد في قيامها وأيدها واعتبر من أحد قادتها ، فقام الإنجليز بنفيه خارج مصر إلى جزيرة سيرلانكا ( سرنديب ثم سيلان قديماً ) ، وهناك عانى البارودي الأمرين ، مرارة الغربة وقهرها ، ومرارة الوحدة في بلد عز فيه الصديق ، إن إحساسه العميق بالغربة سيطر على كيانه ووجدانه ، فعبر عن ذلك بكثير من الأشعار التي حملت بداخلها آلام الغربة والحنين إلى الوطن ، يقول في إحدى قصائده : ( البسيط )

أَظَلُّ فِيهَا غَرِيبَ الدَّارِ مُبْتَسِئاً      نَابِي الْمَضَاجِعِ مِنْ هَمٍّ وَأَوْجَاعِ  
 لَا فِي سَرَنْدِيبَ خَلُّ أَسْتَعِينُ بِهِ      عَلَى الْهُمُومِ إِذَا هَاجَتْ وَلَا رَاعِي  
 يَظُنُّنِي مَنْ يَرَانِي ضَاحِكاً جَذَلًا      أَنِّي خَلِيٌّ وَهَمِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي  
 وَلَا وَرَبِّكَ مَا وَجَدِي بِمُنْدَرِسٍ      عَلَى الْبِعَادِ وَلَا صَبْرِي بِمِطْوَاعِ  
 لَكُنْتِي مَالِكُ حَزْمِي وَمُنْتَظَرٌ      خَوْفَ الرَّقِيبِ وَقَلْبِي جَدُّ مُتُّاعِ  
 أَكْفُ غَرْبِ دُمُوعِي وَهِيَ جَارِيَةٌ      خَوْفَ الرَّقِيبِ وَقَلْبِي جَدُّ مُتُّاعِ  
 فَإِنْ يَكُنْ سَاعِي دَهْرِي وَعَادِرِي      رَهْنِ الْأَسَى بَيْنَ جَدْبٍ بَعْدَ إِمْرَاعِ  
 فَإِنَّ فِي مِصْرَ إِخْوَانًا يَسْرُهُمْ      قُرْبِي وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَإِبْدَاعِي (١)

إن المعاناة التي عاشها البارودي لتدل بكل وضوح على مرارة الغربة ، فغربة النفي عن الوطن قاسية ، فالوطن عندما يسلب من الإنسان كأن الروح تؤخذ معه ، فتصبح الهموم والأوجاع كثيرة ، فالبارودي يشنق لمصر شوقاً لا يوصف ، ويجري على عادة القدماء في تخيل الرفيقيين بجانبه ، ويطلب منهما عدم الملامة ؛ لأن الغريب لا يلام بسبب أحزانه وغياب عقله من شدتها ، فيذكر اشتياقه لمصر حيث يقول : ( الخفيف )

يَا نَدِيمِي فِي سَرَنْدِيبَ كُفَّا      عَنِ مَلَامِي فَلَيْسَ يُغْنِي الْمَلَامُ  
 أَنَا فِي هَذِهِ الدِّيَارِ غَرِيبٌ      وَغَرِيبُ الدِّيَارِ لَيْسَ يُلَامُ  
 وَادُّكْرًا لِي فَسُطَّاطَ مِصْرَ فَإِنِّي      بِهِوَاهَا مُتِّيمٌ مُسْتَهَامٌ (٢)

(١) ديوان محمود سامي البارودي : تحقيق / علي الجارم ومحمد شفيق معروف ، دار العودة - بيروت ،

١٩٩٨ م ، ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٢) السابق : ص ٦٢٤ .

وهناك باعث آخر مرتبط بالنفى ألا وهو الهجرة ، فالهجرة هي ترك الوطن " سواء كانت فردية أو جماعية ؛ فقد يشعر بعض الأفراد أو الجماعات أن حياتهم في أوطانهم قد أصبحت جحيماً لا يطاق من جراء العراقيل والصعوبات في الحياة السياسية ، أو تعرض البلاد للسيطرة الأجنبية الغاشمة أو الحكم الفردي المستبد ، وقد تتعرض البلاد للضعف والفساد والرشوة ، أو توزيع الثروة توزيعاً مجحفاً مما يسبب لها انهياراً اقتصادياً يترتب عليه عدم قدرتها على توفير الحياة الكريمة ؛ فيضطرون إلى الهجرة طلباً للحرية أو سعياً وراء الرزق (١)"

فالهجرة تنقسم إلى نوعين : النوع الأول وهو هجرة إرادية بسبب سوء الأحوال المعيشية في البلد ، وقلة المصادر التي تكفل الحياة الكريمة للفرد ، أو سوء الأحوال الأمنية بسبب سيطرة المحتل على الوطن ، أو شعور المهاجر بالاغتراب في وطنه مما يدفعه لترك الوطن ، وهذا ما حدث مع شعراء المهجر الذين تركوا أوطانهم ، حيث كونوا مجموعتين : الأولى في أمريكا الشمالية وأسموها الرابطة القلمية ، والثانية في أمريكا الجنوبية وأسموها العصبة الأندلسية ، أما النوع الآخر من الهجرة فهو هجرة قسرية إجبارية وهذا ما حدث مع الشعب الفلسطيني عندما هُجّر من وطنه عنوةً، فقد قام الصهاينة بطرد أصحاب الأرض واستولوا عليها وكونوا فوقها كيانهم المزعوم ، فهذا النوع من الهجرة يشبه إلى حد كبير النفي ، بل إن النفي أهون من ذلك ؛ لأن الإنسان المنفي وطنه ما زال موجوداً ، ولم يطرد منه أهله بعكس الهجرة الجبرية التي ما زلنا نعانيها لوقتنا الحاضر ، فتأثر جميع أبناء الشعب الفلسطيني من هذه المأساة وما زالوا يعانون آلام الغربة ومآسيها في الشتات ، فالشعراء لسان قومهم يعبرون عن هذه المأساة ، فالغالبية العظمى من شعراء فلسطين تحدثوا عن الغربة في أشعارهم ، بل أصبحت سمة في شعرهم ، ومن أمثال هؤلاء الشاعر عبد الكريم الكرمي الذي يقول في قصيدة له بعنوان ( سنعود ) أبيات يبكي مرارة الغربة ويؤكد على العودة القريبة حيث رسم طريق الجهاد والمقاومة لهذه العودة ، فيقول : ( الوافر )

|   |  |
|---|--|
| فَلِسْطِينُ الْحَبِيبَةُ كَيْفَ أَحْيَا | بَعِيداً عَنِ سُهُولِكَ وَالْهَضَابِ     |
| تُنَادِينِي الشَّوْاطِيُّ بِأَكْيَاتِ   | وَفِي سَمْعِ الزَّمَانِ صَدَى انْتِحَابِ |
| تُنَادِينِي الْجَدَاوِلُ شَارِدَاتِ     | تَسِيرُ غَرِيبَةً دُونَ اغْتِرَابِ       |
| تُنَادِينِي مَدَائِنُكَ الْيَتَامَى     | تُنَادِينِي قُرَاكَ مَعَ الْقَبَابِ      |

(١) الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة : د. أمين العمصي ، جامعة قاربيونس - بنغازي ، ط ١ ،

وَيَسْأَلُنِي الرَّقَاقُ أَلَا لِقَاءَ  
 غَدًا سَنَعُودُ وَالْأَجْيَالُ تُصْنَعِي  
 نَعُودُ مَعَ الْعَوَاصِفِ دَاوِيَاتِ  
 مَعِ الْبَرْقِ الْمَقْدَسِ وَالشَّهَابِ  
 أَجَلٌ سَتَعُودُ آلَافُ الضَّحَايَا  
 وَهَلْ مِنْ عَوْدَةٍ بَعْدَ الْغِيَابِ  
 إِلَى وَقْعِ الْخَطَى عِنْدَ الْإِيَابِ  
 ضَحَايَا الظُّلْمِ تَفْتَحُ كُلَّ بَابِ (١)

وهناك بواعث للاغتراب المرتبط بالإنسان داخل مجتمعه ، ومن هذه العوامل : " العاهة الخلقية كالعمى مثلاً ، إذ إن مثل هذه العاهة قد تزيد من حدة العوامل النفسية إلى جانب العوامل الأخرى التي يتعرض لها المرء " (٢) ، فالشاعر أبو العلاء المعري ( رهين المحبسين ) قد أصيب بالعمى في سنواته الأولى ، الأمر الذي شكل رؤية فلسفية عند أبي العلاء ، فالعمى وسوء معاملة الناس له أثر على نمط حياته حتى لقب برهين المحبسين ، فيدافع عن نظرة الناس للأعمى فيما ينم عن شعورٍ بالاغتراب حيث يقول :

إِذَا مَرَّ أَعْمَى فَأِرْحَمُوهُ وَأَيِّقِنُوا  
 وَإِنْ لَمْ تُكْفِّرُوا أَنْ كُلكُمْ أَعْمَى (٣)

وفي قصيدة أخرى يشكو حزنه وآلام اغترابه ، فالألم جعله يعبر عما بداخله بالتوجه إلى الواعز الديني ، فيذكر في هذه الأبيات أن أعمال الخير عند الناس غريبة ، لأنهم لم يتعودوا عليها ، فالإنسان منشؤه من تراب وإليه سيأوي ، والبقاء لله - سبحانه وتعالى - فالكل إلى زوال ويبقى وجه الملك الديان الذي خلق الأرض والإنسان ، حيث يقول المعري : ( الطويل )

وَجَدْتُ سَجَايَا الْفَضْلِ فِي النَّاسِ غُرْبَةً  
 وَإِنَّ الْفَتَى فِيمَا أَرَى بِرِمَانِهِ  
 وَوَالِدُنَا هَذَا التُّرَابُ وَلَمْ يَزَلْ  
 يُؤَدِّي إِلَى مَنْ فَوْقَهُ رِزْقَ رَبِّهِ  
 وَلَا شَيْءَ مِثْلُ الْخَيْرِ يُزَمَعُ تَرْكُهُ  
 وَأَعْدَمَ هَذَا الدَّهْرُ مُغْتَرِبِيهِ  
 لِأَشْبَهَ مِنْهُ شَيْمَةً بِأَبِيهِ  
 أَبَرَّ يَدًا مِنْ كُلِّ مُنْتَسِبِيهِ  
 أَمِينًا وَيُعْطِي الصَّوْنَ مُحْتَجِيهِ  
 وَيُصْبِحُ مَبْذُولًا لِمُكْتَاسِيهِ (٤)

(١) ديوان أبي سلمى عبد الكريم الكرمي : دار العودة - بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٨ م ، ص ١٧٣ .

(٢) المكان في الشعر الأندلسي : محمد الطربولي ، دار الرضوان ، عمان ، ط ١ ، ص ٣٣ .

(٣) شرح اللزوميات : لأبي العلاء المعري ، تحقيق / زينب القوصي - وفاء الأعصر - سيدة حامد - منير المدني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ م ، ج ٣ ، ص ١١٨ .

(٤) اللزوميات : لأبي العلاء المعري ، تحقيق / أمين عبد العزيز الخانجي ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ج ٢ ، ص ٤٣٠ .

ف عوامل الغربية كثيرة ومتغيرة من زمان إلى آخر ، أما عند شوقي فجاءت ضمن أربعة عوامل رئيسة هي : عامل سياسي ، عامل اجتماعي ، عامل نفسي ، عامل ثقافي .  
العامل السياسي :

كان لهذا العامل الأثر الواضح في نشأة الغربية عند شوقي ، فلم ينقطع شوقي عن السفر خارج مصر ، فسافر إلى أماكن كثيرة سواء أثناء تلقيه تعليمه في فرنسا ومنها إلى الجزائر في رحلة علاجية ، وزيارة خاطفة لمدينة لندن ، أم سفره المتكرر عندما عمل في الحكومة المصرية وكان ممثلاً عنها في مؤتمر المستشرقين ، وزياراته مع الخديوي عباس لمركز الحكم في الآستانة ، كل هذه الغربية والبعد عن الوطن كان بإرادة شوقي ، ولم يكن مكرهاً عليه ؛ لذلك لم يترك آلاماً داخل قلبه وكيانه .

إن الغربية الحقيقية هي التي شعر بها شوقي عندما نفي إلى إسبانيا عام ١٩١٤ م ، فقد كان هذا الحدث بمثابة التحول الكبير في حياته ، فمن الحياة الآمنة المطمئنة في ربوع الوطن ، والتتعم بخيراته ، إلى أقسى نوبات الشوق للوطن الذي سيطر عليه ، فيشتاق إلى الوطن لكنه لا يستطيع العودة ، تلك أصعب الفترات التي عايشها شوقي ، ولعله يبين ذلك في بعض الكلمات التي قالها على ظهر السفينة التي أبحرت به إلى المنفى : " فقلت : سييري عوذتك بوديعة التابوت، وبصاحب الحوت ، وبالحى الذي لا يموت ؛ وأسري يا بنة اليم ، زمامك الروح ، وربانك نوح ، فكم عليك من منكوب ومجروح ، إن للنفي لروعة ، وإن للنأي للوعة ، وقد جرت أحكام القضاء ، بأن نعبر هذا الماء ؛ حين الشر مضطرم ، واليأس محتدم ، والعدو منتقم ، والخصم محتكم ، وحين الشامت جذلان مبتسم ، يهزأ بالدمع وإن لم ينسجم ، نفانا حكام عجم ، أعوان العدوان والظلم ، خلفناهم يفرحون بذهب اللجم ، ويمرحون في أرسان يسمونها الحكم . ضربونا بسيف لم يطبعوه ، ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه ، سامحهم في حقوق الأفراد ، وسامحوه في حقوق البلاد، وما ذنب السيف إذا لم يستح الجلاد. " (١)

ولا ننسى الأبيات التي قالها شوقي واصفاً فيها النفي والتشريد الذي مورس عليه وسلب منه أغلى ما في الوجود ، فالنفي أخذ منه خمس سنوات لم يتمتع بها في وطنه ، سنوات عايشها والوطن في أمس الحاجة لأمثاله ، فيقول : ( الكامل )

لَوَلا عَوادِي النَّفْيِ أَوْ عَقْبائُهُ وَالنَّفْيِ حَالٌ مِنْ عَذابِ جَهَنَّمَ  
لَجَمَعْتُ أَلوانَ الحَواذِثِ صَوْرَةً مَتَلَّتُ فِيها صَوْرَةَ المُسْتَسَلِمِ

(١) أسواق الذهب : أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، مطبعة الهلال ، مصر ١٩٣٢ ، ص ٢٨ .

وَحَكَيْتُ فِيهَا النِّيلَ كَاطِمٍ غَيْظِهِ      وَحَكَيْتُهُ مُتَغَيِّظاً لَمْ يَكْظِمِ<sup>(١)</sup>

فالحياة التي عاشها شوقي في الأندلس مزجت فيها آلام الحسرة و الوحدة و مرارة البعد عن الوطن ، فتجربة النفي التي مرت به غيرت مجرى حياته ونظرته إلى الحياة ، فكانت الباعث الأول للغربة الخارجية التي سيطرت على وجوده .

الأحداث السياسية التي عايشها شوقي كان لها تأثير في حياته ، وما أكثرها الأحداث التي عاصرها شوقي ، بدءاً بالحرب العالمية الأولى التي بثت في شعره إشارات واضحة دلت على حالات من الاغتراب منها : ( الكامل )

لا تَذْكُرَنَّ الحَرْبَ أو أهوالها      إلا بقلوبٍ خاشِعٍ يَتَوَجَّعُ  
وَأدْرِفْ على القلبِ الدُّمُوعَ فَكُلُّكُمْ      في آدَمِ أَهْلٍ وَأَدَمٌ يَجْمَعُ<sup>(٢)</sup>

ولا ينسى ما آلت إليه أحوال المسلمين بُعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وإعلان مصطفى أتاتورك سقوط الخلافة الإسلامية ، شعر المسلمون بفقدان جزءاً مهماً من عقيدتهم ، وشوقي أحد المسلمين الغيورين على دينهم ، ألمه ما حدث وخيم الحزن على قلبه ، وأنشأ يقول في مناسبات عدة عن سقوط الخلافة : ( الكامل )

الهنْدُ وَالهِةُ وَمِصرُ حَزِينَةٌ      تَبْكِي عَلَيْكَ بِمَدَمَعِ سَاحِ  
وَالشَّامُ تَسْأَلُ وَالعِراقُ وَفارسِ      أَمَحاً مِنَ الأَرْضِ الخِلافةَ ما حِ  
وَأَتَتْ لَكَ الجُمُعُ الجلائِلُ مَأْتِماً      فَفَعَدَنَ فِيهِ مَقَاعِدَ الأَنْواحِ  
يا لِلرِّجالِ لِحُرَّةٍ مَوْوُودَةٍ      فُتِّلَتْ بِغَيْرِ جَرِيرَةٍ وَجُنَاحِ<sup>(٣)</sup>

ولا يتوقف الباعث السياسي عند هذه الأمور سابقة الذكر ، بل كان لمعاناة الدول العربية نصيب كبير في شعر شوقي ، وأصدق هذه الأشعار ما نظمه شوقي في نكبة دمشق عندما فتك بها الفرنسيون عام ١٩٢٦ م ، وأنشأ شوقي تلك القصيدة وألقاها في حفل لمساعدة منكوبي سوريا حيث أقيم الحفل بحديقة الأزبكية بالقاهرة ، يقول فيها : ( الوافر )

سَلامٌ مِنَ صَبا بَرَدِي أَرَقُّ      وَدَمَعٌ لا يُكفِّكُ يا دِمَشقُ

(١) الشوقيات : ص ٦٠٤-٦٠٥ .

(٢) السابق : ص ٤١٥ .

(٣) السابق : ص ٢٠٤ .

لحاهما اللأه أنباء تواليت  
تكدأ لزوعاة الأحداث فيها  
وقيل معالم التاريخ دكت  
ألت دمشق للإسلام ظئراً  
على سمع الولي بما يشق  
تخال من الخرافة وهي صدق  
وقيل أصابها تلف وحرق  
ومرضعة الأبوة لا تعق<sup>(١)</sup>

فالعامل السياسي تمثل في الأحداث التي مرت بها المنطقة ، فالحروب التي كانت تخوضها الدولة العثمانية ، مروراً باتجاه شوقي إلى العمل في السياسة من خلال عمله في الحكومة المصرية ، واشتعال الحرب العالمية الأولى ، وطرد الخديوي عباس ، وتعيين السلطان حسين كامل على عرش مصر ، وسيطرة الإنجليز على مقاليد الحكم في مصر ، وسقوط الخلافة الإسلامية على يد مصطفى أتاتورك ، والأحداث التي تعرضت لها بعض الدول العربية .

### العامل الاجتماعي :

الإنسان بفطرته كائن اجتماعي ، يتأثر بمجتمعه ويؤثر فيه ، فلا يمكن لأحد أن يعيش منفرداً إلا إذا كان يعاني من حالة مرضية ، فالحياة الاجتماعية مرتبطة بجميع نواحي الحياة ، ولا يمكن التعامل معها منفردة .

من الظواهر الاجتماعية التي تدفع الإنسان للشعور بالاعتزاز بالظلم الاجتماعي كإرغام الأهل بناتهم للزواج ممن يفوقون أعمارهن بكثير ، هذه الظاهرة التي انتشرت بشكل واسع في مصر آنذاك ، فقال شوقي محارباً هذه الظاهرة : ( الكامل )

ظلم الرجال نساءهم وتأسفوا  
يا معشر الكتاب أين بلاؤكم  
أيهمكم عبث وليس يهكم  
عندي على ضيم الحرائر بينكم  
هل للنساء بمصر من أنصار  
أين البيان وصائب الأفكار  
بنيان أخلاق بغير جدار  
نبأ يثير ضمائر الأحرار<sup>(٢)</sup>

تأثر شوقي بالمجتمع المصري لاسيما عندما عاد من منفاه ، فكان يواكب كل حدث اجتماعي داخل مصر ، ويقول في ذلك أشعاراً ، أما على صعيد حياته الاجتماعية فيتمثل الاعتزاز في فقدانه لأعز الناس على قلبه ، فعندما علم بموت أمه وهو في منفاه اشتعلت النيران

(١) الشوقيات : ص ٤٤٦ .

(٢) السابق : ص ٣٣٣ .



في قلبه ، وكأنها السهام أصابته في سويداء القلب ، شعور بفقدان أحب الناس إلى قلبه ، وفقدان الوطن العزيز عليه ، يقول في قصيدة نظمها رثاء لأمه : ( الطويل )

إلى الله أشكو من عوادي النوى سهما  
 من الهاتكات القلب أول وهلة  
 توارد والناعي فأوجست رنة  
 فما هتفا حتى نزا الجنب وإنزوى  
 ولم أر حكماً كالمقادير نافذاً  
 أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى  
 وما دخلت لحماً ولا لامست عظما  
 كلاماً على سمعي وفي كيدي كلما  
 فيا ويح جنبي كم يسيل وكم يدمى  
 ولا كلقاء الموت من بينها حتما (1)

أكثر شوقي من الرثاء في ديوانه ، ولعل ذلك نابع من كثرة معارفه الذين تعرف عليهم ، حتى أننا نجده يرثي الشخص في أكثر من قصيدة ، كما حدث مع بشارة تقلا ، لما له من الفضل الكبير عليه والاهتمام به في بداية حياته ، فكان تأثر شوقي بالمجتمع وشعوره أحياناً بضرورة تغيير الواقع للأفضل ، وهذا ما نلمسه في أشعاره .

#### العامل النفسي :

يعتبر العامل النفسي من أكثر العوامل تأثيراً في شعر الغربة ، فالعامل النفسي مرتبط بشعور الإنسان وتأثره بمن حوله ، ومرتبب ارتباطاً كبيراً بالواقع الذي يعيشه الشاعر ، فتمثل العامل النفسي في شعر شوقي في مجالات ثلاث هي : تعلق شوقي ببلده مصر وجمالها ، وشيخوخة الشاعر ومرضه ، وقلق الموت ، فهذه العناصر الثلاث تتبلور فيها النواحي النفسية التي بعثت الشعور بالغربة والحنين .

كان شوقي متيماً بوطنه ، مغرماً بجمال مصر ونيلها ، كل شيء في مصر كان له وقع حسن في نفس شوقي ، ولعل الرسالة التي أرسلها شوقي - وهو في منفاه في أسبانيا - إلى رئيس جريدة الأهرام يوضح فيها مدى اشتياقه وحنينه لمصر وللشرب من النيل هي تعبير صادق لما يجول في نفس الشاعر من حب صادق ، ومشاعر جياشة لشخص عانى ويلات الغربة عن أعز ما في الوجود حيث يقول شوقي في هذه الرسالة : ( البسيط )

يا ساكني مصر إنا لا نزال على  
 هلاً بعثتم لنا من ماء نهركم  
 عهد الوفاء وإن غبنا مُقيمينَا  
 شيئاً نبُلُّ به أحشاء صادينَا

(1) الشوقيات : ص ٥٤٨ - ٥٤٩ .

كُلِّ الْمَنَاهِلِ بَعْدَ النَّيْلِ آسِنَّةٌ\* مَا أَبْعَدَ النَّيْلَ إِلَّا عَنِّ أَمَانِينَا (١)

جاء نداء شوقي لأهل مصر ليؤكد لهم على شدة حنينه لمصر ، مصر الشعب ، ومصر النيل ، ومصر الحضارة ، فيقرب لنا صورة الحنين المتجسد في بعد النيل عنه إلا بالأمني ، وجاء حث شوقي لأهل مصر بأن يبعثوا له من مياه النيل ليبل شوقه وحنينه ، فهو لا يستسيغ المياه بعد نهر النيل ولو كانت مناهل .

وتصل الحالة النفسية إلى أعلى مستوياتها عندما يطأ شوقي بقدمه ثرى مصر بعد سنوات من الغربة ، فللوطن مكانة تسيطر على النفس ، وحبه كامن بين ضلوع المرء ، فأول كلمات قالها شوقي أثناء استقبال الجماهير له بعد عودته من المنفى : ( الوافر )

وَيَا وَطَنِي لَقَيْتُكَ بَعْدَ يَأْسٍ      كَأَنِّي قَد لَقَيْتُ بِكَ الشَّبَابَا  
وَلَوْ أَنِّي دُعِيتُ لَكُنْتُ دِينِي      عَلَيهِ أَقَابِلُ الحَتمِ المُجَابَا  
أُدِيرُ إِلَيْكَ قَبْلَ البَيْتِ وَجَهِي      إِذَا فُهِتُ الشَّهَادَةَ وَالْمَتَابَا (٢)

ومن البواعث النفسية عند شوقي تحسره على فترة شبابه ، وحنينه لتلك الأيام ، كل هذه الأحاسيس يجسدها إكثار الشاعر من ذكره فترة الشباب في قصائده ، لاسيما تلك القصائد التي قالها عندما شارف الستين من العمر ، ففترة الشباب أجمل فترات العمر وأحفلها بالأحداث العزيزة على قلب كل إنسان ، يذكر شوقي ذلك في شيخوخته ، فيخاطب أيام صباه ، وأيام شبيهه بمجموعة من الأبيات المعبرة حيث يقول : ( الطويل )

أقول لأيام الصبا كلما نأتُ      أما لك يا عهدَ الشباب مُعيدُ  
وكيف نأتُ والأمسُ آخرُ عهدِها      لأمسُ كباقي الغابرات عهيدُ  
جزعتُ ، فراعتني من الشيبِ بسمةً      كأنني على دَرِبِ المشيبِ أبيدُ  
ومن عبث الدنيا وما عبثت سديَّ      شبيبا وشبنا والزمانُ وليدُ (٣)

(١) الشوقيات : ص ٦٨٨ .

(٢) السابق: ص ١٠٥-١٠٦ .

(٣) السابق: ص ٢٤٤-٢٤٥ .

فالملاحظ من تلك الأبيات كثرة مدلولات الشباب ، ويقابلها مدلولات الكبر ، وذلك إيحاء من شوقي على عظم حزنه ومعاناته المصاحبة لفترة الشيب ، ولعل أصدق تعبير منه قوله: (جزعت) التي تحمل دلالة الخوف الشديد لما هو قادم في مرحلة الشيب .

إن الشعور بانتهاء فترة الشباب والإقبال على مرحلة الضعف والوهن يترك في النفس ألماً وحسرة ، فمرحلة الشيخوخة يحس الإنسان فيها بدنو الأجل مما يجعله يشعر بنوع من الاغتراب بعدما كان في قمة نشاطه وعنفوانه ، فالقلب يخفق لتلك الأيام ويتمنى أن تعود ؛ ولكن أتى ذلك فما مضى لا يمكن أن يعود ، يقول شوقي عن ذلك : ( الكامل )

خَلَقَ الشَّبَابُ وَلَا أزالُ أصونهُ      وَأنا الوَفِيُّ مَوَدَّتِي لا تَخْلُقُ  
قَلْبِي إِذْ كَرَّتَ اليَوْمَ غَيْرُ مَوْفَقٍ      أَيَّامَ أَنْتَ مَعَ الشَّبَابِ مَوْفَقُ  
فَخَفَّتْ مِنْ ذِكْرِي الشَّبَابِ وَعَهْدِهِ      لَهْفِي عَلَيْكَ لِكُلِّ ذِكْرِي تَخْفُقُ<sup>(١)</sup>

أما قلق الخوف من الموت فكان شديد الظهور في شعره ، ولعل ذلك ما أظهر أسباب الاغتراب بشكل واضح عنده ؛ لأن شعور الإنسان بأنه مفارق لهذه الحياة يجعله يشعر بأنه غريب فوق هذه الأرض ، وهذا ما حدث مع شوقي ، حاله كحال كثير من الناس ؛ لكن الشاعر يختلف عن العامة لامتلاكه ملكة الشعر التي يعبر من خلالها عما يجول بين ثنايا قلبه ، فهذا الشعور يغلب على الإنسان في مراحل متقدمة من العمر ، حت يوصي شوقي أبناءه بعدما شعر بدنو الأجل واقترب الموت منه، يوصيهم بأن الدنيا لا أمان لها ، وأنها فانية لامحالة ، فهي دار ممر وليست دار مقر ، حيث يقول: ( الوافر )

كَأني بِالْحِمَامِ أَصابَ رُكنِي      فمَالَ وَأَيُّ رُكنٍ لا يَمِيلُ  
وَأدْرُكَنِي وَنَجْمُ صِبايِ عالٍ      فَخَرَّ النَّجْمُ وازدَوَجَ الأَفْولُ  
فلا يَغْرُزُ كَمَا وُلْدِي بَعْدِي      رُها الدُّنيا ومنظرُها الجَميلُ<sup>(٢)</sup>

(١) الشوقيات : ص ٢٤٤-٢٤٥ .

(٢) السابق : ص ٥١٢ .

## العامل الثقافي :

وللكشف عن هذا العامل عند شوقي ، يتضح ذلك من نهجه في نظم الأشعار وبث الحياة في الشعر العربي من جديد ، والاستفادة من عراقة الشعر العربي القديم (الجاهلي ، صدر الإسلام، الأموي ، العباسي ، الأندلسي) ولعل هذا يندرج تحت الثقافة الكبيرة عنده ، فشوقي قد شعر بالواقع الأليم للأدب العربي الذي أصابه الوهن والضعف، وابتعد كثيراً عن لمعانه وبريقه بعدما كان في أزهى حال ، وأنقى صورة، فعكف على استنساخ التجربة العظيمة للشعر من جديد ، فمعارضات شوقي لكثير من الشعراء في العصور الزاهية للأدب العربي ما هو إلا حنين لتلك الأيام ، وشعور بالاغتراب في وقت ندر فيه من ينظم أشعاراً ترتقي لهذا الأدب العظيم ، والملاحظ في ديوان شوقي كثرة هذه المعارضات، فقد عارض شوقي البحتري في سينيته المشهورة في وصف إيوان كسرى ، وعارض ابن زيدون في نونيته المشهورة في غزل ولادة ، وعارض كعب بن زهير والبوصري في قصيدته نهج البردة ، ومعارضاته المختلفة لأبي نواس ، وكذلك تمثله للمتنبى في مواضع كثيرة من القصائد .

كانت معارضات شوقي وإحياءه للتراث العربي من خلال أشعاره المرتبطة بالحقبة الزاهية للأدب العربي بمثابة دليل على معاناة شوقي من الانحطاط الذي وصل إليه الشعر ، بعدما عمّ الآفاق ، وتغنت به الدنيا .

إن بواعث الغربة عند شوقي تنوعت بتنوع الحياة التي عاشها ، ومع الفترة العمرية التي قضاها ، فكل حدث مرَّ بحياته ترك أثراً عليه ، حيث تنوعت هذه البواعث إلى سياسية واجتماعية ونفسية وثقافية .

### المبحث الثالث : أنواع الغربة :

خُلط بين مفهومي الغربة والاعتراب كثيراً ، فالفصل بينهما أمر صعب ؛ لكن الجامع بينهما أن كلاً من الإنسان الغريب والمغترب يشعر بمرارة الأذى والحزن العميق في النفس ، وفي كلا الأمرين يوجد إحساس بالألم والحرقنة التي تحتاج لوقت كبير لكي يبرأ الإنسان من ذلك ، وعلى ذلك فالغربة تنقسم إلى قسمين في شعر شوقي :

#### الغربة الداخلية : ( الاعتراب ) :

" وهي شعور الإنسان بالانفصال عن مجتمعه ، وإحساسه بأنه غريب داخل وطنه ، يعرفه شيخ الإسلام الهروي الأنصاري " بأنه أمر يشار به إلى الانفراد على الأكفاء " ، فالاعتراب يكون بين الناس واعتراب المؤمنين بين المسلمين ، فالمؤمن الحق مغترب بين المسلمين لأن الإسلام درجة والإيمان درجة ، ثم هناك أعلى درجات الاعتراب وأشدها وحشة وهو اغترب العلماء بين المؤمنين ، فالعلماء أشد الناس غربة ، المعتزلة غرباء ، والخوارج كذلك ، وفلاسفة المسلمين غرباء ، فقد تعرضوا للسجن والقتل وإحراق كتبهم " (١) .

فالاعتراب موجود في حياة الأمة الإسلامية ، نشعر به في درجات فالرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - يقول : " بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء " . (٢)  
"أما نظرة العالم الغربي للاعتراب فهي مختلفة باختلاف وجهاتهم الفلسفية ، فيرى (فهيجل) : أن الاعتراب في صميم بنية الحياة الكلية حيث يتجسد في ضياع الإنسان بشخصيته الأولى وتحوله لإنسان آخر ؛ لكن ماركس يرى : أن الاعتراب يُرى في حالات اغتراب الإنسان عن عمله وزملائه بحيث لا يكون الإنسان ذاته ، ويفقد حرته واستقلاله الذاتي ويصبح ملكاً لغيره .

أما الاعتراب عند الوجوديين هو البعد عن الوجود العميق للإنسان ، فينظرون إلى الإنسان أنه حر لا يمكن أن يقيد " (٣) .

لقد تجسدت الغربة الداخلية عند شوقي في بعض المواقف التي كان يشعر فيها بشدة الشوق إلى تاريخ الأمة الإسلامية ، وتأيبده للمواقف العظيمة للقادة الأتراك وانتصاراتهم في بعض المعارك ، فلعل السبب الرئيس للغربة الداخلية عند شوقي كامن في العامل النفسي المتعلق بأمور الدين وإحياء التراث العريق للأمة الإسلامية والعربية .

(١) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : فاطمة صحصح ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

(٢) صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٣٠/١ .

(٣) بتصرف : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ، ص ٣٣-٣٤ .

انقسمت حياة شوقي إلى قسمين : قسم قبل نفيه إلى إسبانيا ، والآخر بعد النفي وعودته إلى أرض الوطن ، فكانت تسيطر على القسم الأول حياة مسخرة لمدح السلطة الحاكمة ، وانشغال بأمور الدولة من خلال سفره للعديد من المؤتمرات خارج الوطن حيث كان مبعوثاً من الحكومة المصرية ، وهذا ما وضحناه في التمهيد .

لقد تجسد الاغتراب في شعر شوقي بالناحية النفسية وشعوره بنوع من الضيق النفسي لما مر عليه في فترات حياته ، حيث ركز شوقي في القسم الأول من حياته على أموره الشخصية ، وفي القسم الآخر سخرها للأمة الإسلامية والعربية ، لذا نجد الاغتراب عند شوقي انطلق من عدة نواحٍ تمثلت في غربة الموت التي تحدث عنه كثيراً في ديوانه ، فيقول في موت أمه مجموعة من الأبيات التي تعبر عن شعوره بالغربة حيث يقول : ( الطويل )

|                                   |   |
|-----------------------------------|---|
| إلى الله أشكو من عوادي النوى سهما | أصاب سُويداءَ الفؤادِ وما أصمى                  |
| من الهاتكاتِ القلبِ أولَ وهلةٍ    | وما دخلتَ لهماً ولا لامستَ عظما                 |
| تواردَ والناعي فأوجستُ رنةً       | كلاماً على سمعي وفي كيدي كلما                   |
| فما هتفا حتى نزا الجنبُ وانزوى    | فيا ويحَ جنبي كم يسيلُ وكم يدمى                 |
| إذا طويت بالشهبِ والدُهمِ شقَّةً  | طوى الشهبَ أوجابَ الغدافيةِ الدُهما             |
| ولم أرَ كالأحداثِ سهماً إذا جرت   | ولا كالليالي رامياً يُبعِدُ المرمى              |
| ولم أرَ حكماً كالمقاديرِ نافذاً   | ولا كلقاءِ الموتِ من بينها حتماً <sup>(١)</sup> |

إن الأبيات سابقة الذكر تبين مرارة الغربة ، فهذه الأبيات أنشأها شوقي وهو في منفاه عندما وصله خبر وفاة أمه عام ١٩١٨ م ، فلم يتمالك نفسه من الحزن ، ففقدان الأحبّة في حد ذاته أمر ثقيل على النفس ؛ وهل أحب على القلب من الأم؟! إن شوقي في هذه الأبيات يشعر بألم الفراق ومرارة البعد عن أحب وقد وارى الموت أقربهم لقلبه وهو في المنفى .

ينظر شوقي إلى الموت بأنه أمر يجب على الإنسان أن يتعظ منه فهو ينطلق من قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " كفى بالموت واعظاً "<sup>(٢)</sup> ، ويجسد ذلك صراحة في حديثه عن الموت فيقول : ( الهزج )

(١) الشوقيات : ص ٥٤٨ - ٥٤٩ .

(٢) الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق/ يوسف النبهاني ، دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، ط ١ ، ٢٩٨/٢ .

أرى الموت على الغبرا      هو الجامع الكبرى  
هو الدرب إلى الدنيا      هو الدرب إلى الأخرى  
فإن لم يك غير الموت      من عاقبة تُدرى  
ولا ما يمنع الموت      ولا ما يصل العُمرا<sup>(١)</sup>

لقد أكثر شوقي في الأبيات السابقة من ذكر الموت ، فلم يخلُ بيت منها من ذكره أو الإشارة إليه ، وهذا راجع إلى الجانب النفسي في حياة شوقي ، المتأثر بما يواجهه من أزمات ومتغيرات تلقي بظلالها على إحساسه بالاعتراب .

ويقول في يوم وفاة والده وكان يوم ميلاد ابنته أمينة ، حيث يذكر حال الدنيا أنها غير ثابتة ، وبها العبر والعظات : ( السريع )

يا لَيْلَةً سَمَّيْتُهَا لَيْلَتِي      لِأَنَّهَا بِالنَّاسِ مَا مَرَّتْ  
أَذْكُرُهَا وَالْمَوْتَ فِي ذِكْرِهَا      عَلَى سَبِيلِ الْبَثِّ وَالْعِبْرَةِ  
لِيَعْلَمَ الْغَافِلُ مَا أَمْسَهُ      مَا يَوْمُهُ مَا مُنْتَهَى الْعَيْشَةِ  
هَذَا فَتَى يُكِي عَلَى مِثْلِهِ      وَهَذِهِ فِي أَوَّلِ النَّشْأَةِ  
وَتِلْكَ فِي مِصْرَ عَلَى حَالِهَا      وَذَلِكَ رَهْنُ الْمَوْتِ وَالْعُرْبَةِ<sup>(٢)</sup>

الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات ، هذا الإحساس عندما يخيم على المرء يشعر بأن الدنيا لا مخلد فيها وأنا إلى زوال ، عبر شوقي عن هذا الإحساس بقوله : ( الخفيف )

بَطَلُ الْمَوْتِ فِي الرِّوَايَةِ رُكْنٌ      بُنِيَتْ مِنْهُ هَيْكَلًا وَفُصُولًا  
كُلَّمَا رَاحَ أَوْ غَدَا الْمَوْتُ فِيهَا      سَقَطَ السِّتْرُ بِالْذُمُوعِ بَلِيلًا  
ذِكْرِيَّاتٌ مِنَ الْأَحْبَبَةِ تُمَحَى      بِيَدِ اللَّزْمَانِ تَمَحُو الطُّلُولًا  
كُلُّ رَسْمٍ مِنْ مَنَزَلٍ أَوْ حَبِيبٍ      سَوْفَ يَمْشِي الْبَلَى عَلَيْهِ مُحِيلًا<sup>(٣)</sup>

(١) الشوقيات : ص ٢٩٤ .

(٢) السابق : ص ١٩٣ .

(٣) السابق : ص ٤٩٠ .

فالموت حق على كل البشرية ، فهو نهاية كل إنسان ، فمهما لها وتمتع بخيرات الدنيا لا بد له من أن يذوق طعم الموت ، يقول شوقي في ذلك : ( الكامل )

والموت حق في البرية قاهر  
عجبي لحق قام باستبداد  
لا جد إلا الموت والإنسان في  
لعب الحياة ولهوها متماد  
من ذم من ورد الشبيبة شوكة  
حمل المشيب إليه شوك قتاد  
حرص الرجال على حياة بعدها  
حرص الشحيح على فضول الزاد<sup>(١)</sup>

نرى إحساس شوقي بألم الفراق والشعور بالوحدة والاعتراب بعد فراق أبيه ، وذلك في قصديته التي رثى فيها أباه ، فيقول : ( الرمل )

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَنَا أَنْ تَلْتَقِي  
مَرَّةً أَمْ ذَا إِفْتِرَاقِ الْمَلَوِينِ<sup>(٢)</sup>

ويخاطب أيام الصبا ، تلك اللحظات الجميلة في حياته ، عندما رأى الشيب يغزو حياته، فينشئ الأبيات الآتية : ( الطويل )

أقول لأيام الصبا كلما نأت  
أما لك يا عهدَ الشباب مُعيدُ  
وكيف نأت والأمسُ آخرُ عهدِها  
لأمسُ كباقي الغابرات عهيدُ  
جزعتُ ، فراعنتي من الشيبِ بسمةً  
كأنِّي على دَرَبِ المشيبِ لبيدُ  
ومن عبث الدنيا وما عبثت سدي  
شبيننا وشبنا والزمانُ وليدُ<sup>(٣)</sup>

وعندما دنا أجل شوقي بدأ يشعر بالاعتراب الحقيقي ، اغتراب المفارق لهذه الدنيا ، فأخذ ينصح أبناءه بأن الدنيا فانية ، وألا يغروا بها حيث يقول : ( الوافر )

كأنِّي بالحمام أصابَ رُكني  
فمَالَ وأيُّ رُكْنٍ لا يميلُ  
وأدرُكني ونجمُ صباي عالٍ  
فخَرَّ النجمُ وازدوجَ الأفولُ  
فلا يغررُكمَا ولديَّ بعدي  
زُها الدنيا ومنظرُها الجميلُ<sup>(٤)</sup>

(١) الشوقيات : ص ٢٤٨ .

(٢) السابق : ص ٧٠٨ .

(٣) السابق : ص ٢٤٤-٢٤٥ .

(٤) السابق : ص ٥١٢ .



نعم ، هذا الشعور الذي غزا فكر الشاعر وأحاسيسه جعل اللسان ينطق بتلك النصائح الثمينة التي تظهر حكمة شوقي ؛ لأنه بدأ يقطف ثمار تجاربه في الحياة ، فها هو يستنكر على أهله صمتهم وهدوءهم وهو طريح فراش الموت فيقول في ذلك : ( البسيط )

يَا وَيْحَ أَهْلِي أَبْلَى بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ      وَيَدْرُجُ الْمَوْتُ فِي جِسْمِي وَأَعْضَائِي  
وَيَنْظُرُونَ لِحَنْبٍ لَا هُدُوءَ لَهُ      عَلَى الْفِرَاشِ وَلَا يَدْرُونَ مَا دَائِي (١)

إن شعور شوقي بدنو الأجل في مرضه الأخير أظهر جلياً تلك الغربة التي سيطرت عليه في نهاية العمر ، فجعل يعبر عن تلك الأحاسيس في قصائد أو ضمن أبيات محددة .

لقد ألقى الجانب النفسي بظلاله على إحساس شوقي بالاغتراب ؛ فطفق يعبر عما يسيطر على تفكيره ووجدانه ، وعما يجول في صدره ، من أسى وحزن يذكرها في الأبيات الآتية، فيقول : ( السريع )

الْحَدُّ مِنْ دَمْعِي وَمِنْ فَيْضِهِ      يَشْرَبُ مِنْ عَيْنٍ وَمِنْ جَدُولِ  
وَالشَّوْقُ نَارٌ فِي رَمَادِ الْأَسَى      وَالْفِكْرُ يُذْكَرُ وَالْحَشَا يَصْطَلِي  
وَالْقَلْبُ قَوَامٌ عَلَى أَضْلَعِي      كَأَنَّهُ النِّاقُوسُ فِي الْهَيْكَلِ (٢)

يشعر شوقي بالوحدة ، والفراق لمن أحبهم ، وأن الليالي أبعدتهم عنه ، فيتذكر الليالي الجميلة التي عاشها معهم ، ويحن لتلك الأيام ، فيبكي هذه الليالي التي مرت مرور البرق فينشئ مجموعة من الأبيات منها : ( الكامل )

أَبْكِي لِيَالِينَا الْقِصَارَ وَصُحْبَةً      أَخَذَتْ مُخَيَّلَتَهَا تَجِيشُ وَتَبْرُقُ (٣)

ويقول أيضاً في تحمله مصائب الدهر : ( البسيط )

صَبْرًا عَلَى الدَّهْرِ إِنْ جَلَّتْ مَصَائِبُهُ      إِنَّ الْمَصَائِبَ مِمَّا يَوْقِظُ الْأُمَمَا (٤)

(١) الشوقيات : ص ٥٣٢ .

(٢) السابق : ص ٥٣٢ .

(٣) السابق : ص ٤٥٠ .

(٤) السابق : ص ٥٧٣ .

لا يقف شوقي عند هذا الحد في وصفه لحالته النفسية ، بل يصل به الأمر إلى التضرع لله - تبارك وتعالى - بأن يخفف عليه ما يعاني ، وأن يعينه على الصبر ويأتي له بالفرج ؛ لأن الدنيا ضاقت عليه ، حيث يقول في أكثر من موضع داعياً الله - جلّ وعز - : ( الرجز )

يا رَبَّنَا الْخَطْبُ جَيْلٌ      فَكُنْ مُعِيناً يَا جَيْلٌ  
وَأَعْطِنَا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ      يَا خَيْرَ مَنْ يُؤَلِي الْجَمِيلَ  
فَسُقْ إِلَيْنَا الْفَرْجَا      فَمَا عَلَيْكَ مُسْتَحِيلٌ<sup>(١)</sup>

تجعل الحالة النفسية المرء يفكر في أمور كثيرة ، تخيم الحيرة على تفكيره وخياله ، وذلك بسبب الإحساس بالعزلة في مجتمع متقلب ، لا تضبطه السلوكيات ، مجتمع متغير من حال إلى حال ، فشوقي يعبر عن ذلك في قصيدة له بعنوان ( حيران ) ، يذكر همومه التي منعت النوم ، وسيطرت عليه الأحزان ، ومن هذه القصيدة الأبيات الآتية : ( الكامل )

ذَادَ الْكَرَى عَنِ مُقَاتَيْكَ جِمَامٌ      لَبَاهُ شَوْقٌ سَاهِرٌ وَعَـرَامٌ  
حَيْرَانُ مَشْبُوبُ الْمَضَاجِعِ لَيْلُهُ      حَرَبٌ وَلَيْلُ النَّائِمِينَ سَلَامٌ  
بَيْنَ الدُّجَى لَكُمَا وَعَادِيَةِ الدُّجَى      مَهَجٌ نُؤَلَّفُ بَيْنَهَا الْأَسْقَامُ  
تَتَّعَاوَنَانِ وَلِلتَّعَاوُنِ أُمَّةٌ      لَا الدَّهْرُ يَخْذُلُهَا وَلَا الْأَيَّامُ  
يَا أَيُّهَا الطَّيْرُ الْكَثِيرُ سَمِيرُهُ      هَلْ رِيشَةٌ لِجَنَاحِيهِ فَيَقَامُ  
عَانَقَتْ أَغْصَانًا وَعَانَقَتْ الْجَوَى      وَشَكَّوتَ وَالشَّكْوَى عَلَيَّ حَرَامٌ  
أَمْحَرَّمُ الْأَجْفَانَ إِدْنَاءَ الْكَرَى      يَهْنِيكَ مَا حَرَّمَتْ حِينَ تَنَامُ<sup>(٢)</sup>

ويخاطب قلبه في قصيدة أخرى بألا يجزع لمتغيرات الدنيا ، وأن يصبر على حوادث الدهر ، فحوادث الدهر مستمرة ما استمرت حياة الإنسان ، فيقول : ( الكامل )

عَمَدَتْ إِلَى قَلْبِي بِسَهْمٍ نَافِذٍ      فِيهِ لِمَحْتَمِومِ الْقَضَاءِ سِبْهَامُ  
يَا قَلْبُ لَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ الْهَوَى      وَاصْبِرْ فَمَا لِلْحَادِثَاتِ نَوَامُ  
عَرَفَتْ قُلُوبُ النَّاسِ قَبْلَكَ مَا الْجَوَى      وَأَذَاقَهَا قَدْرٌ لَهُ أَحْكَامُ

(١) الشوقيات : ص ٥٤٠ .

(٢) السابق : ص ٥٩٧ .

ما كُنْتُ أَعْلَمُ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ      أَنَّ الْحَوَادِثَ مُقَالَةٌ وَقَوَامٌ<sup>(١)</sup>

ويقول أيضاً في معرض حديثه عن تغير الأحوال واختلافها : ( الكامل )

يا طير مالك لا تهيج لك الجوى      نسمات أسحار خطن رفاقُ  
مات الحمولى والغرامُ فلا الصبّا      في العالمين صبّا ولا العشاقُ<sup>(٢)</sup>

إن الحزن عندما يملأ حياة الإنسان يشعر بألم نفسي عميق ، ويؤثر هذا على مجرى حياته، فالقلب يدمع والليل يصبح طويلاً حيث يقول شوقي في ذلك قصيدة مطلعها ( القلب يذوب ) :  
( الكامل )

قَلْبٌ يَذُوبُ وَمَدْمَعٌ يَجْرِي      يَا لَيْلُ هَلْ خَبَّرَ عَنِ الْفَجْرِ  
حَالَتْ نُجُومُكَ دُونَ مَطْلَعِهِ      لَا تَبْتَغِي حِيُولًا وَلَا يَسْرِي  
وَتَطَاوَلَتْ جُنْحًا فَخِيْلَ لِي      أَنَّ الصَّبَاحَ رَهِيئَةً الْحَشْرِ<sup>(٣)</sup>

ويخاطب شوقي الزمان الذي غمر الحياة الاجتماعية بالمصائب في ذاك العصر في مجموعة من الأبيات مخاطباً فيها الزمان أن يخفف من وطأته على الناس ، فمصائبه تنسف الجبال فكيف بالإنسان؟! حيث يقول :

قُلْ لِلزَّمَانِ يَصُبُّ مِنْ أَحْدَاثِهِ      أَوْ لَا يَصُبُّ فَمَا بِنَا إِشْفَاقُ  
عَمَرَتْ مَصَائِبُهُ فَأَغْرَقْنَا بِهَا      وَالْعَمْرُ فِيهِ تَسْتَوِي الْأَعْمَاقُ  
لَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَمِيدُ لِهَوْلِهِ      شُمُّ الْجِبَالِ وَتُظْلَمُ الْأَفْئَاقُ  
فَهِنَاكَ إِمَّا طَالَتْ الْأَعْنَاقُ مَا      طَالَتْ وَإِمَّا زَالَتْ الْأَعْنَاقُ<sup>(٤)</sup>

يصل شوقي إلى قناعة أن الدهر مختلف ومتقلب ، وأنه غير ثابت ، فالزمان يعطيك أياماً تسعدك وتفركك وستأتيك أزمان تشغلك بمصائبها ، لذلك على المرء أن يتأقلم مع هذا الأمر

(١) الشوقيات : ص ٥٧٥ .

(٢) السابق : ص ٤٤٨ .

(٣) السابق : ص ٥٧٥ .

(٤) السابق : ص ٤٤٥ .

فهناك أيام جميلة تمر عليه ، وأيضاً أيام مريرة ، فعليه أن يكون ابن يومه ، وألا يكدر حياته بتغيرات الدهر ، فيقول : ( الوافر )

وأعلمُ أنّ للدهرِ اختلافاً  
وأنّ الجَدَّ يَـنْهَضُ أو يَـنْزِلُ  
وأنّ النَّفْسَ لِلإنْسَانِ كُلِّ  
إذا بقيت عليه وزالَ كُلُّ  
عَرَفَت سَجِيَّةَ الدنْيا فدعها  
تَمُرُّ على سَجِيَّتِها وتحلو<sup>(١)</sup>

ويقول شاكياً حزنه وبائناً شجونه ، وإحساسه بالألم في واقع مرير : ( الطويل )

أتشغلُ قلبي الراحُ عن بعضِ ما به  
ومُضْطَرِبٌ لا يهدأُ الأيُّكُ تحتهُ  
برى البين ظُفْرِيه وأذهب ريشه  
يكاد يلين الجذع من زفراته  
كلانا غريب في المضاجع ليله  
أقول له والغُدر بيني وبينه  
وأشغالُ قلبي لو علمت كثيرُ  
لَهُ مثلُ ما بي أَنَّةٌ وزفيرُ  
وهدَّ جناحيه فكيف يطيرُ  
ويبس منها الفرع وهو نضيرُ  
طويل وليل العالمين قصيرُ  
ومن مدمعينا جدول وغديرُ<sup>(٢)</sup>

أما الاغتراب ذو المنشأ السياسي والديني ، فيتمثل في تأثر شوقي بما يجري حوله ، وأكثر ذلك فيما يخص الشؤون الإسلامية آنذاك ، فالحقبة التي عاشها شوقي كانت مليئة بالأحداث السياسية ، فمع بؤادر الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م بدأت الأحوال تتغير في مصر والعالم العربي والإسلامي ، فالإنجليز عزلوا الخديوي عباس حلمي الثاني الذي كان شوقي مقرباً منه ، بل إن شوقي يعتبر لسان الخديوي ، وعينوا مكانه السلطان حسين كامل الذي عرف بتقريبه من الإنجليز ، فيعبر شوقي عن شعوره بالألم فيقول : ( الكامل )

وهو العليمُ بأنَّ قلبي موجعٌ  
وجعاً كداءِ الثَّاكلاتِ دَخِيلاً<sup>(٣)</sup>

(١) الشوقيات : ص ٥٠٢ .

(٢) السابق : ص ٣٢٧ .

(٣) السابق : ص ٤٤٥ .

فالأمر يأخذ قلب شوقي كل المآخذ ، فيطلق لقلمه العنان ليعبر عن أصعب فترات حياته إبان الحرب العالمية الأولى ، فهو لا يريد أن يسمع ذكراها ؛ لأنها ملأت الدنيا جحيماً وعذاباً ، حيث يقول في ذلك : ( الكامل )

لا تَذْكُرَنَّ الحَرْبَ أو أهوالها      إلا بقلبٍ خاشِعٍ يَتَوَجَّعُ  
وَأدْرِفُ على القلبِ الدُّمُوعَ فَكأُكُومٍ      في آدمٍ أهْلٍ وآدمٍ يَجْمَعُ<sup>(١)</sup>

لكن الهم الأكبر الذي أثر كثيراً على شوقي ، وجعله يشعر بالاغتراب الحقيقي هو سقوط الخلافة الإسلامية على يد مصطفى أتاتورك ، فشوقي كان المدافع الأول عن تلك الخلافة ، وذلك لكثرة قصائده فيها ، ومما يظهر آلام الاغتراب في هذا المجال قصيدته في الخلافة بعنوان ( خلافة الإسلام ) التي أنشأها بعدما ألغى مصطفى أتاتورك الخلافة ونفى الخليفة ، فيقول شوقي : ( الكامل )

عَادَتِ أَغَانِي العُرسِ رَجَعِ نُوحٍ      وَتُعِيَتِ بَيْنَ مَعَالِمِ الأَفْرَاحِ  
كُفِّنَتْ فِي لَيْلِ الزَّفَافِ بِنُوبِهِ      وَدُفِنَتْ عِنْدَ تَبْلُجِ الإِصْبَاحِ  
شُيِّعَتْ مِنْ هَلَعِ بَعْبَرَةِ ضَاكِحِ      فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَسَكْرَةِ صَاحِ  
ضَجَّتْ عَلَيكَ مَآذِنٌ وَمَنَابِرٌ      وَبَكَتْ عَلَيكَ مَمَالِكٌ وَنُوحٌ<sup>(٢)</sup>

نعم ، إن الأسى الذي سيطر على شوقي لما حدث جعله يعبر أصدق تعبير على الحادثة التي هزت كيان العالمين : العالم العربي والإسلامي ، فالكل حزين يعتصره الألم على هذه المصيبة التي لا عزاء لها.

فسقوط الخلافة أسدل الستار عن إحساس شوقي ، هذا الإحساس الصادق الذي ما فتئ يستنهض الهمم من أجل إرجاع هذه الخيمة العظيمة التي كانت تظل المسلمين بظلمها ، وتجمعهم بفيها ، فيقول شوقي مجموعة من الأبيات في بعض المؤتمرات التي عُقدت لإرجاع الخلافة ، حيث عُقد مؤتمر بالقاهرة وآخر بمكة : ( الكامل )

بَعُثُوا الخِلافةَ سِيرةً فِي النَّادِي      أَيْنَ المُبَايَعُ بالإِمَامِ يُنَادِي  
مَنْ بَاتَ يَلْتَمِسُ الخِلافةَ فِي الكَرَى      لَمْ يَلِقَ غَيْرَ خِلافةِ الصِّيّادِ

(١) الشوقيات : ص ٤١٥ .

(٢) السابق : ص ٢٠٣-٢٠٤ .

|                          |   |
|--------------------------|---|
| اليوم لاسمر الرماح بعدة  | تغني ولا بيض الظُّبا بعتاد                |
| هيهات عز سبيلها وتقطعت   | دون المراد وسائل المرتاد                  |
| حلت على ذهب المعز طلاسّم | ومشت على سيف المعز عوادي                  |
| أين الكرامة والوقار لجثة | نبشوا عليها القبر بعد فساد <sup>(١)</sup> |

إنّ الملاحظ في الأبيات السابقة يرى كمية الأحزان الكامنة في قلب شوقي بسبب سقوط الخلافة، ويرى بكاءه على صرح الخلافة الذي تعرض للهدم بإيعاز من قوى الكفر والطغيان ، ورتاءه المر لما وصل إليه حال الأمة الإسلامية بعد ضياع الخلافة ، فهذا مصاب جلل أحاط بالمسلمين وبوحدتهم ، كل ذلك جعل شوقي يستنهض همم الغيورين على الدين بقوله : " أين المبايعُ بالإمام يُنادي " ، وفي الأبيات السابقة يذكر المسلمين بعزهم ومجدهم التليد ، تلك الأيام التي ساد فيها المسلمون مشارق الأرض ومغاربها ، وأصبحوا منارة العلم وملجأ العلماء ، كل ذلك جعله شوقي مرتبطاً بالخلافة ، فمن المسلم به أنّ شعور الاغتراب ملاً وجدان شوقي فكان وقعه عليه كالصخرة العظيمة المنحدرة من علو على صدره .

ويقول شوقي في حادثة أخرى عندما سقطت (أدرنة) وهي مدينة استولى عليها البلغار عام ١٩١٢ م ثم أعيدت تحت الحكم التركي عام ١٩٢٣ م : ( الكامل )

|  |   |
|--|---|
| يا أخت أندلسِ عَلَيْكِ سَلامٌ              | هَوَتْ الخِلافةُ عَنكَ وَالإِسلامُ                  |
| نَزَلَ الهِلالُ عَنِ السَّمَاءِ فَلَيْتَها | طَوَيْتِ وَعَمَّ العالَمينَ ظَلامُ                  |
| جُرْحانِ تَمْضي الأُمَّتانِ عَلَيَهما      | هَذا يَسيلُ وَذاك لا يَلْتامُ                       |
| بِكمَا أُصيبَ المُسَلِمونَ وَفيكمَا        | دُفِنَ اليَراعُ وَغُيِبَ الصَّمْصامُ <sup>(٢)</sup> |

لقد جعل شوقي من نفسه مدافعاً عن هموم أمته العربية ، فبعد رجوع شوقي من المنفى أخذ على عاتقه أن يكون لسان قومه ، وذلك من خلال الوقوف بجانب أمته العربية في السراء والضراء ، فكانت الحوادث التي تمر بأي قطر عربي ترخي بظلالها على إحساس شوقي وشعوره، ويتفاعل معها بصدق معبراً بالألم وحرقة لما يشعر به تجاه تلك الحوادث ، والأمثلة على

(١) الشوقيات : ص ٢٦٧ .

(٢) السابق : ص ٥٩٣ .

ذلك كثيرة في شعره ، فيقول وقلبه يعتصر ألماً لما حدث لدمشق وما فعله الفرنسيون في أهلها  
عام ١٩٢٦م : ( الوافر )

سَلَامٌ مِّنْ صَبَا بَرَدَى أَرْقُ      وَدَمْعٌ لَا يُكَفِّفُ يَا دِمَشْقُ  
وَمَعَزِرَةُ الْبِرَاعَةِ وَالْقَوَافِي      جَلالُ الرُّزْءِ عَن وَصْفِ يَدِيقُ  
وَبِي مِمَّا رَمَتْكَ بِهِ اللَّيَالِي      جِرَاحَاتُ لَهَا فِي الْقَلْبِ عُمُقُ (١)

ويقول في نكبة بيروت عندما ضربها الأسطول الطلياني : ( الكامل )

يَا رَبِّ أَمْرِكَ فِي الْمَمَالِكِ نَافِدٌ      وَالْحُكْمُ حُكْمُكَ فِي الدَّمِ الْمَسْفُوكِ  
بَيْرُوتُ مَاتَ الْأَسَدُ حَتَفَ أَنْوَفِهِمْ      لَمْ يُشْهَرُوا سَيفاً وَلَمْ يَحْمُوكِ  
سَابِعُونَ لَيْثاً أَحْرَقُوا أَوْ أُغْرِقُوا      يَا لَيْتَهُمْ قُتِلُوا عَلَى طَبْرُوكِ (٢)

أما عن الاغتراب الاجتماعي الذي عاناه شوقي فيما يخص حال المسلمين ، وتركهم شريعة  
رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - فيقول : ( البسيط )

وَقَوْمٌ أَحْمَدَ قَدْ ضَلُّوا شَرِيعَتَهُ      وَضَاعُوا كُلَّ إِسْلَامٍ وَإِيمَانٍ (٣)

إنَّ التغيرات التي أصابت الأمة الإسلامية لم يستطع شوقي السكوت عنها ، فأثارها أشعلت  
في صدره ناراً عندما رأى خير أمة أخرجت للناس تبتعد عن الطريق الذي رسمه الله ( عز وجل )  
لها ، فالقوم لم يلتزموا بتعاليم دينهم ، فلا إسلام باقٍ ولا إيمان .

يلاحظ مما سبق أن الغربة الداخلية عند شوقي متمثلة في عدة نواحٍ ، عبر عنها ضمن  
قصائده المتناثرة بين ثنايا ديوانه ، فشعوره بالاغتراب تركز في ذكره للموت وتعبيره المستمر عن  
ذلك في رثاء عدد كبير من الشخصيات ، وأيضاً الحالة النفسية عنده ونظرته لما يحدث معه ،  
وكل إنسان يتأثر بواقعه ، فوجدنا عدداً من الأبيات التي تحمل مضمون الاغتراب ذي المنشأ  
النفسي ، كما كان للواقع السياسي للعالم الإسلامي والعربي ومتغيرات الدنيا التي لا تثبت على  
حال أثر على شعوره بالوحدة .

(١) الشوقيات : ص ٤٤٦ .

(٢) السابق : ص ٤٦٩ .

(٣) السابق : ص ٧١٣ .

## الغربة الخارجية :

تختلف الغربة الخارجية عن الغربة الداخلية ( الاغتراب ) فالمرء فيها يشعر بألم الفراق عمن يحبهم من أهل ووطن وأصدقاء ، فالغربة الخارجية الألم فيها كبير ؛ لأن الإنسان مجبر عليها ، فشوقي عندما نفي إلى أسبانيا بدأت مرحلة جديدة في حياته ، مرحلة قلبت الموازين في كيان هذا الشاعر ، فراح يصدح بأقوى الأشعار في شوقه للوطن وحنينه له .

عاش شوقي تجربة الغربة عن الوطن مراتٍ عديدة ، وكان ذلك في بداية حياته عندما سافر لطلب العلم في فرنسا ، ومنها إلى بريطانيا وزيارته التاريخية للجزائر عندما كان مريضاً ، ورحلاته المتكررة مندوباً عن الحكومة المصرية في المؤتمرات التي عقدت في بلاد أوروبا ، وكذلك مرافقته أحياناً للخديوي عباس في زيارته للأستانة في تركيا ؛ لكن تجربة الغربة تلك كانت بمحض إرادته ، فغربته محدودة الأجل ؛ لذلك لم تنتج قريحته الشعرية أدباً خلال تلك الفترات يبين مدى إحساسه بالغربة، وشعوره بالألم والمرارة لفراق أهله ووطنه .

لقد ذاق شوقي مرارة الغربة منذ ركوبه البحر متجهاً إلى منفاه في أسبانيا ، ومنذ اللحظة الأولى بدت عليه ملامح الأسى والحزن ؛ لأنه يعرف أن مقامه سيطول في تلك البلاد ، فيقول شوقي في ذلك : ( الخفيف )

وَسَلَا مِصْرَ هَلْ سَلَا الْقَلْبُ عَنْهَا      أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمَانَ الْمُؤَسِّي  
كُلَّمَا مَرَّتِ اللَّيَالِي عَلَيْهِ      رَقَّ وَالْعَهْدُ فِي اللَّيَالِي تُفْسِي  
مُسْتَطَارٌّ إِذَا الْبَوَاخِرُ رَنَّتْ      أَوَّلَ اللَّيْلِ أَوْ عَوَتْ بَعْدَ جَرَسِ (١)

لقد سببت الغربة جرحاً غائراً في قلب شوقي ، يزداد كلما طال بعده عن مصر ويزيد من شوقه وحنينه ، فالقلب لم ينسها بل إنَّه يستطار عندما يسمع صوت البواخر قادمة ، لعلها تصحبه معها عائدة به إلى الوطن الغالي .

عندما نزل شوقي في إسبانيا - وكان مقامه على إحدى شواطئها - اشتعلت بداخله نار الحنين إلى الوطن والشوق له ، وأخذت الغربة منه كل مأخذ ، فيخاطب البحر بينما هو سائر على الشاطئ ، ويرى السفن تغدو وتروح تنقل المسافرين والبضائع ، فليس باستطاعته الصعود إلى إحداها لتحمله إلى وطنه ، وكأن الذنب يعود إلى البحر الذي تتحرك فوقه السفن ؛ فيقول : ( الخفيف )

(١) الشوقيات : ص ٣٨٤ .



يا ابنة اليمِّ ما أبوك بخيلٌ      ما له مولعاً بمنعٍ وحسبٍ<sup>(١)</sup>  
أحرامٌ على بلائله الدو      حُ حلالٌ للطيرٍ من كلِّ جنسٍ  
كُلُّ دارٍ أحقُّ بالأهلِ إلا      في حبيثٍ من المَذهبِ رجسٍ<sup>(٢)</sup>

إن الحياة التي عاشها شوقي امتازت براحة البال والهدوء والطمأنينة ؛ لأنه عاش في كنف القصر والسلطة ، فكم جلس على النيل وتمتع بجماله الساحر ، كل تلك الخواطر تركت أثراً عميقاً في قلب الشاعر ، يتذكر ذلك وقت الغربة فتثار عواطفه فينشئ الأبيات الآتية: ( البسيط )  
هَجْتُنْ لِي لَوْعَةً فِي الْقَلْبِ كَامِنَةً      وَالْجُرْحُ إِنْ تَعْتَرِضُهُ نَسَمَةٌ يَنْثُرِ  
ذَكَرْتُ مِصْرَ وَمَنْ أَهْوَى وَمَجَلِسَنَا      عَلَى الْجَزِيرَةِ بَيْنَ الْجِسْرِ وَالنَّهْرِ  
وَالْيَوْمُ أَشْيَبُ وَالْآفَاقُ مُذَهَبَةٌ      وَالشَّمْسُ مُصْفَرَّةٌ تَجْرِي لِمُنْحَدَرٍ<sup>(٣)</sup>

يكتوي قلبه بنار البعد وألم الغربة فيخاطب الحمام خطاب العاشق المحب للوطن بعدما ضاقت عليه الدنيا ، يصرح بما يجول في صدره فيقول أجمل الأبيات في حب الوطن والتعلق به: ( الطويل )

أَبْنُكَ وَجَدِي يَا حَمَامٌ وَأودِعُ      فَأَيْتَكَ دُونَ الطَّيْرِ لِلْسِرِّ مَوْضِعُ  
وَأَنْتَ مُعِينُ الْعَاشِقِينَ عَلَى الْهَوَى      تَتَيْنُ فَنُصْغِي أَوْ تَحِنُّ فَنَسْمَعُ  
أَرَاكَ يَمَانِيًّا وَمِصْرُ حَمِيلَتِي      كِلَانَا غَرِيبٌ نَارِحُ الدَّارِ مَوْجِعُ  
هُمَا إِثْنَانِ دَانٍ فِي التَّغْرِبِ آمِنٌ      وَنَاءٍ عَلَى قُرْبِ الدِّيَارِ مُرْوَعُ  
وَمِنْ عَجَبِ الْأَشْيَاءِ أَبْكِي وَأَشْتَكِي      وَأَنْتَ تُغْتَي فِي الْعُصُونِ وَتَسْجَعُ<sup>(٤)</sup>

نرى مدى الألم المسيطر على شوقي في الأبيات السابقة ، فالعشق كله لمصر التي غرَّب عنها وأبعد ، فوجع الغربة جعل البكاء ينهمر من عينيه ، وصقل ربة الشعر عنده لتعبر تعبيراً صادقاً عما يشعر به .

(١) في الديوان كتبت كلمة ( يا ابنة ) هكذا ، والصواب أن تكتب ( يا بنة ) لأنها وقعت بعد أداة نداء .

(٢) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

(٣) السابق : ص ٣٤٤ .

(٤) السابق : ص ٤١٣ .

ولعل أصدق تعبير عن الغربة الخارجية في شعر شوقي نجده في القصيدة الرائعة التي قالها في منفاه في أسبانيا بعنوان ( أندلسية ) هذه القصيدة اشتملت على أبيات عبرت عن الأسى والحزن الكبيرين داخل قلب الشاعر ، حيث تسيطر عليه ذكريات الأندلس ويشبه ما لقيته الأندلس من ضياع واندثار لماضي المسلمين التليد فيها ، وما لاقاه من غربة وضياع ، فكلاهما سلب منه ما يحب ، فجاء رثاء شوقي نفسه مرأ قاسياً في مطلع تلك القصيدة قائلاً :  
( البسيط )

|                                      |   |
|--------------------------------------|---|
| يا نايحِ الطلحِ أشباهَ عوادينا       | نشجى لواديكَ أم نأسى لوادينا                  |
| ماذا تقصُّ علينا غيرَ أن يداً        | قصت جناحك جالت في حواشينا                     |
| رمى بنا البينُ أيكاً غيرَ سامرنا     | أخا الغريبِ وظلاً غيرَ نادينا                 |
| كلُّ رمتهُ النوى ريشَ الفراقِ لنا    | سهماً وسُـلَّ عليكَ البينُ سكيننا             |
| إذا دعا الشوقُ لم تبحرِ بمنصديحِ     | من الجناحينِ عيِّ لا يلبينا                   |
| فإن يكُ الجنسُ يا ابنَ الطلحِ فرقتنا | إنَّ المصائبَ يجمعنَ المصابينا <sup>(١)</sup> |

فشوقي هنا بدأ بالنداء ليفصح عما بداخله ، فالبدء بالنداء يجذب انتباه السامع ليشاركه في المأساة التي يعيشها الشاعر ، وخاطب النائح ؛ لأنهما يشتركان في المأساة نفسها ، فكلاهما مبعد ومعذب ، فالمعاناة التي يعيشانها مريرة ، فما يزيد الشاعر ألماً أنه مقيم فوق أرض كانت للمسلمين ، وعمرها لثمانية قرون كانت من أزهى الأماكن في بلاد المسلمين ، وها هو نازح إلى هذا المكان العزيز على قلب كل مسلم ، فتوجع شوقي لا يوصف بالمأساة عظيمة ، والمصيبة كأنها مصيبتان وذلك واضح في قوله : ( البسيط )

|                               |   |
|-------------------------------|---|
| أها لنا نازحي أيكٍ بأندلسِ    | وإن حللنا رفيقاً من روايينا                   |
| رسمٌ وقفنا على رسمِ الوفاء له | نجيشُ بالدمعِ والإجلالِ يثنينا <sup>(٢)</sup> |

عانى شوقي من سنوات النفي التي تحمل فيها ألم الغربة ، فأجبر على الصبر والتحمل ، حيث يذكر صدره على ألم الغربة ، ويعبر عن النائبات التي حلت عليه بعد الرخاء والهناء في وطنه ، فيقول : ( البسيط )

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| جئنا إلى الصبرِ ندعوه كعادتنا | في النائباتِ فلم يأخذ بأيدينا |
|-------------------------------|-------------------------------|

(١) الشوقيات : ص ٦٨٠ .

(٢) السابق : ص ٦٨١ .

وَمَا غَلَبْنَا عَلَى دَمْعٍ وَلَا جَلْدٍ      حَتَّى أَتْنَا نَوَاكِمَ مِنْ صَيَاصِينَا  
وَنَابِغِي كَأَنَّ الْحَشَرَ آخِرُهُ      تُمِثُّنَا فِيهِ ذِكْرَاكُمُ وَتُحِينَا (١)

فهومه كثيرة حتى أن الدمع تحجر في مقلتيه ، فينادي على الصبر ؛ لكن الصبر لم يسعفه، فالفراق والبعد قد غلبه فلم تستطع عينه على الدمع ، فأصبح ليله كليل النابغة الذبياني ليل طويل لكثرة همومه ، فالنابغة يقول في وصف الليل : ( الطويل )  
كَلِينِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ      وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَكِبِ  
تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ      وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَيِّبٍ (٢)

من أصعب لحظات الغربة عندما تفقد شخصاً عزيزاً عليك وقد طواه الموت ، وأنت لا تستطيع أن تودعه بسبب نفيك خارج وطنك ، هذا ما حصل مع شوقي عندما فقد والدته وهو في المنفى ، فلم يستطع أن يودعها ، الأمر الذي ترك مزيداً من الأسى بقلبه ، وزاد من شعوره بالغربة ، فيبكي أمه في قصيدة جسدت الآلام الغائرة في قلبه ، يشكو فيها إلى الله الغربة التي أبعدته عن أعز من في الوجود ؛ فيقول : ( الطويل )  
إِلَى اللَّهِ أَشْكَو مِنْ عَوَادِي النَّوَى سَهْمَا      أَصَابَ سُوَيْدَاءَ الْفُؤَادِ وَمَا أَصْمَى  
مِنْ الْهَاتِكَاتِ الْقَلْبِ أَوْلَ وَهَلَاةٍ      وَمَا دَخَلَتْ لَحْمًا وَلَا لَامَسَتْ عَظْمًا (٣)

تُعرف الأندلس بجمالها وسحر طبيعتها ومناظرها الخلابة التي قلما تجد في الكون مثيلاً لها؛ لكن شوقي لا يذوق لذلك طعماً ، فمن نشأ بمصر وابتعد عنها عنوة لا يمكن أن ينسى أجواءها وحياتها الرغيدة ، فكل الجنان لا تساوي هذا الوطن ، يبين شوقي ذلك في القصيدة نفسها التي بكى فيها أمه حيث يقول : ( الطويل )  
نَزَلْتُ رُبَى الدُّنْيَا وَجَنَّتِ عَدْنَهَا      فَمَا وَجَدْتُ نَفْسِي لِأَنْهَارِهَا طَعْمًا (٤)

(١) الشوقيات : ص ٦٨٠ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني : ت/ عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٦ م ، ص ٢٩ .

(٣) الشوقيات : ص ٥٤٨ .

(٤) السابق : ص ٥٥٠ .

بلغ إحساس شوقي بالغربة مبلغاً عظيماً ، فها هو يعاهد أهل مصر أنه باقٍ على العهد والتمسك بالوطن ، فالوطن مغروس في سويداء قلبه ، لا يستغني عنه رغم كل محاولات العدو لطمس تاريخه وتهجير أبنائه ، فيرسل شوقي برسالة لداود بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام ، تحمل في طياتها حنيناً للوطن وتعبيراً عن آلام الغربة ، فيتمنى أن يشرب من النيل ويروي عطشه ويبل شوقه لوطنه ، فالماء لا طعم له بدون النيل ، ثم يتألم في آخر الرسالة بأن النيل أصبح بعيداً كل البعد عن أمنياته حيث يقول : ( البسيط )

يا ساكني مصر إنا لا نزال على عهد الوفاء وإن غبنا مُقيمينَا  
هَلَّا بَعَثْتُمْ لَنَا مِنْ مَاءِ نَهْرِكُمْ شَيْئاً تَبُلُّ بِهِ أَحْشَاءَ صَادِيْنَا  
كُلِّ الْمَنَاهِلِ بَعْدَ النَّيْلِ أَسِنَّةٌ مَا أَبْعَدَ النَّيْلَ إِلَّا عَنِّ أَمَانِيْنَا (١)

تترك هذه الأبيات جروحاً في قلب حافظ إبراهيم ( شاعر النيل ) الصديق المقرب لأحمد شوقي ، فينشئ مجموعة من الأبيات يبين مدى شوق مصر ونيلها لشوقي ، ويصفه بالبلبل المغرد الذي يطرب النيل وأهله ، فشوقي في القلب مهما فرقت بينهما المسافات ، وتحكم به المحتل الغاشم ، إن حافظ إبراهيم في هذه الأبيات يخفف من آلام شوقي ، ويشعره بأنه في قلوب المصريين ، وأن مصر لن تنساه ، وأنهم على العهد باقون ، قائلاً : ( البسيط )

عَجِبْتُ لِلنَّيْلِ يَدْرِي أَنَّ بُلْبُلَهُ صَادٍ وَيَسْقِي رُبَا مِصرٍ وَيَسْقِينَا  
وَاللَّهِ مَا طَابَ لِلْأَصْحَابِ مَوْرِدُهُ وَلَا إِرْتَضُوا بَعْدَكُمْ مِنْ عَيْشِهِمْ لِينَا  
لَمْ تَنَأَ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقَتْ شَاطِئُهُ وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَا (٢)

إن أبيات شوقي المرسله ورد حافظ عليها تبين مدى قوة العلاقة بين هذين الشعاعين الكبيرين، فكلاهما يقاسي من ظلم المحتل ويطشه بمصر وأهلها ؛ لكن ألم الغربة المسيطر على شوقي يختلف عن يقيم بداخله ، فنار الغربة يصعب السيطرة عليها ، لأن وقودها موجودة آثاره باقية أمام ناظري الشاعر ، فهذه الجراح لا يمكن أن تبرا بسهولة ، وما هذه الأبيات إلا نتاج طبيعي لما يقاسيه الشاعر في غربته .

عاد شوقي من منفاه بعد خمس سنوات عانى فيها من ألم الغربة والحنين للوطن ، أنشأ الكثير من القصائد التي حملت بداخلها همومه وأحزانه ، فغلب عليها طابع الحالة النفسية لما

(١) الشوقيات : ص ٦٨٨ .

(٢) السابق : ص ٦٨٨ .

قاساه هناك ، كان المضمون لهذه القصائد واحداً ؛ لأنه خرج من معاناة واحدة ، فكانت العودة للوطن بمثابة عودة الروح للجسد ، أكمل شوقي بقية حياته في وطنه ؛ لكن الشعور بالغربة لم يفارق نفسه وشعوره ؛ لأن الفترة التي قضاها في الأندلس عاصرت أحداثاً جساماً مرت بها مصر، فكان ينتهز ذكرى هذه الأحداث ليطلق لقلمه العنان في التعبير عما يُكنُّ من أحاسيس تجاه الوطن، ففي قصيدة الحرية الحمراء التي أنشأها في احتفالات يوم ١٣ نوفمبر لسنة ١٩٢٧م، في المهرجان السنوي لذكرى ثورة ١٩١٩ م ، بعث برسالة قلبه تجاه هذه الذكرى التي حرم من معايشتها حيث كان في منفاه ، فيقول : ( الكامل )

يَوْمَ البُطُولَةِ لَوْ شَهِدْتُ نَهَارَهُ      لَنظَّمْتُ لِلْأَجْيَالِ مَا لَمْ يُنظَمْ  
 غُبَيْتُ حَقِيقَتَهُ وَفَاتَ جَمَالُهَا      بَاعَ الْخَيْالِ الْعَبَقِرِيُّ الْمُلْهَمَ  
 لَوْلَا عَوَادِي النَّفِيِّ أَوْ عَقْبَاتُهُ      وَالنَّفِي حَالٌ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ  
 لَجَمَعْتُ أَلْوَانَ الْحَوَادِثِ صَوْرَةً      مَتَّأَلْتُ فِيهَا صَوْرَةَ الْمُسْتَسْلِمِ  
 وَحَكَيْتُ فِيهَا النِّيلَ كَاطِمٍ غَيْظِهِ      وَحَكَيْتُهُ مُتَغَيِّظاً لَمْ يَكْظِمِ (١)

هذه المرحلة التي طبعت مظاهر الأسى والحزن على حياة شوقي ، يراقب من بعيد ما يجري في وطنه ، ويتمنى أن يشارك هذا الوطن مقاومة المحتل ؛ لكن العدو أبعد عن مرابع طفولته ، وأزهى بقعة في المعمورة بالنسبة للشاعر ، فيذكر في تلك الأبيات هذه المرحلة التي منعت من التعبير عما يعانيه الوطن .

لقد اختار شوقي أسبانيا منفى له ، هذا البلد الجميل الذي يحمل عبقاً من تاريخ أمتنا الإسلامية في عصرها الذهبي ؛ لكن ألم الغربة أفسد عليه التمتع بجمال هذه المناظر الرائعة ، فشوقي لم ينس أن يقدم الشكر للأندلس عندما سمح له بالعودة إلى الوطن ، فأخذ يودع الأندلس بمجموعة من الأبيات التي تحمل الوفاء والعرفان حيث يقول : ( الوافر )

وَدَاعَاً أَرْضَ أَنْدَلُسٍ وَهَذَا      تَنَائِي إِنْ رَضِيَتْ بِهِ ثَوَابَا  
 وَمَا أَتَيْتُ إِلَّا بَعْدَ عِلْمٍ      وَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَتَيْتُ فَعَابَا  
 تَخَذْتُكَ مَوْئِلاً فَحَلَلْتُ أَنْدَى      ذُرّاً مِنْ وَائِلٍ وَأَعَزُّ غَابَا  
 مَعْرَبُ آدَمٍ مِنْ دَارِ عَدْنٍ      قَضاها فِي جِماكِ لِي إِعْتِرابَا (٢)

(١) الشوقيات : ص ٦٠٤-٦٠٥ .

(٢) السابق : ص ١٠٥ .

تلك أبيات ترسم صورة من حياة شوقي التي جسدت الغربة أبعادها ، فشوقي متميم بالأندلس وبجمالها ؛ لكن إحساسه بالغربة وأنه مكره على البقاء فيها ترك في نفسه غصة من علقم منعته من التلذذ بهذا الجمال ، فلقد أبدى شوقي الثناء والشكر والعرفان لبلاد الأندلس التي ضمته في أحضانها خمس سنوات من غربته عن وطنه .

بعد سبع سنوات من انتهاء مأساة شوقي نجده يخرج بقايا آلامه التي تركتها الغربة غائرة في صدره ، فنسيان تلك المرحلة محال ، فقول شوقي : والنفي حال من عذاب جهنم ما هو إلا تفريغ لانفعالاته القديمة التي حرمتها من وطنه خمس سنوات ، يبين من خلال تلك الأبيات أنه كان يتمنى مشاركة وطنه تلك الأحداث ؛ ليرسم بكلماته هذه الحوادث التي لا تنسى من تاريخ بلده ، فهذه القصيدة جزء من قصائد قالها شوقي بعد غربته ، حيث عبر عن الغربة بأبيات متناثرة في عدد من قصائده ، ففي مقتل أحد عشر طالباً مصريةً من طلاب بعثة للعلم في أوروبا عام ١٩٢٠ م سقطوا بسبب اصطدام للقطار هناك ، استقبلت البلاد جنابهم استقبالاً حافلاً شاركت فيه جميع أطراف الشعب المصري ، حيث يقول ضمن هذه القصيدة أبيات عن الغربة وأحوالها ،  
( الطويل )

|   |  |
|---|--|
| وَلِلْمَجْدِ مَا أَبْقَى مِنَ الْمَثَلِ الْعَالِي | أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَاكَ الدَّمُ الْغَالِي  |
| حَيَاةً لِأَقْوَامٍ وَدُنْيَا لِأَجْيَالِ         | وَبَعْضُ الْمَنَائِمِ هِمَّةٌ مِنْ وَرَائِهَا      |
| كَرِيمِ الْمُصَفَّى مِنْ شَبَابٍ وَأَمَالِ        | أَعْيَنِي جُودًا بِالدُّمُوعِ عَلَى دَمِ           |
| إِلَى حَادِثٍ مِنْ غُرْبَةٍ الدَّهْرِ قَتَالِ (١) | تَنَاهَتْ بِهِ الْأَحْدَاثُ مِنْ غُرْبَةِ النَّوَى |

إن الغربة أخرجت الأحاسيس الكامنة داخل شوقي ، فالشعر يزدهر في الأحزان والآلام ، والنفي الذي تعرض له شوقي جعل ربة الشعر تشتعل داخل هذا الشاعر الكبير ، فأصبح شوقي بعد غربته يتأثر بكل إنسان مغترب قد ذاق من الغربة ألواناً ، حيث يقول في تكريم للموسيقار سامي الشوا : ( البسيط )

|                                      |   |
|--------------------------------------|---|
| مَآلِفًا وَصَّابَاتٍ وَأُوطَانَا (٢) | ذَكَّرْتَ خَلْقًا وَرَاءَ الْبَحْرِ مُغْتَرِبًا |
|--------------------------------------|---|

(١) الشوقيات : ص ٥٢٤ .

(٢) السابق : ص ٦٩٦ .

لقد عاش شوقي نوعين من الغربة ، كانت الغربة تلك واضحة جلية ، حيث عاشها في المنفى لمدة خمس سنوات ، امتلأت بتعابير وأحاسيس صادقة ومختلطة بالحرقة والألم ، وظهرت ضمن مجموعة قصائد أنشأها في الأندلس المسماة بالأندلسيات ، حيث اشتملت على خليط من مشاعر الغربة والحنين للوطن ، وذكر لماضي الأندلس إبان الحكم الإسلامي فيها ، فجاءت أبياتها معبرة عن إحساسه بالغربة في المنفى ، ورفضه الواقع المرير الذي يعيشه ، وبعض الأبيات التي قالها بعد عودته للوطن والتي اشتملت على معاني الغربة ، أما الغربة الثانية التي وجدت ضمن حياة شوقي ولم ترتبط بمكان معين فهو شعوره بالاغتراب أحياناً ، وظهر ذلك في بعض قصائده، حيث اختلط هذا الإحساس بأحاسيس أخرى في مجمل حياته ، وكان شعوره بالاغتراب كامناً في حالات نفسية سيطرت على الشاعر، وذكره الموت ودنو الأجل ، وحديثه عن واقع الأمة الإسلامية قبل سقوط الخلافة وبعدها .

## الفصل الثاني

الحنين في شعر أحمد شوقي .

المبحث الأول : الحنين لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : الحنين في شعر أحمد شوقي .

المطلب الأول : الحنين إلى الوطن .

المطلب الثاني : الحنين إلى الأهل والأصدقاء .

المطلب الثالث : الحنين إلى الذكريات الماضية .

المطلب الرابع : الحنين الديني .

المطلب الخامس : الحنين إلى المكان .

المطلب السادس : الحنين إلى المحبوب .



## الفصل الثاني

### الحنين في شعر أحمد شوقي

عند الحديث عن الحنين لا يمكن الفصل بينه وبين الغربة ، فكلاهما متلازمان تلازم الروح للجسد ، فالغربة هي المسبب الرئيس للحنين ، والحنين ظاهرة إنسانية وشعور أصيل في النفس البشرية ، فالنفس البشرية تحن لكل شيء ترك فيها إحساساً لأمر ما ، حيث يعد الحنين من الدوافع الفطرية عند الإنسان ، فهو مرتبط بالشعور الإنساني ووجوده .

إن غرض الحنين مسيطر على الشعر العربي ؛ لأن الشعر ما هو إلا تعبير عن أحاسيس نائمة أو منومة داخل النفس للحنين فيها الجزء الأكبر ، فعندما يقال الشعر لا بد أن يبث بداخله جزءاً من هذه الأحاسيس . فالإنسان كتلة من المشاعر المتداخلة تظهرها التجارب التي يخوضها في معترك الحياة ، ولعل الحنين مرتبط ارتباطاً كلياً بإحساسه بالغربة أو الاغتراب ، وكما للغربة أسباب وبواعث فهناك للحنين كذلك ، وأكثر باعث للحنين هو الغربة عن الأهل والديار ، حيث يقول حازم القرطاجني : " ولما كان أحق البواعث بأن يكون هو السبب الأول الداعي إلى قول الشعر هو الوجد والاشتياق والحنين إلى المنازل المألوفة وألفها عند فراقها ، وتذكر عهدها وعهودهم الحميدة فيها ، وكان الشاعر يريد أن يبقي ذكراً أو يصوغ مقالاً يخيل فيه حال أحبائه ويقيم المعاني المحاكية لهم في الأذهان مقام صورهم وهيئاتهم ، ويحاكي فيه جميع أمورهم حتى يجعل المعاني أمثلة لهم ولأحوالهم أحبوا أن يجعلوا الأقاويل - التي يودعونها المعاني المخيلة لأحبابهم المقيمة في الأذهان صوراً هي أمثلة لهم ولأحوالهم - مرتبة ترتيباً يتنزل من جهة موقعه من السمع منزلة ترتيب أحويتهم وبيوتهم " (١).

إن الحنين مرتبط بعنصرين أساسيين هما : اللذة والألم ، فشعور الإنسان بالألم في واقعه الجديد يذكره بالأيام الجميلة ، تلك الأيام التي تمثل له عنصر اللذة في وقت مضى ، وقد تكون اللذة والراحة مرتبطة بزمان معين كأيام الشباب والذكريات الجميلة ، وقد تكون وليدة مكان يعز على المرء فراقه كحنين المبعد عن وطنه لأسباب النفي أو التهجير ، " فهناك جدلية بين اللذة

---

(١) منهاج البلاغاء وسراج الأبداء : حازم القرطاجني ، تحقيق / محمد الحبيب بن الخوجة ، دار المغرب الإسلامي - بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٦ ، ص ٢٤٩ . انظر : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : فاطمة صحصح ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

والألم ، كما بين الغربية والحنين ، أو الحاضر والماضي ، فأحد الحدين متضمن في الآخر ،  
فالغربة تستدعي الحنين ، والحاضر يستدعي الماضي ، واللذة تستدعي الألم " (١)

" إن الحنين مرتبط بثقافة الفرد الذي يمثل مناخ الأدب على أنواعه ، والفن ، وعلم التراث ،  
وكل ماله بالإبداع والخلق والحس المرهف ، هذا المناخ الفني المبدع الذي نسميه بمجال الحنين  
العربي . ذلك أن الحنين نتاج العمل النفس اجتماعي ( بمعنى العمل النفساني ) الجمعي الذي  
يعبر عن محاكاة حاضرة وراهنة للماضي بهدف استعادته والتحالف معه ؛ لتغيير الواقع الراهن  
المحبط والمقلق . فمجال الحنين هو نتيجة باهرة وفذة لعملية الخلق الفكري والأدبي العربية (وكل  
أمة منكوبة ومكبوتة تنتج أيضاً مجال حنينها) ، وكل عملية إبداعية فإن مجال الحنين عملية  
دفاعية لها وظيفة تحويل الماضي الجامد إلى حاضر متحرك يعيش راهناً في وجدان الإنسان  
الخالق فيقطع عليه وحدته ، وذلك أن في الحنين أسوة حسنة تشعر الإنسان الصابر بأنه ليس  
مقطوعاً من شجرة ، وبأن الصعب يمكن أن يمضي وتعود بعده الأيام إلى مجاريها " . (٢)

#### المبحث الأول : الحنين لغة واصطلاحاً :

##### أولاً : الحنين لغة :

جاءت كلمة الحنين في اللغة بمعنى : " الشديء من البكاء والطرب وقيل : هو صوتُ  
الطرب كان ذلك عن حُزنٍ أو فَرَحٍ ، وَالْحَنِينُ الشُّوقُ وَتَوَقَّانُ النَّفْسِ وَالْمَعْنِيَانِ مُتَقَارِبَانِ " (٣) ،  
حيث يقال : " حَنَّ إِلَيْهِ يَحِنُّ حَنِيناً فَهُوَ حَانٌّ وَالْأَسْتِحْنَانُ الْأَسْتِطْرَابُ وَأَسْتَحَنَّ اسْتَطْرَبَ " (٤) ،  
والحنين : الشوق (٥) " وَحَنَّتِ الْإِبِلُ نَزَعَتْ إِلَى أَوْطَانِهَا أَوْ أَوْلَادِهَا وَالنَّاقَةُ تَحِنُّ فِي إِثْرِ وَلَدِهَا  
حَنِيناً تَطْرَبُ مَعَ صَوْتٍ وَقِيلَ حَنِينُهَا نَزَاعُهَا بِصَوْتٍ وَبِغَيْرِ صَوْتٍ وَالْأَكْثَرُ أَنَّ الْحَنِينَ  
بِالصَّوْتِ " (٦) .

الجذر اللغوي للحنين من مادة ( حنن ) ، فأدغم حرفا النون فأصبح ( حَنَّ ) وحنَّ حنيناً ، وقد  
وردت بعض الكلمات المشاركة للحنين من نفس الاشتقاق ، فجاءت كلمة الحنان وهو اسم من

(١) الغربية والحنين في الشعر الأندلسي ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

(٢) المجال النفس اجتماعي العربي : د. عباس مكي ، معهد الإنماء العربي - بيروت ، ١٩٩١ ، ص ١٠٧-  
١٠٨ .

(٣) لسان العرب لابن منظور ، مادة ( حنن ) ، ١٣ / ١٢٨-١٢٩ .

(٤) السابق : ١٢٩ / ١٣ .

(٥) المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، المكتبة الإسلامية - إستانبول ، ص ٢٠٤

(٦) لسان العرب لابن منظور ، مادة ( حنن ) ، ١٣ / ١٢٩ .

أسماء الله - جل وعز - ويعني الرحيم بعباده . وَالْحَنَانُ الرَّحْمَةُ وَالْعَطْفُ ، ومنه قوله تعالى مخاطباً نبيه يحيى-عليه الصلاة والسلام - : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝۱ ﴾ (١) والحنَّة بالكسر رقة القلب .

إن الظاهر من تعريفات الحنين اللغوية جميعها أنها مرتبطة بالعواطف ، سواء أكان صوتاً أم اشتياقاً ، أم نزوعاً إلى الوطن ، فالحنين يدل على الصوت والشوق والطرب والرحمة .

### ثانياً : الحنين اصطلاحاً :

الحنين في الاصطلاح له نصيب من اشتقاقاته اللغوية ، فالحنين هو الشوق واللهفة لكل عزيز على النفس قد بُعد عنها ، وهو بذلك شعور داخلي ينتج عن ألم يعانيه الإنسان نتيجة فقدته أشياء عزيزة عليه .

ارتبط مفهوم الحنين عند القدماء بالوطن والديار ، وقد صنف الجاحظ رسالة في الحنين إلى الأوطان ، وذكر فيها مجموعة من الأبيات لعدد من الشعراء في الحنين للوطن ، ومدى ارتباطهم بتلك الديار التي مثلت لهم حياة وروحاً ، حيث يقول : " فاوضتُ بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار والنزاع إلى الأوطان، فسمعتَه يذكر أنه اغترب من بلده إلى آخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخصب من جنابه، ولم يزل عظيم الشأن، جليل السلطان، تدين له من عشائر العرب سادتها وفتيانها، ومن شعوب العجم أنجادهما وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا راغبٌ إليه، أو راهبٌ منه ؛ فكان إذا ذكر التربة والوطن حنَّ إليه حنينَ الإبل إلى أعطانها " (٢) .

ربط الجاحظ الحنين في رسالته بالوطن من حيث أنه السبب الرئيس للحنين ؛ ويرى الباحث أن بعض النقاد القدامى اعتبروا الحنين غرضاً شعرياً : كالغزل ، والفخر ، والهجاء ، والمديح ، وباقي الأغراض الشعرية الأخرى ، ولعل الحنين يدخل في غالبية الأغراض تلك ؛ لكن قدامة بن جعفر قصر الحنين ضمن باب النسيب حيث قال : " قد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابية ، والبروق اللامعة ، والحمائم الهاتفة ، والخيالات الطائفة ، وآثار الديار العافية ، وأشخاص الأطلال الدائرة " (٣) .

(١) سورة مريم : آية رقم ١٣ .

(٢) الحنين إلى الأوطان : لأبي عثمان الجاحظ ، دار الرائد العربي - بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٢ ، ص ٦ .  
والأعطان هي مبارك الإبل عند الماء ، وهي جمع عطن . انظر لسان العرب : ٢٨٦/١٣ .

(٣) نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، تحقيق / د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ص ١٣٤ .

أفرد مؤلفو الحماسات باباً خاصاً بالحنين ، وأسموه باب الحنين إلى الأوطان ، فابن الشجري في حماسته خصص باباً للحديث عن الحنين إلى الأوطان ، ذكر فيه أقوال لبعض الشعراء في الحنين منها قول عمرو بن الوليد بن عقبة ( المكنى بأبي قطيفة ) في حنينه للمدينة ، فيقول :  
( الطويل )

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا  
أم الدور أكناف البلاط عوامر  
أحن إلى تلك البلاد صباباً  
إذا برقت نحو الحجاز سحابة  
فلم أنأ عنها رغبة عن بلادها  
جنوب المصلى أو كعهدي القرانن  
من الحي أم هل بالمدينة ساكن  
كأنني أسير في السلاسل راهن  
دعا الشوق مني برؤها المتيامن  
ولكنه ما قدر الله كائن<sup>(١)</sup>

وذكر الزجاجي في أماليه أبياتاً في حنين الإبل لبعض الأعراب فيقول : أنشدنا الأخفش قال  
أنشدنا المبرد لبعض الأعراب: ( الطويل )  
حنّت قلوبصي آخر الليل حنة  
سعت في عقاليها ولاح لعينها  
تحن إلى أهل الحجاز صباباً  
فيا رب أطلق قيدها وجريها  
فيا روعة ما راع قلبي حنينها  
سنا بارق وهناً فجن جنونها  
وقد بُت من أهل الحجاز قرينها  
فقد راع أهل المسجدين حنينها<sup>(٢)</sup>

وقد عُرف عن الأعراب تعلقهم بإبلهم وذكرها بكثرة في أشعارهم ، والإبل عندها ظاهرة الحنين لمنزلها ولأبنائها ، فالشاعر يصف حنين ناقته الذي ترك أثراً في قلبه .  
يعتبر الحنين ظاهرة واضحة في الشعر العربي منذ البدايات الأولى لكتابة الشعر ، فوقوف الشعراء على الأطلال في بداية قصائدهم ما هو إلا حنين لها ولمحبتاتهم ، ويرى الباحث أن ذكر الأطلال في القصيدة كان سمة من سمات الشعر العربي أو ما يعرف بـ ( المقدمة الطللية ) ويمتاز هذا النوع من الشعر بصدق العاطفة ؛ لأن التجربة الشعورية نابعة من ثنايا القلوب ،

(١) الحماسة الشجرية : ابن الشجري ، تحقيق / عبد المعين الملوحى و أسماء الحمصي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٠ ، ص ٥٦٨ - ٥٦٩ .

(٢) أمالي الزجاجي : لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي ، تحقيق / عبدالسلام هارون ، دار الجيل - بيروت ، ط ٢ ١٩٨٧ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ . الحماسة الشجرية ص ٦٠٤ - ٦٠٥ ، وهذه الأبيات لم أقف على قائلها .

وإحساس الشعراء المرهف بفقدان من يعززونهم ، فالحنين وليد مجموعة من العوامل النفسية تخيم على الشاعر في وقت محدد فينشئ أشعاراً تلخص تلك العواطف .

يجد المتتبع لعصور الشعر العربي عبر مراحلها المختلفة أنّ عاطفة الحنين تهيمن عليه ؛ لأن الشعر يمثل عواطف إنسانية ، والحنين من أرفع تلك العواطف وأرقها ، فشعراء العصر الجاهلي أكثرها من حنينهم للأطال وقصدوا بها من يحبون ، ومثال ذلك كثير في الشعر الجاهلي ، فهذا عنتر بن شداد يحن إلى موطن قبيلته ( عبس ) ويشده الحنين لذكرياته الجميلة هناك مع من أحبهم ، ويذكر أيام شبابه التي لا يمكن له أن يمحو أثرها ، فيقول : ( البسيط )

يا مَنْزِلًا أَدْمَعِي تَجْرِي عَلَيْهِ إِذَا ضَنَّ السَّحَابُ عَلَى الْأَطَالِ بِالمَطَرِ  
أَرْضُ الشَّرْبَةِ كَمَ قَضَيْتُ مُبْتَهَجًا فِيهَا مَعَ الغَيْدِ وَالْأَتْرَابِ مِنْ وَطَرِ  
أَيَّامَ غُصْنُ شَبَابِي فِي نُعُومَتِهِ أَلَهُو بِمَا فِيهِ مِنْ زَهْرٍ وَمِنْ ثَمَرٍ (١)

لقد أخذ الحنين من عنتر كل مأخذ ، فجعل دموعه تجري وتتهمر انهمار الأمطار على تلك الأيام الخوالي التي مثلت الحياة التي عشقها وتمنى أن تعود ، فهذا غيظ من فيض من الشعر الجاهلي على الحنين سواء الحنين للوطن أو للمحبيب أو للذكريات الجميلة .

وفي عصر صدر الإسلام كثر شعر الفتوحات الإسلامية التي تغرب فيها الشعراء مبلغين دين الله في أصقاع الأرض ، فظهر الحنين للمنازل وللأهل والأحبة ، يتغنون بأرضهم وجمالها ، " وها هو أحدهم ابتعد عن موطنه ( نجد ) ولكنه لا يفتأ يكرر طرفه صوب دياره فيها ، يحن إليها ويتغنى بمفاتها ؛ فتراها مسك وعنبر وزهر الأقاحي يرسم لوحة رائعة في تلك الأرض ، وهو وإن كان لا يستطيع أن يراها لبعده عنها إلا أن صورتها محفورة في قلبه ، ولكن هذه النظرات الوالهة سرعان ما تثيره للبكاء ، ومن ثم فهو لا يجد راحة لقلبه وقد شغل إما بحرب وإما بالنزوح والاعتراب ، فيقول : ( الطويل )

أكرر طرفي نحو نجد وإنني إليه وإن لم يدرك الطرف أنظر  
حنيناً إلى أرض كأن ترابها - إذا مطرت - عودٌ ومسكٌ وعنبرٌ  
بلاداً كأن الأقحوان بروضة ونور الأقاحي وشى بُردٍ محبَّرٌ

(١) شرح ديوان عنتر بن شداد : الخطيب التبريزي ، تحقيق : مجيد طراد ، دار الكتاب العربي - بيروت ،

أَحْنُ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَحَاجَتِي      خِيَامٌ بِنَجْدٍ دُونَهَا الطَّرْفُ يَقْصُرُ<sup>(١)</sup>

أما في العصر الأموي فحاله يشبه عصر صدر الإسلام ، حيث ظهرت فيه مجموعة من الأسباب الباعثة للحنين ، فالفتوحات الإسلامية التي امتدت إلى خراسان شرقاً ، وكثرت التنقلات مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية ، أضف إلى ذلك ما يعيشه الشعراء في حياتهم ، فهذا الشاعر جرير بن عطية أشهر شعراء عصره يحن إلى أماكن دياره التي غاب عنها ، فيصف الغربة بأبشع الصفات ، فيقول : ( الوافر )

عَفَا نَهْيَا حَمَامَةً فَالْحَجَّاءُ      لَطُولِ تَبَائِنِ جَرَّتِ الطِّبَاءُ  
فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ نَوَى قَنُوفٌ      وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هُوَ الْجَلَاءُ  
أَحْنُ إِذَا تَطَّرْتُ إِلَى سُهَيْلٍ      وَعِنْدَ الْيَأْسِ يَنْقَطِعُ الرَّجَاءُ<sup>(٢)</sup>

ففي تلك الأبيات ينعت الغربة بالشؤم ؛ لأنها جعلت الناس يعتبرونها جلاء وغربة بعيدة ، فالنجم يذكره بأرضه ويشعل نار الحنين بداخله ، فهو لم يقطع اليأس ويرجو بأن يعود إلى المكان العزيز عليه .

لقد كثر الحنين في العصر العباسي بقسميه ، وأمثلته كثيرة في هذا العصر الحافل المليء بأشعار شملت جميع أغراض الشعر العربي ، والشعراء في هذا العصر أكثروا من شعر الحنين بشى أنواعه ، فالشاعر أبو فراس الحمداني يحن لمحبوبته حنيناً أثار الشوق بداخله ، وحرك أشجانه لبعده عنها ، حيث يقول : ( الطويل )

لَعَلَّ خَيْالَ الْعَامِرِيَّةِ زَائِرٌ      فَيُسَعِدَ مَهْجُورٌ وَيُسَعِدَ هَاجِرٌ  
وَإِنِّي عَلَى طَوْلِ الشَّمْسِ عَنِ الصِّبَا      أَجْنُ وَتُصِيبُنِي إِلَيْكَ الْجَاذِرُ<sup>(٣)</sup>

(١) الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني : مرجع سابق ، ص ١٠٧-١٠٨ .

(٢) ديوان جرير : جرير بن عطية العامري ، دار بيروت للطباعة - بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ١٣ .

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني : مرجع سابق ، ص ١٢٤ . والشَّمْسُ : الامتناع والإبَاء . الجَاذِرُ : جمع الجَوْدَرِ ، وهو ولد البقرة الوحشية ، تشبه به المرأة واسعة العينين .

لقد كان حنين الشاعر لمحبوبته كبيراً ، فقد سيطر الشوق والوصل عليه مما زاد من حنينه وتعلقه بمحبوبته العامرية ، فالحنين عند أبي فراس في تلك الأبيات جسد الحنين إلى المحبوب ، وهو ضرب من ضروب الحنين .

إنّ الشعر في العصر الأندلسي اتسم بمجموعة من السمات أبرزها سيطرة غرض الحنين على مجموعة كبيرة من الشعراء ؛ وذلك يرجع لتعلقهم ببلادهم وشوقهم لبلاد المشرق التي يحبون أن يعيشوا في أكنافها ويحادثوا أهلها ، وأمثلة الحنين في هذا العصر كثيرة لا حصر لها وأفردت لها مجموعة من الأطروحات العلمية ، ومثال الحنين في هذا الشعر ما قاله ابن خفاجة الأندلسي في حنينه لبلدته وللممكنة الجميلة ولمن سكنها من الأحبة ، فيقول : ( الطويل )

أَلَا هَلْ إِلَى أَرْضِ الْجَزِيرَةِ أَوِيَّةٌ      فَأَسْكُنْ أَنْفَاساً وَأَهْدَأَ مَضْجَعَا  
وَأَغْدُو بِوَادِيهَا وَقَدْ نَضَحَ النَّدى      مَعَاطِفَ هَاتِيكَ الرَّبِي ثُمَّ أَقْشَعَا  
أَغَازِلُ فِيهَا لِلْغَزَالَةِ سُنَّةٌ      تُحَطُّ الصَّبَا عَنْهَا مِنَ الْغَيْمِ بُرْقَعَا  
وَأَيِّنَ فَنَا دَارٍ إِلَيَّ حَبِيْبَةٌ      وَحَسْبُكَ مُصْطَافَا هُنَاكَ وَمَرَبَعَا (١)

فالشاعر في هذه الأبيات يتمنى العودة إلى بلده ، ويحن لتلك الجزيرة التي خيم جمالها على تفكيره وأحلامه ، فيطلق لتلك الأحلام العنان لتجول في تلك الديار وترسم له صورة أحبها الشاعر وعاشها في تلك البلاد ، يحن لمحبوبة وللمناظر الجميلة ، فهذه النفس الأندلسية التي عشقت الجمال ، ولعل شوقي تأثر بجمال تلك البلاد وتاريخها العريق فجعلته ينشئ أجمل القصائد في الحنين إلى الوطن .

إن القارئ للشعر العربي يجد كثرة ظاهرة الحنين بداخله ، حيث إن الشعراء لم يفرّدوا غرضاً خاصاً بالحنين في قصائد مستقلة ، بل كان ذلك ضمن قصائد تنتمي لأغراض أخرى ، كالغزل ، والوصف .

(١) ديوان ابن خفاجة الأندلسي : تحقيق / عبد الله سنده ، دار المعرفة - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦ ، ص

## المبحث الثاني : الحنين في شعر أحمد شوقي :

إنَّ الحنين هو شوق عارم وانفعال شديد لتلك الأحاسيس الداخلية للإنسان ، تثيرها مجموعة من العوامل ، فتدفع ربة الشعر لقول أصدق الألفاظ وأعذبها تعبيراً لما هو موجود داخل نفس الشاعر ، هذا الحنين الذي ظهر جلياً في شعر شوقي في مراحل عدة من حياته ، ولعل أبرز تلك المراحل هي غربته عن وطنه .

تعددت أغراض الحنين عند شوقي وتنوعت ، وبعضها أخذ نصيب الأسد من هذا الغرض ، فكانت النسبة متفاوتة بين تلك الأنواع ، فالحنين إلى الوطن خيم على أشعار المنفى التي أنشأها وهو في منفاه ، حيث اتسمت هذه الأشعار بطابع الشوق الجارف والحنين الملتهب للوطن العزيز على قلب الشاعر ، فالحديث يطول عن هذا الغرض حيث جاء على عدة مطالب مقسم كل منها على حدة وقد جاءت كالاتي :

### المطلب الأول : الحنين إلى الوطن :

يرتبط لفظ الحنين للوهلة الأولى بالوطن ، وذلك للعلاقة الوطيدة بين الإنسان ووطنه ، فتعلق المرء بالوطن أمر فطري عليه البشر بل كل الكائنات ، فالطيور مثلاً تهاجر وترجع إلى موطنها الأصلي ، وباقي الكائنات الحية ، " ومنذ القديم ارتبط الشوق والحنين بالوطن ، فصار الحنين إلى الأوطان شائعاً في كل العصور سواء للوطن والقبيلة والحي أم الشعب والأمة الكبيرة ، وسواء أكان مسقط رأس أم لم يكن، فالحنين إلى الأوطان انتماء وولاء وحب وحنين " (١) .

بدت مظاهر هذا الغرض عند شوقي وانجلت معالمها بعد نفيه عن وطنه إلى آخر يوم في حياة هذا الشاعر الكبير ، عاش شوقي بداية حياته حياة هادئة مطمئنة تمتع فيها بخيرات وطنه، وأخذ يسافر لعدد كبير من البلاد العربية والغربية ، كانت هذه المرحلة قبل نفيه عن وطنه واتخاذه لإسبانيا مكاناً للنفي ، في تلك الفترة لم يجرب شوقي البعد الحقيقي عن الوطن ، فكان الحنين للوطن أمراً طبيعياً عنده مثله كمثل أي إنسان يعيش على ثرى وطنه ، هذا الأمر جعل من شعره في الحنين للوطن يقتصر على مناسبات وأيام معدودة تحدث فيها عن الوطن وجماله وسحره الخلاب الذي يسلب النفس .

(١) الحنين والغربة في الشعر العربي : د. يحيى الجبوري ، دار مجدلاوي ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ص ١٠.



لقد برز الحنين إلى الوطن في شعر شوقي بروزاً ظاهراً جلياً خلال فترة النفي ، خمس سنوات قضاها امتلأت حياته فيها حنيناً وشوقاً ولوعةً للوطن ، هذا الحين من الدهر غدى رية الشعر عند شوقي وأنبثها نباتاً حسناً ، فأخذ شوقي يصدح بأعذب الأشعار في حنينه للوطن ، معبراً عن آلام البعد عن وطنه ، فحنين شوقي إلى وطنه انقسم إلى قسمين : قسم إبان نفيه إلى الأندلس ، وكان هذا القسم أقوى وعاطفته أشد ، وقسم آخر قاله بعد عودته من المنفى وعبر فيه عن صدق المشاعر تجاه وطنه بعدما ذاق ويلات الغربة والبعد عن الوطن .

تجلى الحنين إلى الوطن في قصائد عديدة ، أكثرها وضوحاً ما قاله في المنفى من قصائد عرفت بالأندلسيات ، فالشاعر لم ينس بلاده ، ومتعلق بها تعلقاً شديداً ، حيث يقول في ألم البعد عن الوطن وشدة الشوق له : ( الخفيف )

|   |  |
|---|--|
| وَسَلَا مِصْرَ هَلْ سَلَا الْقَلْبُ عَنْهَا | أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمَانَ الْمُؤَسِّي         |
| كُلَّمَا مَرَّتِ اللَّيَالِي عَلَيْهِ       | رَقَّ وَالْعَهْدُ فِي اللَّيَالِي تُقْسِي          |
| مُسْتَطَارًا إِذَا الْبَوَاخِرُ رَنَّتْ     | أَوَّلَ اللَّيْلِ أَوْ عَوَتْ بَعْدَ جَرَسِ        |
| رَاهِبًا فِي الضُّلُوعِ لِلسُّفُنِ فَطُنُّ  | كُلَّمَا نَرْنَ شَاعَهُنَّ بِنَقْسِ <sup>(١)</sup> |

لقد عانى شوقي من الغربة وامتلك الحنين لوطنه كل خياله ، فطفق ينشئ تلك الأشعار لكي يصبر نفسه ؛ ولكن هيهات هيهات فالجرح غائر ، والعدو ظالم ، فشوقي يتخيل أن له صاحبين يخاطبهما ويطلب منهما أن يسألا وطنه سؤالاً غرضه النفي المطلق هل نسيها قلبه العاشق المحب ، أو استطاع الزمان المداوي أن يعالج جروحه ، فجواب شوقي النفي المطلق ، ومن المعروف أن طول فترة البعد عن الوطن يمكن أن تنسي الإنسان بعض الذكريات في وطنه ؛ لكن شوقي كسر هذه القاعدة فما زادت طول الليالي إلا شوقاً وحنيناً وتعلقاً بالوطن ، فمصر محفورة في قلبه لا يستطيع نسيانها أو أن يتخيل الحياة بدونها ، لقد عاش شوقي بجانب شاطئ البحر وكانت إقامته بجانب إحدى الموانئ في إسبانيا ، فكان كلما سمع صوت البواخر تجدد أمل العودة عنده إلى مصر ، فقلبه يخفق عندما يسمع تلك البواخر لعلها تصحبه معها إلى مصر ؛ لكنه يصاب بحسرة شديدة عندما تذهب من غير أن تأخذه معها فيشبهها بالذئب المخادع الذي حمل له الفزع وقطع الأمل في العودة إلى وطنه ، ولقد تحول قلب شوقي إلى راهب متعبد باقٍ على عهده لمصر بالحب والشوق يتابع حركات السفن فهي السبيل الوحيد لإرجاعه إلى وطنه ،

(١) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

لم ينته حنين الشاعر بل أخذ يخاطب السفن لعلها ترأف بحاله وتعطف عليه ، فيقول :  
( الخفيف )

يا بنة اليمِّ ما أبوك بخيلٌ      ما له مولعاً بمنعٍ وحبسٍ<sup>(١)</sup>  
أحرامٌ على بلائيه الدو      حُ حلالٌ للطيرٍ من كلِّ جنسٍ  
كُلُّ دارٍ أحقُّ بالأهلِ إلّا      في حبيثٍ من المذاهبِ رجسٍ  
نَفسي مرَجَلٌ وَقَلبي شرعٌ      بهما في الدُموعِ سيرِي وأرسي  
وَأجعلِي وجهَكِ الفَنارَ وَمَجرا      كِ يَدَ النَّعْرِ بَيْنَ رَمَلٍ وَمَكسٍ<sup>(٢)</sup>

إن حنين المغترب إحساس لا يوصف ، يدفع صاحبه إلى مخاطبة الجمادات ليواسي نفسه ، فشوقي هنا يخاطب السفينة ويذكرها أن أباهما البحر كريم مع جميع الناس فلماذا يبخل عليه ويجعله حبيساً في أرض المنفى ؟ لكن شوقي يحدد أصل هذه المعاناة ألا وهو الاستعمار الظالم الذي يسلب خيرات الوطن ويستبيح كل شيء ، ويمنع أصحاب الأرض تلك الخيرات بل ويطردهم عنها ، فشعور شوقي بالظلم جعله يؤصل لحكمة مفادها أن أصحاب الأرض لهم الحق الكامل بأرضهم وخيراتها ، وكل وطن أحق بأبنائه ، ولا ينكر هذا إلا من تنكر للإنسانية واتبع المذاهب النجسة ، فشوقي عندما عرف الحقيقة المرة بأنه لن يعود إلى وطنه بهذه السهولة اكتفي بإرسال التحيات مع السفن بحيث يجعل من أشواقه وقوداً ومن دموعه بحراً تسير فيه وترسي تلك السفن على شواطئ مصر حاملة الأشواق والتحيات من شاعر تعلق بمصر وشواطئها .

إنَّ جمال الطبيعة في الأندلس خلاب يسلب العقول والنفوس ، هذه الأجواء عايشها شوقي في تلك البلاد ؛ لكن هم الغربة والشوق الجارف والحنين اللامتاهي لوطنه حرمه من تلك الأجواء، حيث يقول : ( الخفيف )

وَطَنِي لَوْ شُغِلْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ      نَارَعَتَنِي إِلَيْهِ فِي الْخُلْدِ نَفْسِي  
وَهَقَا بِالْفُؤَادِ فِي سَلَسْبِيلِ      ظَمَأً لِلْسَوَادِ مِنْ عَيْنِ شَمْسِ  
شَهْدَ اللَّهِ لَمْ يَغِبْ عَن جُفُونِي      شَخْصُهُ سَاعَةً وَلَمْ يَخْلُ جِسِّي<sup>(٣)</sup>

(١) في الديوان كتبت كلمة ( يا ابنة ) هكذا ، والصواب أن تكتب ( يا بنة ) لأنها وقعت بعد أداة نداء .

(٢) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

(٣) السابق : ص ٣٨٤ .

يظهر من تلك الأبيات عظيم الشوق والحنين الذي ملك كيان الشاعر ووجوده ، فقد بالغ شوقي مبالغة كبيرة في حبه للوطن حيث النفس المتعلقة بالوطن التي لا ترضى به بديلاً ، حتى لو كان في جنات الخلد لتمنى العودة للوطن ، وهذا من الخيال ؛ لكنه يبين مدى شوق الشاعر وحنينه لوطنه ، فشوقي استخدم حرف الشرط لو وهو حرف امتناع لامتناع ، ثم يرسم لنا شوقي تلك الصورة الرائعة في مدى حنينه للوطن ، ففؤاده ظمآن لمناطق عدة في مصر ، وقلبه مشتاق ليروي العطش الشديد لمصر وأهلها وضواحيها لا سيما (عين شمس) التي قضى فيها فترة من ريعان شبابه ، ثم يشهد الله ( جل وعز ) على ما في قلبه من حنين إلى مصر ، فمصر لم تغب عن إحساس شوقي وبصره .

إنَّ الحياة التي قضاها شوقي في منفاه لم تتسبه مصر وأهلها ، بل زاد الحنين من تعلقه بوطنه مما جعله يرسم أجمل أبيات الشوق والحنين إلى الوطن ، فيجلس مع نفسه ويذكر هذا البلد العظيم ، يتذكر ليلاليه وحياته بين ربوع مصر وخيراتها ، فينشئ قائلاً في قصيدة ملئت شوقاً وحنيناً : ( البسيط )

|  |   |
|--|---|
| لَكِنَّ مِصْرَ وَإِنْ أَغْضَتْ عَلَيَّ مَقَّةً | عَيْنٌ مِنَ الْخُلْدِ بِالْكَافُورِ تَسْقِينَا      |
| عَلَى جَوَانِبِهَا رَفَّتْ تَمَائِمُنَا        | وَحَوْلَ حَافَاتِهَا قَامَتِ رَوَاقِينَا            |
| مَلَاعِبُ مَرَحَتِ فِيهَا مَارِينَا            | وَأَرْبَعُ أَنْسَتِ فِيهَا أَمَانِينَا              |
| وَمَطْلَعُ لِسُعودٍ مِنْ أَوَاخِرِنَا          | وَمَغْرِبُ لِحُدُودٍ مِنْ أَوَالِينَا               |
| بِنَا فَلَمْ نَخْلُ مِنْ رُوحِ يَرَاوِحُنَا    | مِنْ بَرِّ مِصْرَ وَرِيحَانِ يُغَادِينَا            |
| كَأَمْ مُوسَى عَلَى إِسْمِ اللَّهِ تَكْفُلُنَا | وَبِاسْمِهِ دَهَبَتِ فِي الِيمِّ تَلْقِينَا         |
| وَمِصْرُ كَالْكَرْمِ ذِي الْإِحْسَانِ فَكِهَةٌ | لِحَاضِرِينَ وَأَكْوَابُ لِبَادِينَا <sup>(١)</sup> |

لقد جاءت تلك الأبيات بعيد حديث شوقي عن الأندلس وراثتها ، فيستدرك قوله بأن مصر تلك الأم الحنون هي جنة الله في أرضه ، هذا الشعور الممزوج بالحنين والشوق لمصر أباح عن مفارقات كثيرة في وصف مصر بأوصاف تعجز الكلمات عن توضيحها ، إن نظرة شوقي لمصر مليئة بالعرفان للوطن الأم ، فإن تقطعت السبل به فأمه الحنون ( مصر ) تسقيه من أعذب العيون ، ثم يكمل شوقي تلك الصورة التي تجسد الحنين لمصر بذكر خيراتها وتذكر ماضيه الجميل بها ، يصرح شوقي بما يجول في صدره بأن الفراق لم ينسه تلك الليالي فرائحة مصر

(١) الشوقيات : ص ٦٨١ .

الزكية تملأ أنفه وفكره ، وريحانها ما زال يجدد له الأمل في عودته الحتمية لمرايع طفولته وصباه، يشبه شوقي مصر بأم موسى ( عليها السلام ) عندما ألفت ابنها موسى ( عليه الصلاة والسلام ) في اليم لا تريد الهلاك له بل أن هذه الطريقة الوحيدة لنجاته ، وكذلك مصر حنونة على أبنائها تكفلهم اسم الله وتدعو لهم بالسلام والأمان ، فهي كريمة معهم تعطي ولا تنتظر والواجب على أبنائها أن يردوا هذا الإحسان، وذلك ما يذكره شوقي في مواطن أخرى لرد الجميل لوطنهم الأم مصر .

لقد نبت الحزن وتغلل بداخل شوقي في منفاه ، هذا الحزن من الفراق والبعد عن الوطن ترك الشاعر يدعو عناصر الطبيعة لمشاركته في أحزانه ؛ ليخفف من الضغط النفسي الرهيب الواقع على إحساس شوقي ووجدانه ، حيث يقول : ( البسيط )

يا ساريَ البرقِ يرمي عن جوانِحنا      بَعَدَ الهُدُوءِ وَيَهْمِي عَن مَاقِينَا  
لَمَّا تَرَقَّرَقَ فِي دَمَعِ السَّمَاءِ دَمَاءً      هَاجَ البُكَاءُ فَخَضَبْنَا الأَرْضَ باكِينَا  
الَّيْلُ يَشْهَدُ لَمْ نَهْتِكِ دِيَاجِيَهُ      عَلَى نِيَامٍ وَلَمْ نَهْتَفِ بِسَالِينَا  
وَالنَّجْمُ لَمْ يَزِنَا إِلَّا عَلَى قَدَمِ      قِيَامَ لَيْلِ الهَوَى لِلْعَهْدِ رَاعِينَا (١)

يدعو شوقي البرق ليشركه تلك الأحزان ، فالحنين أخذ منه كل مأخذ ، بل إن قلب شوقي يخفق كما يخفق البرق لذلك يطلب شوقي من البرق أن يساعده في التخفيف مما أثقل جوانحه وأن ينوب عنه بالبكاء ، فدمع الشاعر يكاد يجف من شدة المصيبة وهولها ، عمد شوقي إلى عناصر الطبيعة لتشاركه أحزانه مرة أخرى ، فهاهي السماء تبكي لمأساة الشاعر فينخلط دمع السماء ودمع الشاعر الذي سال دماً مخضيين الأرض التي اكتست بلون أحمر .

انتقل شوقي بعد وصف شدة حنينه للوطن وذكر مآسيه ومشاركة الطبيعة له ؛ ليدلل على العلاقة بين عناصر الطبيعة وتاريخ مصر العريق ، فالليل يشهد على أن أجدادنا لم يغدروا أحداً، بل كانوا مثلاً للفارس الحق وللشجاعة فلا يستغلون الليل لغفلة الناس فهم شجعان يتحلون بصفات العزة والوفاء ، فشوقي يفتخر بأجداده المسلمين بوفائهم للعهد ليدلل على أنه مثلهم ، فهو باق على عهده مع أحبائه ومع أم الأحباب كلهم مصر العزيزة على قلبه ، فمصر أرض

(١) الشوقيات : ص ٦٨١ .

الأبوة والميلاد وفيها قضى الشاعر أجمل لحظات حياته ، يصف ذلك في أبيات تحمل بداخلها  
الشوق الجارف لمصر قائلاً : ( البسيط )  
أَرْضُ الْأُبُوَّةِ وَالْمِيلَادِ طَيِّبَتَاهَا  
كَانَتْ مُحَجَّلَةً فِيهَا مَوَاقِفُنَا  
لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخُضْنَا الْجَوْ صَاعِقَةً  
سَعِيًّا إِلَى مِصْرَ نَقْضِي حَقَّ ذَاكِرِنَا  
كَنَزُّ بِخُلُوانٍ عِنْدَ اللَّهِ نَطْبُؤُهُ  
لَوْ غَابَ كُلُّ عَزِيزٍ عَنْهُ غَيْبَتِنَا  
إِذَا حَمَلْنَا لِمِصْرٍ أَوْ لَهُ شَجَنًا  
مَرُّ الصَّبَا فِي دُيُولٍ مِنْ تَصَابِينَا  
غُرًّا مُسَلَّسَلَةً الْمَجْرَى قَوَافِينَا  
وَالْبَرَّ نَارَ وَغَىِّ وَالْبَحَرَ غَسَلِينَا  
فِيهَا إِذَا نَسِيَ الْوَافِي وَبَاكِينَا  
خَيْرَ الْوَدَائِعِ مِنْ خَيْرِ الْمُؤَدِّينَا  
لَمْ يَأْتِهِ الشُّوقُ إِلَّا مِنْ نَوَاحِينَا  
لَمْ نَدِرْ أَيُّ هَوَى الْأُمِّينِ شَاجِينَا (١)

إن ذكر شوقي المتكرر لوطنه لهو خير دليل على شدة الحاجة التي ألتمت به ، فإحساس  
شوقي المرهف وحنينه لوطنه جسّد هذا الشعر المليء بالإحساس والعاطفة الفياضة ، يذكر أيام  
صباه وفترة شبابه المليئة بالذكريات الغالية عليه ؛ لكنه يتذكر أن مصر محتلة والعدو استباح  
خيراتها فهو مستعد لمواجهة بشتى السبل ويعلن الحرب عليه نارا تلتهم أركان هذا المحتل الظالم  
الذي سلب العباد والبلاد حريتهم ، كل ذلك من أجل مصر التي تحمل الذكرى ، فهي في قلبه  
حتى لو نسي كل وافٍ وبالك ، يعتصر قلب الشاعر ألماً وقهراً ، فالفراق لم يكن لمصر وحدها ،  
فهناك أمه التي ربتة وأنشأته خير نشأة ، فهوى الأممين ملأ قلبه الأم مصر وأمه البيولوجية ،  
حيث نسب الشوق والحنين لنفسه فهو الذي غاب عن الوطن مكرهاً مبعداً منفياً .

إن الحسرة التي ألتمت بشوقي عززت فيه حبه لوطنه ، فقد جسّد بشعره أنموذجاً يحتذى في  
التعلق بالوطن وعدم التفريط فيه ، وعلى الرغم أن شوقي نفي إلى أجمل الأماكن ( إسبانيا ) ذات  
الطبيعة الخلابة إلا أن حنينه منعه من التمتع بتلك الخيرات ، والتلذذ بالجمال الساحر للطبيعة  
هناك، حيث يقول : ( الطويل )

نَزَلْتُ رُبَى الدُّنْيَا وَجَنَاتِ عَدْنِهَا  
أَرِيحُ أَرِيحُ الْمِسْكِ فِي عَرَصَاتِهَا  
إِذَا ضَحِكَتْ زَهْوًا إِلَيَّ سَمَاوَهَا  
فَمَا وَجَدْتِ نَفْسِي لِأَنْهَارِهَا طَعْمَا  
وَإِنْ لَمْ أَرِحْ مَرَوَانَ فِيهَا وَلَا لَحْمَا  
بَكَيتُ النَّدى فِي الْأَرْضِ وَالنَّبَاسَ وَالْحَزْمَا

(١) الشوقيات : ص ٦٨٣-٦٨٤ .

أَطِيفُ بِرِسْمٍ أَوْ أَلِمُّ بِدِمْنَةٍ      أَخَالَ الْقُصُورَ الزُّهْرَ وَالْعُرْفَ الشَّمَا<sup>(١)</sup>

لقد زار شوقي أماكن كثيرة تميزت تلك المناطق بالمناظر الخلابة والطبيعة الساحرة ، حيث الجنان والأنهار ؛ لكنه لم يتمتع بها وكيف يشعر بالمتعة والوطن يريخ تحت نير المحتل الذي أبعدته عنه؟! تلك حالة من التناقض إذن حلت بشوقي ، يتجول في أجمل مناطق العالم فلا يطعم هذا الجمال ، فالألم ألمان في تلك المنطقة حيث الغربة عن الوطن والتاريخ العريق للمسلمين في الأندلس هذا الملك الضائع التي يحمل عبقات من المسك والطيب ، يحمل رائحة المسلمين في كل مكان في تلك المناطق ، فالأجواء جميلة ممتعة تسعد أي نفس ؛ لكن آلام شوقي لا يمكن معالجتها بهذه السهولة ، ولعل خبر موت أمه الذي وصله وهو في المنفى نزل عليه كالصاعقة ، حيث فقد إحدى الأُميين اللتين تشكلان له خارطة الطريق نحو المستقبل ، فما هو يعبر عن ذلك قائلاً : ( الطويل )

فَمَا بَرَحْتَ مِنْ خَاطِرِي مِصرُ سَاعَةً      وَلَا أَنْتِ فِي ذِي الدَارِ زَايِلَتِ لِي هَمًّا  
إِذَا جَنَّنِي اللَّيْلُ اهْتَزَزْتُ إِلَيْكُمَا      فَجَنَحَا إِلَي سُعْدَى وَجَنَحَا إِلَي سَلْمَى  
وَحَنَّنْتَ نَوَاقِيسَ وَرَنَّنْتَ مَاذِنٌ      وَرَفَّقْتَ وَجُوهَ الْأَرْضِ تَسْتَقْبِلُ السَّلْمَى  
أَتَى الدَّهْرُ مِنْ دُونِ الهِنَاءِ وَلَمْ يَزَلْ      وَلَوْعَاءَ بَيْنِيَانِ الرَّجَاءِ إِذَا تَمَّا<sup>(٢)</sup>

فمصر لم تفارق خياله ووجدانه ، وكذلك أمه الغالية عليه ، فكلما حل الليل وأرخى سدوله جاء الحنين معه والاشتياق لكل شبر من مصر وأهلها ، إن الحنين الذي يفوح من جميع أجزاء ذاكرة شوقي يجعل منه نيراساً ينير له الطريق المظلمة في غربته ، فكل شيء يحن لمصر ويتمنى العودة القريبة ليعم الهناء والفرح والسعادة ، والتنعيم بسحر الوطن الغالي . إن الهجرة التي فرضت على شوقي غيرت من إحساس شوقي تجاه وطنه ، فإحساس شوقي بمكانة الوطن قبل النفي لم تكن كبعده ، وذلك واضح في أشعاره ، فالوطن ذلك المفهوم الغامض الذي لايمكنه أن تشعر بقيمته إلا عندما يسلب منك ، وهذا ما يذكره شوقي حيث يقول في حنينه للوطن وفرحه عند الإياب إليه : ( البسيط )

يَا مَنْ هَجَرْتُ إِلَى الْأَوْطَانِ رُؤْيَيْهَا      فَرَحْتُ أَشْوَاقَ مُشْتَاقٍ لِأَوْطَانِ  
أَتَذَكِّرِينَ حَنِينِي فِي الزَّمَانِ لَهَا      وَسَكْبِي الدَّمْعَ مِنْ تَذَكَرِهَا قَانِي<sup>(٣)</sup>

(١) الشوقيات : ص ٥٥٠ .

(٢) السابق : ص ٥٥٠ .

(٣) السابق : ص ٧٠٤ .

فالشوق الكبير للوطن إبان نفيه ، والحياة البائسة التي قضاها بعيداً عن وطنه ، والدمع المسكوب على فراق الوطن والأحبة الذي تحول للون الدم من شدة الألم والتوجع لدليل لكل إنسان على أهمية الوطن ، فيتذكر حنينه في بلاد الغربية بعدما عاد إلى وطنه ، تلك فترة من عمره أصّلت للوطنية العظيمة في قاموس شوقي ، بحيث أضحي شوقي رمزاً للوطنية في ذلك العصر ، واعتبر من شعراء الوطنية الأوائل الذين ضحوا من أجل مصر ، وعبروا عن ذلك أصدق تعبير من خلال تضحياتهم وأشعارهم في حب الأوطان وحنينهم الجارف إلى مصر وخيراتها ، وتحديدهم للعدوان المستمر دفاعاً عن هذا الحب الأصيل تجاه أوطانهم .

إن شوقي ما فتى يتذكر وطنه عندما يشاهد شيئاً يحرك فيه ذكرياته في بلده ، ويذكر ذلك في قالب شعري ممتلئ بالتعبير الصادق ومن ذلك قوله : ( البسيط )

هَجْتُنْ لِي لَوْعَةً فِي الْقَلْبِ كَامِنَةً      وَالْجُرْحُ إِنْ تَعْتَرِضُهُ نَسْمَةٌ يَثُرِ  
 ذَكَرْتُ مِصْرَ وَمَنْ أَهْوَى وَمَجَلِسَنَا      عَلَى الْجَزِيرَةِ بَيْنَ الْجِسْرِ وَالنَّهْرِ  
 وَالْيَوْمُ أَشْيَبُ وَالْآفَاقُ مُذَهَبَةٌ      وَالشَّمْسُ مُصْفَرَّةٌ تَجْرِي لِمُنْحَدَرٍ (١)

لقد بقي شوقي على العهد الذي قطعه على نفسه بأن يبقي على الحنين الكامل لمصر ، وألا يفضل مكاناً على وطنه ، فهو يرى أشياء تعترضه تحرك لوعة الفراق الغائرة في قلبه ، فجرحه لم يندمل بعد بل معرض للتجديد عن أي إثارة له ، فيذكر مصر وأحابيه فيها ومناطق طالما جالسهم عليها .

مثلت السفينة في حياة شوقي رموزاً كثيرة أقواها على الإطلاق عندما كان ينظر إليها أنها المخلص له من بعده عن مصر ، فخاطبها مراراً وتكراراً علها تقدم له ما يريد من عودة سالمة إلى ثرى الوطن ، فها هو يشكرها شكراً لا يوصف حيث يقول في عودته إلى الوطن بعدما ذاق ويلات الغربية : ( الوافر )

شَكَرْتُ الْفُلْكَ يَوْمَ حَوَيْتِ رَحْلِي      فَيَا لِمُفَارِقِ شَكَّرَ الْغُرَابَا  
 فَأَنْتِ أَرْحَتِي مِنْ كُلِّ أَنْفٍ      كَأَنْفِ الْمَيْتِ فِي النَّزْعِ انْتِصَابَا (٢)

(١) الشوقيات : ص ٣٤٤ .

(٢) السابق : ص ١٠٥ .

لقد قدّم شوقي الشكر الجزيل للفلك لأنها أسهمت في إنهاء معاناة استمرت خمس سنوات عانى فيها الكثير بعيداً عن مصر ، هذا الشكر الممزوج بالحنين إلى وطنه بلور رسالة لكل محتل أن حنين المغترب عن الوطن لا يقدر ولا يوصف ، وأن الأوطان مهما فعل المحتل لا تمحي من وجدان أهلها .

إنّ أصدق تعبير عما شعر به شوقي تجاه الوطن تلك اللحظة التي وصل فيها إلى وطنه بعد نفيه ، خاطب مصر خطاب الطفل المشتاق لأمه بعدما ابتعدت عنه ولم يرها لسنوات ، فمصر هي الأم الثانية لشوقي ، الأم التي ما فتئ شوقي يتغنى بها بعدما تألم كثيراً في بعده عنها ، حيث يقول حينما وصل إليها : ( الوافر )

وَيَا وَطَنِي لَقَيْتُكَ بَعْدَ يَأْسٍ  
وَكُلُّ مُسَافِرٍ سَيَّئُوبٌ يَوْمًا  
وَلَوْ أَنِّي دُعِيتُ لَكُنْتِ دِينِي  
أُدِيرُ إِلَيْكَ قَبْلَ الْبَيْتِ وَجْهِي  
كَأَنِّي قَد لَقَيْتُ بِكَ الشَّبَابَا  
إِذَا رُزِقَ السَّلَامَةَ وَالْإِيَابَا  
عَلَيْهِ أَقَابِلُ الْحَتَمَ الْمُجَابَا  
إِذَا فُهِتُ الشَّهَادَةَ وَالْمَتَابَا<sup>(١)</sup>

فشوقي في هذه الأبيات يجسد الشوق العظيم لوطنه ، والذي يخاطبه بعد طول غياب وشوق شديد لرؤيته ، فشوقي كان ضائعاً يبحث عن وطنه ولم يترك منفذاً حتى فتش فيه ، واليوم يلاقيه بعدما ينس من العثور عليه ، ويشبه هذا بعودة الشباب لإنسان هرم فكيف يكون ذلك ؟ الأمر الذي يعد نوعاً من المعجزات ، هذه الصورة التي توضح مدى الحنين الكامن بقلب شوقي تجاه وطنه ، ويذكر شوقي في هذه المناسبة حكمة مفادها أنّ كل مسافر لابد له من عودة لوطنه سالمًا غانمًا ، فشوقي عندما قال هذا الأبيات التي غالى فيها كثيراً في وصفه لحبه الشديد لمصر وحنينه لوطنه ، والذي عدّ حب الوطن ركناً رئيساً من الدين جعله بمثابة البيت الحرام ، ولعل ذلك نابع من المرارة التي عايشها شوقي في الغربة وتملك الحنين إلى الوطن بالتفكير الشعوري واللاشعوري .

(١) الشوقيات : ص ١٠٥-١٠٦ .



يصف شوقي عودته إلى وطنه ، العودة المجللة أجمل تيجان الفرح والسعادة ، فركائب الشاعر تسير مرفوعة الرأس مطمئنة النفس فرحة ، يذكر ذلك المشهد المعبر عن الفرح الكبير الذي غمر فكر الشاعر ووجدانه قائلاً : ( الوافر )

وَقَدْ سَبَقَتْ رِكَائِبِي الْقَوَافِي  
تَجُوبُ الدَّهْرَ نَحْوَكَ وَالْفِيَّافِي  
وَتَهْدِيكَ النَّشَاءَ الْحُرَّ تَاجاً  
هَدَانَا ضَوْءُ نَعْرِكَ مِنْ ثَلَاثِ  
وَقَدْ غَشِيَ الْمَنَارُ الْبَحْرَ نَوْرًا  
وَقِيلَ النَّعْرُ فَاتَّأَدَّتْ فَأَرْسَتِ  
فَصَفْحًا لِلزَّمَانِ لِصُبْحِ يَوْمِ  
مُقَلَّمَةً أَرَمَّتْهَا طِرَابًا  
وَتَقْتَحِمُ اللَّيَالِي لَا الْعُبَابَا  
عَلَى تَاجِيكَ مُؤْتَلِقًا عُجَابَا  
كَمَا تَهْدِي الْمُنَوَّرَةَ الرِّكَابَا  
كَنَارِ الطُّورِ جَلَّتِ الشِّعَابَا  
فَكَانَتْ مِنْ ثَرَاكَ الطُّهْرِ قَابَا  
بِهِ أَضْحَى الزَّمَانُ إِلَيَّ ثَابَا (١)

فشوقي في غاية السعادة والسرور ؛ لأنه كحل ناظريه بروية وطنه من جديد ، فركائبه تختال طرباً وشوقاً لبلوغها المراد ، تسير محملة بالحنين الذي يكنه شوقي لوطنه ، فهي تجوب الدهر والأماكن والصحراء والتضاريس المختلفة وتقطع الأزمان لكي تصل هذا البلد الذي حُرِمه الشاعر حيناً من الزمن ، حيث تهديه النشاء والشكر ليُوضَع تاجاً عرفاناً منها لفضل الوطن على جميع أبنائه ، فالوطن نبراس يضيء الطريق لفلذات أكباده ؛ لكي يعرفوا المنهج القويم ليسيروا عليه ويخدموا وطنهم ويعملوا على رفعتة ، يصف النور الذي أنار البحر هادياً لمن ركبوا البحر الطريق ، فوطنه منار لكل ضال ، فالسفينة التي ركبها شوقي عرفت الطريق من شدة النور المشع من مصر ، عبر شوقي عن فرحته المطلقة بتلك العودة الميمونة واصفاً الزمان بأنه وفيٍّ معه وصادق حيث أعاده إلى وطنه سالماً غانماً .

إن عودة شوقي لمصر التي انتظرها على أحر من الجمر جعلته ينشئ أشعاراً صادقة نابغة من ذلك الحنين الكامن بين ثنايا القلب ، حيث كتب كلمات في مصر خلدها التاريخ وذلك وقت وصوله لها ، واصفاً هذا المشهد بقوله : ( الوافر )

أُنَادِي الرَّسْمَ لَوْ مَلَكَ الْجَوَابَا  
وَأُجْزِيهِ بِدَمْعِي لَوْ أَتَابَا  
وَقَلَّ لِحَقِّهِ الْعَبْرَاتُ تَجْرِي  
وَإِنْ كَانَتْ سَوَادَ الْقَلْبِ ذَابَا

(١) الشوقيات : ص ١٠٥-١٠٦ .

سَبَقَنَ مَقَبَلَاتِ الثَّرِبِ عَنِّي      وَأَدْيِنَ التَّجْيِئَةَ وَالْخَطَابَا  
فَنَثَرِي الدَّمْعَ فِي الدِّمَنِ الْبَوَالِي      كَنَظْمِي فِي كَوَاعِبِهَا الشَّبَابَا  
وَقَفْتُ بِهَا كَمَا شَاءَتْ وَشَاوُوا      وَقُوفاً عَلَّمَ الصَّبْرَ الذَّهَابَا  
لَهَا حَقٌّ وَلِلْأَحْبَابِ حَقٌّ      رَشَفْتُ وَصَالَهُمْ فِيهَا حَبَابَا  
وَبَيْنَ جَوَانِحِي وَافٍ أُلُوفٌ      إِذَا لَمَحَ الدِّيَارَ مَضَى وَثَابَا (١)

لقد تعب شوقي من مخاطبة وطنه عندما كان بعيداً عنه ، حاول بكل الطرق أن يوصل رسائله وأشواقه الحارة لمصر لكن دون جدوى ، فأخذ يرسلها عبر السفن المغادرة من منفاه لعلها تنفيء بالعرض المأمول ؛ لكنه اليوم يقف فوق ثرى الوطن ملازماً لمصر ، وأهلها في استقبال حافل لهذا الشاعر الكبير ، ينادي شوقي على وطنه الذي أحبه حباً جماً صادقاً ، يأتي هذا النداء ليخبر به مصر عما يكن لها ؟ فيسأل إذا كان الوطن باستطاعته الإجابة والرد عليه ! فهو مستعد لمخاطبته بالدموع لو أراد ، فالدموع لا تجري إلا لأجلك يا مصر ، لقد جف الدمع من تلك العيون بكاءً على فراق الوطن ، حتى أن سويداء القلب قد ذابت من شدة اللوعة والحنين ، فاليوم تسبقه الدموع لتؤدي قرابين الطاعة لمصر والولاء لها ، تؤدي التحية الممزوجة بدمع القلب لثرى الوطن الغالي .

أما القسم الآخر من حنين شوقي إلى وطنه فقد ظهر بُعِيدَ عودته من المنفى ، حيث أصبح داخل وطنه متنعماً بنعمة الوطن وكفى بها من نعمة ، لقد أرسيت مرحلة النفي قواعد الحنين العظيمة بقلب شوقي ، فعرف أن الوطن نعمة لا تقدر بثمن ، هذه النعمة لا يستشعرها إلا من حُرِمَ منها ، فكان شوقي كلما أراد السفر لغرض ما يستشعر الحنين الكبير لمصر ولكل شيء عزيز عليه فيها ، حيث يقول في رحلة سفر : ( البسيط )

مِصْرُ الْعَزِيزَةِ مَا لِي لَا أُودِّعُهَا      وَدَاعٌ مُحْتَفِظٌ بِالْعَهْدِ مُدَكِّرٌ  
خَلَّفْتُ فِيهَا الْقَطَا مَا بَيْنَ ذِي رَعْبٍ      وَذِي تَمَائِمٍ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِيرِ (٢)

(١) الشوقيات ١٠٤-١٠٥ .

(٢) السابق : ص ٣٤٥ .

ها هو شوقي يستنكر على كل شخص أن يلومه في حبه لمصر ، فمصر غالية على قلبه ،  
قد أخذت منه العهود والمواثيق ، لاتفوته فرصة لإظهار الشوق لمصر ولكل شيء جميل فيها -  
ما أكثرها تلك الأشياء - إلا وكان خير معبر عن هذا الحنين الصادق .

لقد سكن جمال مصر في خلايا شوقي ، فكان كلما رأى شيئاً جميلاً فاضل جمال مصر  
عليه ، حيث نلاحظه يمتدح ذلك المكان ويثني عليه ؛ لكن في نهاية حديثه يربط ذلك بجمال  
وطنه ، ومن ذلك ما قاله في وصف البوسفور وهو مضيق يتميز بجماله الخلاب وكان تحت  
حكم الدول العثمانية ، حيث يقول : ( الوافر )

لَأَجْلِكَ سِرْتُ فِي بَرٍّ وَبَحْرِ      وَأَنْتِ الدَّهْرَ أَنْتِ بِكُلِّ قُطْرِ  
حَنَنْتِ إِلَى الطَّبِيعَةِ دُونَ مِصْرٍ      وَقُلْتِ لَدَى الطَّبِيعَةِ أَيْنَ مِصْرُ (١)

إن النفس تعشق كل جميل ، فالإنسان بطبعه يهوى الطبيعة الساحرة ، فشوقي عندما زار  
الآستانة مر على مضيق البوسفور وهناك سُجِرَ بجمال الطبيعة ؛ لكنه لا يستطيع مقاومة حنينه  
لمصر ، لأنها ملكت العقل والوجدان .

تنوع حنين شوقي إلى وطنه بعد العودة من المنفى ، فبعدما كان هدفه الرجوع إلى  
مصر ، ومسامرة الأهل والأحباب ، والتمتع بخيرات وطنه الكثيرة ، اتجه إلى الهدف الأسمى وهو  
استنهاض الهمم من أجل الدفاع عن الوطن ، ومقاومة المحتل وطلب الحرية الكاملة من سيطرة  
العدو على مناحي الحياة المختلفة آنذاك ، فأوضاع مصر لا تسر الصديق بل كانت تمر  
بمؤامرات خبيثة تحاك ليل نهار لإفساد هذا البلد ، لقد وقف شوقي سداً منيعاً أمام تلك  
المؤامرات، فبدأ ببث الروح المعنوية في نفوس الشباب لكي يواجهوا تلك المخططات ، حيث  
يقول: ( الكامل )

يَا مِصْرُ أَشْبَالَ الْعَرِينِ تَرَعْرَعْتَ      وَمَشَتْ إِلَيْكَ مِنَ السُّجُونِ أُسُودَا  
يَا فِتْيَةَ النِّيلِ السَّعِيدِ خُذُوا الْمَدَى      وَأَسْتَأْنِفُوا نَفْسَ الْجِهَادِ مَدِيدَا  
وَتَتَكَبَّرُوا الْعُدُونَ وَاجْتَنِبُوا الْأَذَى      وَقَفُوا بِمِصْرَ الْمَوْقِفِ الْمَحْمُودَا  
الْأَرْضُ أَلْيَقُ مَنْزِلًا بِجَمَاعَةٍ      يَبْغُونَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ فُعُودَا (٢)

(١) الشوقيات : ص ٣١٣ .

(٢) السابق : ص ٢٢٨-٢٢٩ .

يخاطب شوقي مصر ويطمئنها بأن شبابها نزلوا الوغى أسوداً ، لا يخافون بطش المحتل وغطرسته ، فهم لا يبالون من القتل والسجن ، هؤلاء الشباب أخذوا على عاتقهم تحرير الوطن ، ومقاومة المحتل بشتى السبل ، وهنا يناشدهم شوقي بالاستمرار في هذا الدرب ، وأن يستعدوا للمواجهة ، ويستأنفوا نفس الجهاد ويلقنوا كل من تسول له نفسه تخريب مصر واستغلالها دروساً في كيفية التعامل مع مصر ، فمصر تختلف عن أي بلد ، إنَّ إحساس شوقي بالخطر المحدق التي تتعرض له مصر دفعه لحمل راية الجهاد في مواجهة الأوضاع الصعبة التي حلت بوطنه ، فالوطن إن لم يقف الجميع مدافعين عنه أصبح لقمة سائغة للطامعين ؛ لذلك نرى شوقي يطالب الجميع بتحمل مسؤولياتهم وأن يقفوا لمصر ذلك الموقف المحمود .

إن بث الحماسة في نفوس أبناء الوطن وعناصره الفتية سمة بارزة عند شوقي ، فكثيرة تلك الأشعار التي ساقها شوقي في هذا المجال ، كانت هذه الأشعار ذات المنشأ النفسي عند شوقي، فهذه الطريقة ما هي إلا ترجمة لشوقه وحبه الشديد للوطن ، حيث كثرة مخاطباته الشباب للذود عن حمى الوطن ، واستنكاره عليهم التكاثر والتباطؤ في هذا الأمر ، يقول شوقي باعثاً الهمم ومستكراً التقاعس على أبناء وطنه في خدمة وطنهم : ( الوافر )

بَنَى الْأَوْطَانَ هُبُّوا ثُمَّ هُبُّوا      فَبَعْضُ الْمَوْتِ يَجْلِيهِ السُّبُاطُ  
مَشَى لِلْمَجْدِ خَطْفَ الْبَرْقِ قَوْمٌ      وَنَحْنُ إِذَا مَشَيْنَا السُّلْحَفَاءُ  
يُعِدُّونَ الْقُوَى بَرًّا وَبَحْرًا      وَعُدَّتْنَا الْأَمَانِي الْكَاذِبَاتُ (١)

يستنكر شوقي على أبناء مصر الركون إلى الراحة والاعتماد على الغير ، فالغرب متقدمون في كل شيء يقدمون لأوطانهم خدمات جليلة يسرون في تقدمهم بسرعة البرق ، وأبناء مصر مشيهم للمجد كمشي السلحفاة غاية في البطء ، فوجب على أبناء الوطن أن يتركوا الأمانى الخادعة التي تصيب الإنسان بالإحباط والفتل ، وأن يعمدوا إلى الجد والمثابرة لرفعة الوطن ورفيقه ، وجعله في مصاف الدول المتقدمة .

لقد أفرد شوقي أمكنة كثيرة في شعره للحديث عن مصر ، تحدث عن مصر العروبية ، ومصر الوحدة ، ومصر التاريخ والحضارة ، ومصر الجميلة ، وهذه بعض الأوصاف التي ذكرها

(١) الشوقيات : ص ١٧٧ .

متحدثاً عن أمه الثانية التي يحن إليها وهو مقيم على ثراها ، يصرح بحبه لها والعلاقة القوية التي تجمعها بها فيقول : ( الوافر )

أُحِبُّكَ مِصْرُ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِي      وَحُبُّكَ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ نَامِي  
سَيَجْمَعُنِي بِكَ التَّارِيخُ يَوْمًا      إِذَا ظَهَرَ الْكِرَامُ عَلَى اللَّيَامِ  
لِأَجْلِكَ رُحْتُ بِالدُّنْيَا شَقِيًّا      أَصْدُ الْوَجْهَ وَالدُّنْيَا أَمَامِي  
وَأَنْظُرُ جَنَّةً جَمَعَتْ ذُنَابًا      فَيَصْرُفُنِي الْإِبَاءُ عَنِ الزِّحَامِ  
وَهَبْتُكَ غَيْرَ هَيَّابٍ يَرَاعًا      أَشَدَّ عَلَى الْعَدُوِّ مِنَ الْخُسَامِ (١)

يؤكد شوقي على حبه لمصر ، فمصر في قلبه لا يمكن أن تتسى وحبها مثل شجرة تنمو وتكبر داخل قلبه ، فهي التاريخ والحاضر والمستقبل من وجهة نظره ، حيث إن تاريخه مرتبط بتاريخها ، يواجه كل من يعاديهما بشعره الذي يلهب النفوس ويبث فيها روح العزيمة والإصرار على تقديم الغالي والنفيس من أجل مصر ، لقد عبر شوقي بالحب الكبير لوطنه بكلماته وتعبيراته التي وقعها على المحتل أشد من السلاح ، وهذا ما دفع المحتل قبل ذلك لنفيه إلى الأندلس ؛ لكي يتخلص من عنصر مهم في تشجيع أبناء مصر للمقاومة والتحدي .

لقد كان شوقي لا يترك أي مناسبة وطنية إلا ويضفي عليها بصماته الشعرية معبراً عن حنينه لوطنه وشوقه الشديد لثرى الوطن ، ومؤكداً على أهمية الوطن لجميع المصريين ، فواجب عليهم التضحية من أجل وطنهم مصر ، فها هو شوقي يختار مناسبة عيد الجهاد ليؤكد على مبادئه التي جُبِلَ عليها في استعداده للدفاع عن الوطن ومجاهدة المحتلين الذين يحاولون سلب خيرات مصر حيث يقول : ( الوافر )

خَطَوْنَا فِي الْجِهَادِ خُطَاً فِيسَاحَا      وَهَادَنَّا وَآلَم نُلِقِ السِّيلَاحَا  
رَضِينَا فِي هَوَى الْوَطَنِ الْمُفَدَى      دَمَ الشُّهَدَاءِ وَالْمَالِ الْمُطَاحَا  
وَلَمَّا سَأَتِ الْبَيْضُ الْمَوَاضِي      تَقَلَّدْنَا لَهَا الْحَقَّ الصُّرَاحَا  
فَحَطَّمْنَا الشُّكَيْمَ سِوَى بَقَايَا      إِذَا عَاضَتْ أَرْيَانَهَا الْجِمَاحَا  
وَقَمْنَا فِي شِرَاعِ الْحَقِّ نَلْقَى      وَنَدْفَعُ عَنِ جَوَانِبِهِ الرِّيَاحَا

(١) الشوقيات : ص ٦٠٤ .

نُعَالِجُ شِدَّةَ وَتَرَوْضُ أُخْرَى وَتَسْعَى السَّعَى مَشْرُوعاً مُبَاحاً (١)

هذه هي الروح العالية التي يتحدث بها شوقي في تعبيره عن عشقه لمصر ، والتحاقه بركب المجاهدين عن وطنه لاسيما بعدما عانى الأمرين من الغربة والنفي بعيداً عن مصر ، فالיום يظهر المعدن الصافي لشوقي كعادته في تعامله مع قضايا وطنه وشعبه ، فلقد اشتغل شوقي عنهم قبل النفي بمغريات الحياة ؛ لكنه اليوم يحسن صنعاً وصنيعاً في جهاده من أجل مصر ، فالوطن يحميه برفقة أبناء شعبه بالسلاح المشهر دائماً في وجه الغاصبين ، هذا الوطن الذي يهديه شوقي الدماء والأموال رخيصة في حبه ، ذلك الحق المبين في تاريخ مصر في دفاع أبنائها عنها ، فهم وقفوا مشمرين مستعدين لمواجهة أعتى قوة في العالم من أجل أن تنعم بلادهم بالأمن والأمان ، حيث يجابهون الشدائد ويهونون الصعاب دفاعاً عن مصر وأهلها .

تجلى حنين شوقي لمصر في أناشيدها لها ، فبدأ شوقي يغرد أعذب الألحان وأشدى الأصوات في حبه لمصر واعترافه بفضلها عليه وجميع أبناء وطنه ، أصبح شوقي يحمل رسالة الوطن كل الوطن ، من رفعة ، وجهاد ، وإصلاح ، وتطوير ، فكان بشعره يوجه البوصلة نحو الطريق الصحيح ، فيقول الشعر في الوطن كتعبير منه عن فضل الوطن على أبنائه المصريين الشرفاء ، ويبرهن للقاصي والداني أن مصر عزيزة على أبنائها ، حيث يقول في قصيدة تحمل آيات من الشكر والعرفان والحب الصادق لمصر : ( المتدارك )

الْيَوْمَ نَسُودُ بِوَادِينَا      وَنُعِيدُ مَحَاسِنَ مَاضِينَا  
وَيُشِيدُ الْعِرَّ بِأَيْدِينَا      وَطَنٌ نَفْدِيهِ وَيَقْدِينَا  
وَطَنٌ بِالْحَقِّ نُؤَيِّدُهُ      وَبِعَيْنِ اللَّهِ نُشِيدُهُ  
وَنَحْسُنُهُ وَنُرِيئُهُ      بِمَآثِرِنَا وَمَسَاعِينَا  
سِرُّ التَّارِيخِ وَعَنْصُرُهُ      وَسَرِيرُ الدَّهْرِ وَمَنْبَرُهُ  
وَجِنَانُ الْخُلْدِ وَكَوْنُهُ      وَكَفَى الْأَبَاءَ رِيَاحِينَا  
نَنْجِدُ الشَّمْسَ لَهُ تَاجَا      وَضُحَاهَا عَرْشاً وَهَاجَا (٢)

(١) الشوقيات : ص ١٩٨ .

(٢) السابق : ص ٦٨٧ .

إن حنين شوقي لمصر معين لا ينضب وشعور صادق يبرهن على ذلك شعره ذو العاطفة الجياشة والتجربة الشعورية النابعة من إحساس مرهف ، يظهر ذلك في تغنيه بوطنه واعتزازه بذلك الوطن ، فالفداء عنوان لهذا الحنين ، والتضحية سبيل لرفعة الوطن وتقدمه ، فلقد أكد شوقي على أهمية الوطن من خلال ذكره فضائل الوطن على كل من يعيش فوق ثراه ، فالمصريون يتنعمون بتلك الفضائل ويعيدون محاسن أسلافهم وتاريخهم العظيم ، وكل فرد يشارك في رفعة هذا الوطن ليصبح عزيزاً له مكانته بين الدول ، وصرحاً شامخاً يُشار إليه بالبنان ، فيحرص شوقي على ضرورة تقديم كل فرد من أبناء الوطن مزيداً من الأعمال لرفعة مصر والتأكيد على أن تاريخ مصر حافل بالمنجزات الجبارة ، التي شيدها من قبلهم على مر العصور، فواجب على كل فرد من أبنائه إكمال هذا الطريق الذي بدأه الآباء ، وجعل مصر عنوان الحضارة ومنازة العلم ؛ لأن مصر فيها كل مقومات الحضارة والرقي .

إن حرص شوقي على بناء وطنه والعمل على رقيه نابع من المكانة العظيمة لمصر داخل كيان شوقي وشعوره الكبير بعمق المسؤولية الملقاه على عاتقه في تشجيع شباب مصر على الجد والاجتهاد حيث يقول : ( المتدارك )

|   |                                     |
|---|-------------------------------------|
| كَبِنَاءِ الْأَوَّلِ بَيْنِنَا          | أَبْنِي الْأَوْطَانَ أَلَا هَمَمٌ   |
| لِأَثِيلِ الْمَجْدِ وَالْعَلِيَا        | سَعِيًّا أَبْدًا سَعِيًّا سَعِيًّا  |
| وَلَنَجْعَلَ مِصْرَ هِيَ الدُّنْيَا (١) | وَلَنَجْعَلَ مِصْرَ هِيَ الدُّنْيَا |

هذا هو الهدف المنشود عند شوقي ، جعل مصر هي الدنيا ومنازة العالم أجمع ، فيناشد أبناء وطنه لتحقيق هذا الهدف ورفع الهمم للوصول إلى المجد والعلواء .

لا يقف نداء شوقي لأبناء وطنه عند أمر محدد ، بل إن نداءه متجدد ومستمر ، يخاطبهم في كل وقت وحين ويستنهض همهم ، فيؤكد مرة أخرى على هذا في نشيد مصر الذي يحفظه كل مصري فيقول : ( الوافر )

|  |  |
|--|--|
| فَهَيَّا مَهْدُوا لِلْمَلِكِ هَيَّا      | بَنِي مِصْرٍ مَكَانَكُمْ تَهَيَّا      |
| أَلَمْ تَكُ تَاجَ أَوْلَاكُمْ مَلِيًّا؟! | خَذُوا شَمْسَ لَهُ حَلِيًّا            |
| فَلَيْسَ وَرَاءَهَا لِلْعِزِّ زُكُن      | عَلَى الْأَخْلَاقِ الْمَلِكِ وَابْنُوا |

(١) الشوقيات : ص ٦٨٧ .

أليس لكم بوادي النيل عدن  
لنا وطنٌ بأنفسنا نقيمه  
وكوثرها الذي يجري شهياً؟  
وبالدنيا العريضة نفتديه  
بذلناها كأن لم نعط شيئاً<sup>(١)</sup>  
إذا ما سـيلت الأرواح فيه

يطالب شوقي أبناء مصر العمل على تكوين ملك عظيم لمصر ، والمحافظه على الأخلاق التي هي أساس لتكوين أي دولة ، فمصر خيراتها كثيرة لا تعد ولا تحصى ، فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك نهر النيل يجري كوثرًا في أراضي مصر ، هذا النهر الذي يبعث الحياة لسكان مصر ، لقد أكثر شوقي في شعره من التأكيد على ضرورة فداء مصر وحمايتها من الكروب والأخطار المحدقة التي تكاد تفترسها ؛ لذلك نجد هذا الحس الوطني لا يفارق شوقي في معظم قصائده عندما يتحدث عن الوطن ، فأرواح أبناء مصر رخيصة من أجل فدائها والتضحية في سبيلها ، حتى عندما تسال الدماء يبذلها كل مصري ويشعر بأنها لا تساوي شيئاً أمام فضائل مصر عليه .

يرسم شوقي صورة لوطنه التي تشمل عدة مناحٍ في الحياة ، فمصر أنموذج للحياة الهادئة المطمئنة التي تشمل شرائح الشعب كافة ، الكل يعيش حياته المليئة بالسعادة حتى لو كانت حياة ضنك وضيق ، يصف ذلك شوقي قائلاً : ( الوافر )

لنا الهرمُ الذي صحبَ الزمانا  
ونحنُ بنو السنن العلي ، نمانا  
ومن حدّثانِـه أخذ الأمانا  
تطاولَ عهدهم عزا وفخرا  
أوائلُ علّموا الأمم الرقيبا  
نشأنا نشأةً في الجدِ أخرى  
فلما آل للتاريخ دُخرا  
جعاننا مصرَ ملةَ ذي الجلالِ  
جعاننا الحقّ مظهرها العليبا  
وأفنا الصليبَ على الهلالِ  
وأقبلنا كصفٍّ من عوالِ  
يشدُّ السّمهريّ السّمهريّا  
نرومُ لمصرَ عزّاً لا يرامُ  
يرفُّ على جوانبه السّلامُ  
وينعمُ فيه جيرانُ كرامُ  
فلن تجدَ التّزيلَ بنا شقيّا  
نقومُ على البنايةِ محسنينا  
ونعهدُ بالتّمَامِ إلى بنينا

(١) الشوقيات : ص ٧٧٤ .



إِيكِ نَمُوتُ . مِصْرُ . كَمَا حَيِينَا . وَيَبْقَى وَجْهَكَ الْمَفْدِيَّ حَيًّا<sup>(١)</sup>

هذا الجو الوجدوي بين أبناء مصر الذي يبينه شوقي رمز لمقومات الحياة فيها ، فالجد عنوان كل فرد فيها يجد ويجتهد لخدمة الوطن ، لا تقف عجلة التطوير بل هي مستمرة بتكاتف الجميع ، فالمسلم والقبطي يكملان المسيرة نحو المجد الذي وضعه الفراعنة الأوائل ، الذين وضعوا حجر الأساس لبناء حضارة كبيرة على ضفتي نهر النيل ما زالت آثارها حاضرة تستقطب جميع العالم ؛ ليتعرفوا على دقة البناء وبراعة الهندسة المعمارية قبل آلاف السنين .

إنَّ الحنين إلى الوطن فطري عند كل إنسان ؛ لكن هذا الشعور تختلف مخرجاته من شخص إلى آخر ، فهو مرتبط بما يعتري الإنسان من أزمات تظهر مدى الحنين الكامن في إحساس الإنسان تجاه وطنه ، فحنين شوقي إلى وطنه مصر تجسد في عدة أشكال ، تنوعت بتغير الظروف المحيطة به ، فالنشأة التي نشأها شوقي لم تظهر بوادر هذا الحنين إلا في مواطن قليلة؛ لأن شوقي اشتغل في البداية بأمر القصر الحاكم ولم يكثرث بأمر وطنه إلا قليلاً ، أما الشكل الآخر الذي أظهر الحنين الكبير إلى الوطن عنده ما لاقاه من نفي عن الوطن وغربة قاسية عانى فيها معاناة البعد وحاجته الشديدة إلى حنان الوطن ، وكانت تلك المرحلة مفجرة الحنين للوطن عند شوقي ، فالبعد ومرارة الغربة قادرة على إظهار كل إحساس كامن تجاه الوطن، لأن الصدق عنوان لتلك الحالة التي تسيطر على الإنسان المغترب ، والشكل الأخير الذي أظهر حنين شوقي إلى وطنه دفاعه المتواصل عن الوطن ، وحث الشباب بمواصلة الجهاد لتحرير مصر من الاستعمار والعمل على رفعة الوطن ورقيه .

---

(١) الشوقيات : ص ٧٧٤-٧٧٥ .

## المطلب الثاني : الحنين إلى الأهل والأصدقاء :

إنَّ حنين المرء إلى أهله وأصدقائه حالة طبيعية متأصلة في النفس البشرية ، فالعائلة والأصدقاء هما الإطار العاطفي والنفسي لكل إنسان ، هذا الإطار التي تدور فيه معظم العلاقات الإنسانية ، والحالة الشعورية التي تعترى الإنسان نتيجة بُعد وفراق لمن أحبهم من أهله وأصدقائه تغذي الحنين وتقوي روافده ، وليس شرطاً أن يكون الإنسان مغترباً عن أهله وأصدقائه لكي يشعر بالحنين إليهم ، فالحنين مرتبط ارتباطاً شرطياً بالحب الصادق النابع من القلب تجاه الأهل والأصدقاء .

لقد ظهر هذا النوع من الحنين عند شوقي ، وذلك في حنينه الكثير لمن أحبهم ممن قضى معهم أغلب فترات حياته ، فشوقي ما فتئ يذكر الأهل كلما تذكر أهمية العائلة وكذلك الأصدقاء الذين عايشوه فترات مهمة في حياته .

من السمات الشخصية لشوقي أنه شاعر يقدر العلاقات الاجتماعية ، ويتعامل مع أهله معاملة قائمة على الود والحب المتبادل ، فكان يذكر لكل ذي فضل فضله ، ومن حبه لهم أنه كان لا يتحمل الأذى عليهم ولا يستطيع أن يراهم يتألمون عندما تلم بهم وعكات صحية ، هذا شوقي الإنسان الذي يحن لكل شخص أدخل الفرح والسعادة إلى قلبه يوماً ما ، فحنين شوقي إلى الأهل تنوع بين أمه وأبيه وجدته وأبنائه .

إنَّ حنين شوقي إلى أمه كبير لا يوصف ، والحنين الكامن في شوقه لأمه برز في معاملته الصالحة لها طوال حياتها ، فشوقي لم يتحدث كثيراً عن أمه ، بل كان حنينه لها مرتكز على المعاملة الطيبة والتقدير والعرفان بفضلها عليه ، بقي حنين شوقي لأمه أفعالاً ولم يترجم إلى أقوال إلا بعدما وصله خبر وفاتها وهو في منفاه بالأندلس ، فانفجر حنينه أشعاراً ؛ لإحساسه بالفراق الحقيقي ، ذلك الفراق الذي أثار لوعة في قلبه أنتجت شعراً صادقاً معبراً عن حنين كبير ، حيث يقول في قصيدة رثى فيها أمه : (الطويل)

إلى الله أشكو من عوادي النوى سهما  
أصاب سؤيذاء الفؤاد وما أصمى  
من الهاتكات القلب أول وهأة  
وما دخلت لحماً ولا لامست عظما  
توارد والناعي فأوجست رنة  
كلاماً على سمعي وفي كيدي كلما  
فما هتفا حتى نزا الجنب وإنزوى  
فيا ويح جنبي كم يسيل وكم يدمى

إنَّ لجوء شوقي إلى الله - تبارك وتعالى - لدليل على عظم المصيبة التي يعيشها ، وهل هناك مصيبة أعظم من فقدان الأم ؟! حيث يشبه شوقي ذلك الخبر الصادم بسهم قاتل أصاب سويداء القلب ، هذا الحب الجم الذي يكنه شوقي لأمه أنتج لونا مختلفاً من الحنين الممزوج بالأسى والحزن لفراق جزء رئيس من قلبه . كانت هذه القصيدة بعدما أعلن عن هدنة في الحرب العالمية الأولى حيث كانت الفرحة ظاهرة وبادية على محيا شوقي ؛ لأنها سبيل لعودته إلى أمه ووطنه ، فجاء الخبر مع البرق ذلك الخبر الذي أفسد عليه حياته خبر وفاة مهجة فؤاده التي أبعد عنها وعن وطنه ، حيث أرادت الأم البقاء في مصر ورفضت الخروج مع ابنها إلى المنفى الذي فُرض عليه ، وشوقي يذكر هذا المأساة التي حلت به وكأنها الصاعقة ، يبين ذلك في وصفه للمصيبة بأنه المدمر للقلوب بلا رحمة ولا تهاون ، حيث سيطرت على شوقي حالة من الحزن الشديد وصلت به لحد الانهيار ، فقد كان يمني النفس بالعودة إلى أمه ووطنه ؛ لكن الموت سلب منه فرحة غائرة في القلب لم يستطع أن يظهرها ، فمصيبته بفقدان أمه عظيمة يصفها بالسهم الذي دمر كبده وجنبه وقلبه ، فقد وصله خبر الوفاة قاطعاً الشرق نحو الغرب حاملاً معه أحزان تهد جبالاً فما بالناس شاعر مرهف الإحساس والوجدان ؟!

لقد عايش شوقي مأساة كبيرة بعدما كانت مصيبة واحدة أصبحت مصيبتين ، فالأمر لم يقف على نفيه عن الوطن ، بل وصول خبر وفاة أمه التي تشكل رقماً صعباً في حياته ، لا يمكن أن يندثر هكذا بكل سهولة ، هذا الألم لا يعرف شوقي كيفية الخلاص منه ، فيلجأ إلى الدعاء ويدعو لأمه دعاءً مرأً حيث يقول : (الطويل)

لَكَ اللَّهُ مِنْ مَطْعُونَةٍ بَقْنَا النَّوَى  
شَهِيدَةَ حَرْبٍ لَمْ تُقَارَفِ لَهَا إِنَّمَا  
مُدْلَهَةٌ أَزْكَى مِنَ النَّارِ زَفْرَةٌ  
وَأَنْزَهُ مِنْ دَمْعِ الْحَيَا عَبْرَةَ سَحْمَا  
سَقَاها بِشِيرِي وَهِيَ تَبْكِي صَبَابَةً  
فَلَمْ يَقَوْ مَغْنَاهَا عَلَى صَوْبِهِ رَسْمَا  
أَسَتْ جُرْحَهَا الْأَنْبَاءُ غَيْرَ رَفِيقَةٍ  
وَكَمْ نَازِعٍ سَهْمًا فَكَانَ هُوَ السَّهْمَا (٢)

(١) الشوقيات : ص ٥٤٨ .

(٢) السابق : ص ٥٤٩ .

إنّ دعاء شوقي لأمه بالرحمة والمغفرة ينم عن حب كبير لأمه داخل قلبه ، فهو لم يستطع الذهاب لإلقاء نظرة الوداع على أمه ؛ لأن الاحتلال منعه من ذلك ، فلا يملك سوى الدعاء لأمه بقلب صادق بالرحمة والمغفرة .

لقد عانى شوقي من لوعة الفراق التي نزلت به بعد فقدانه أمه ، وحرمانه من المشاركة في تشييعها ، فلم يستطع فعل شيء سوى إرسال الدعوات الصادقة لروح أمه ، ورسم صورة لهذه الجنازة المهيبة ، وتشبيح هذا الجسد الطاهر ، أظهرت الصورة التي رسمها ليوم وداع والدته مدى التفاعل الشعبي المشارك في تشييعها ، حيث جميع فئات الشعب المصري ، فيصف ذلك قائلاً :  
( الطويل )

|   |  |
|---|--|
| فَلَمَّا بَدَا لِلنَّاسِ صُبْحٌ مِّنَ الْمُنَى      | وَأَبْصَرَ فِيهِ ذُو الْبَصِيرَةِ وَالْأَعْمَى                 |
| وَقَرَّتْ سُيُوفُ الْهِنْدِ وَارْتَكَزَ الْقَنَا    | وَأَقْلَعَتِ الْبَلْوَى وَأَقْشَعَتِ الْعُمَى                  |
| وَحَنَّتْ نَوَاقِيسٌ وَرَنَّتْ مَآذِنٌ              | وَرَقَّتْ وَجُوهُ الْأَرْضِ تَسْتَقْبِلُ السُّلْمَى            |
| أَتَى الدَّهْرُ مِنْ دُونِ الْهِنَاءِ وَلَمْ يَزَلْ | وَلَوْعاً بِبُنْيَانِ الرَّجَاءِ إِذَا تَمَّآ                  |
| إِذَا جَالَ فِي الْأَعْيَادِ حَلَّ نِظَامَهَا       | أَوْ العُرْسِ أَبْلَى فِي مَعَالِمِهِ هَدْمَا                  |
| لَيْنٌ فَاتَ مَا أَمَلْتِهِ مِنْ مَوَاقِبِ          | فَدُونِكَ هَذَا الْحَشْدَ وَالْمَوَكِبَ الضَّخْمَا             |
| رَثِيَتْ بِهِ ذَاتَ الثَّقَى وَنَظَّمَتْهُ          | لِعُنْصُرِهِ الْأَزْكَى وَجَوْهَرِهِ الْأَسْمَى <sup>(١)</sup> |

إن الوداع الذي جسده شوقي في قصيدته التي رثى فيها أمه يعبر عن مدى حنينه لها ، وصدق العواطف الجياشة لأمه ، فقد صور آلامه وأحزانه وبنثها في قالب شعري رائع ، وضّح حنينه الكبير المكنون بين ثنايا قلبه ، حنين الابن المنفي البعيد عن أمه ووطنه ، تموت أمه فلا يراها ، فيغلبه الحنين لها والحزن على فراقها ، ولوعة نزلت بقلبه ؛ ولكن حسبه من ذلك الحشد الكبير المشارك في جنازة أمه ، حيث تكون من فئات عديدة مرموقة من أبناء شعبه .

يُذكر أنّ شوقي بعدما كتب رثاء أمه عندما وصله خبر وفاتها وهو في الأندلس كانت تعتريه حالة من الحزن الشديد لم يقوَ على مقاومتها ، فظلت هذه القصيدة حبيسة دفاتره وقرطيسه ، حتى أنه عندما طُلب منه أن يقرأها لم يستطع من شدة حنينه لأمه ، وبقيت تلك القصيدة في

(١) الشوقيات : ص ٥٥٠ .

كتبه إلى أن فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها ، ونشرت بعد وفاته في الصحف ، ودونت في ديوانه تحت قسم المراثي .

يحن شوقي لأبيه كذلك ، حيث يعبر عن ذاك الحنين عندما يرثي أباه ، " فالرثاء الذي يفصح فيه الشاعر عن مواجده وأشواقه إلى المرثي ، فلا يعدد المناقب والخصال فحسب ، بل يتجاوزها إلى بكاء حار يعبر فيه عن حرقة الفؤاد ، ونيران الفقد " (١) ، فذلك من الحنين الصادق للمرثي ، ومنه قول شوقي في رثاء أبيه (الرمل) :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَنَا أَنْ نَلْتَقِيَ      مَرَّةً أَمْ ذَا إِفْتِرَاقِ الْمَأْوِينَ  
وَإِذَا مُتُّ وَأُودِعْتُ الثَّرَى      أَنْتَلَقِي حُفْرَةً أَوْ حُفْرَتَيْنِ (٢)

فهذا الرثاء النابع من القلب متجذر في وجدان شوقي ، وفيه صدق العاطفة المليئة بالمودة ، فحنين شوقي لأبيه يتمثل في العلاقة القوية بينهما ، وتلاحم أسري كبير بين الابن وأبيه ، فيتمنى بقاء أبيه بجانبه لا يفارقه أبداً ، فرثاء شوقي لأبيه تعبير صادق عن شحنات الألم التي تعصر القلب من هذا التباعد والفراق الذي فرضه عليهم الموت .

أما حنينه لجده فقد كان ظاهراً بين ثنايا شعره ، فهذه الجدة التي لم تفتأ تقدم الغالي والنفيس لحفيدها ، وتدافع عنه أمام والديه كلما فعل شيئاً لا يرضيهما ، حيث يقول شوقي في تعلقه بها وحنينه الدائم لها : ( مجزوء الرجز )

لِي جَدَّةٌ تَرَأْفُ بِي      أَحْنَى عَلَيَّ مِنْ أَبِي  
وَكُلُّ شَيْءٍ سَرَّنِي      تَذْهَبُ فِيهِ مَذْهَبِي  
إِنْ غَضِبَ الْأَهْلُ عَلَيَّ      يَكُلُّهُمْ لَمْ تَغْضَبِ (٣)

إنَّ حنين شوقي لجده لم يتوقف عن هذه الكلمات ، فقد كان تطبيقاً عملياً في معاملته الطيبة معها ، ومعرفته لفضلها في دعمه وتشجيعه حتى علا صيته بين الناس ، فكان يقدرها

(١) الحنين في الشعر الزنكي والأيوبي: مي إبراهيم عمرو ، رسالة ماجستير من جامعة الخليل ٢٠١١م ، ص ٨٢ .

(٢) الشوقيات : ص ٧٠٨ .

(٣) السابق : ص ١٥٠ .

ويجلها ، حتى عندما فارقت الحياة رثاها بأبيات صادقة عبر فيها عن حنينه الكبير لجدته ،  
حيث يقول في رثائها : ( الوافر )

صَلَاةُ اللَّهِ يَا تَمَزَارُ تَجْزِي  
وَعَنْ تِسْعِينَ عَاماً كُنْتَ فِيهَا  
بَرَرْتَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَالَ كُلُّ  
وَكَانَتْ فِي الْفَضَائِلِ بَاقِيَاتٍ  
فَلَمْ أَرْ قَبْلَهُ الْمَرِيخَ مُلْقَى  
هُنَاكَ وَقَفْتُ أَسْأَلُكَ إِتِّسَاداً  
وَأَنْظُرُ فِي ثُرَابِكَ ثُمَّ أُغْضِي  
وَأَذْكَرُ مِنْ حَيَاتِكَ مَا نَقَضَى

ثَرَاكَ عَنِ التَّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ  
مِثْلَ الْمُحْسِنَاتِ الْفَضْلِيَّاتِ  
لَعَلَّكَ أَنْتِ أُمَّ الْمُؤْمِنَاتِ  
وَأَنْتِ الْيَوْمَ كُلُّ الْبَاقِيَّاتِ  
وَلَمْ أَسْمَعْ بِدَفْنِ النَّيِّرَاتِ  
وَأَمْسِكُ بِالصِّفَاتِ وَبِالصِّفَاةِ  
كَمَا يُغْضِي الْأَبِيُّ عَلَى الْقَدَاةِ  
فَكَانَ مِنَ الْغَدَاةِ إِلَى الْغَدَاةِ<sup>(١)</sup>

أما حنين شوقي لأبنائه فقد كان منقطع النظير ، حيث الأب الحنون الذي يخاف على أبنائه  
من نسمات الهواء العليل ، فكان يصاب بحالة من الحزن الشديد عندما يمرض أحد أبنائه ، ومن  
شدة خوفه عليهم لا يتحمل الأذى الواقع بهم فكان يسافر إلى الإسكندرية هرباً من المعاناة التي  
تسببها له الآلمهم وتآلمهم من المرض ، هذا الإحساس الرقيق الذي سيطر على شوقي تجاه  
أبنائه، فكان كثير التغني بهم وبحبهم الشديد الكامن داخل قلبه والظاهر للعيان ، فيقول في  
قصيدة يرد بها على من ادعوا أنه يفرق بين أبنائه ويفاضل بينهم حيث يقول راداً عليهم :  
( الطويل )

يقولون لم تطري عليا وأخته  
فقلت فؤادي للثلاثة منزل  
ثلاثة أسباب لأنسي ولذتي  
إذا ما بدا أن أفاضل بينهم  
أحب صغار العالمين لأجلهم

وتتسى حسنا والحسين كريم  
هما طنباه والحسين صميم  
بيارك فيها مانحي ويديم  
أبي لي قلب عادل ورحيم  
وبعطف قلبي نو أب ويتيم<sup>(٢)</sup>

(١) الشوقيات : ص ١٩٢-١٩٣ .

(٢) السابق : ص ٥٩٠ .

هذا الحب الكبير الذي يكنه شوقي لأبنائه ينبع من حنين جارف لتلك الوردات المنفتحة في حياته ، فشوقي كثير التعلق بأبنائه لايفارق بينهم ولا يفاضل ، يثني على كل واحد منهم ، فكلهم يحتلون سويداء قلبه ، وهم أسباب سعادته في هذا الدنيا ، هذا الحب الذي جعله يحب صغار الناس ؛ لأنه يقدر تلك العلاقة بين الأبناء وآبائهم .

حازت ابنته أمينه على نصيب الأسد في شعره من هؤلاء الأبناء ، ولعل ذلك يكمن في أنها البنت الوحيدة له ، فقد كان له ثلاثة من الولد وابنة واحدة ، فأنشد شوقي لابنته أشعاراً كثيرة، ففي ذكرى مولدها الأول غرّد قائلاً : ( مجزوء الرجز )

|                                |                               |
|--------------------------------|-------------------------------|
| أَمِينَتِي فِي عَامِهَا        | الْأَوَّلِ مِثْلُ الْمَأْكُكِ |
| صَالِحَةَ الْخُوبِ مِنْ        | كُلِّ لِّوَلَّتَبْرُكِ        |
| كَمْ حَفَقَ الْقَلْبُ لَهَا    | عِنْدَ الْبُكَاءِ وَالضَّحِكِ |
| وَكَمْ رَعَتْهَا الْعَيْنُ فِي | السُّكُونِ وَالنَّحْرِكِ      |
| فَإِنْ مَشَتْ فَخَاطِرِي       | يَسْبِقُهَا كَالْمُمْسِكِ     |
| أَلْحَظْهَا كَأَنَّهَا         | مِنْ بَصْرِي فِي شَرِكِ       |
| فِيَا جَبِينِ السَّعْدِ لِي    | وَيَا عُيُونَ الْفَأْكِ       |
| وَيَا بَيَاضَ الْعَيْشِ فِي ال | أَيَّامِ ذَاتِ الْحَأْكِ      |
| إِنَّ اللَّيَالِي وَهِيَ لَا   | تَنْفُكُ حَرَبَ أَهْلِكِ      |
| لَوْ أَنَّ صَفَتِكَ طِفْلاً    | لَكُنْتُ بِنْتُ الْمَأْكِ (١) |

لقد رسم شوقي حنينه لابنته عبر صورة حسية بالغة في الدقة ، حيث الحنان الفطري الذي فطر الله - تبارك وتعالى - البشر على حب الأبناء حيث يقول تعالى : " الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " (٢) ، فشوقي يتابع ابنته التي أكملت عامها الأول في كل صغيرة وكبيرة، فعندما تبكي يتعرف على سبب بكائها ويزيله ، وعندما تضحك يخفق القلب فرحاً بفرحها، وعندما تمشي ترعاها العين خوفاً من أي مكروه يصيبها ، فابنته تمثل عنصر السعادة

(١) الشوقيات : ص ٤٧٠-٤٧١ .

(٢) سورة الكهف : ٤٦ .

في حياته . لقد عبر شوقي في تلك المناسبة عما يشعر به تجاه ابنته أمينة ، وفي عامها الثاني يدعو لها بالسلامة حيث يقول : (المتقارب)

أَمِينَةٌ يَا بِنْتِي الْغَالِيَةَ      وَأَسْأَلُ أَنْ تَسْلَمِي لِي السِّنِينَ  
أَهْدِيكَ بِالسَّنَةِ الثَّانِيَةَ      وَأَنْ تُرْزَقِي الْعَقْلَ وَالْعَافِيَةَ<sup>(١)</sup>

إنَّ حرص شوقي على تهنئة ابنته أمينة بعيد ميلادها للسنة الثانية يوضح مدى المكانة التي تحتلها في قلبه ، والحنين الذي يكنه لها ، حيث يدعو لها بالخير والعافية وأن تسلم من غدر الزمان ومصائبه ، وأن يرزقها الله العقل الراجح ، فكان شوقي يلبي كل طلباتها التي تتمناها عليه، حيث طلباتها مجابة ، يقول في ذلك : (المتقارب)

وَلِي طِفْلَةٌ جَازَتْ السَّنَتَيْنِ      كَبَعْضِ الْمَلَائِكِ أَوْ أَطَهَرُ  
بِعَيْنَيْنِ فِي مِثْلِ لَوْنِ السَّمَاءِ      وَسِنَيْنِ يَا حَبَّذَا الْجَوْهَرُ  
أَتَتَّنِي تَسْأَلُنِي لِعَبَاةٍ      لِتَكْسِرَهَا ضِمْنَ مَا تَكْسِرُ  
فَقُلْتُ لَهَا أَيُّهَذَا الْمَلَكَ      تُحِبُّ السَّلَامَ وَلَا أَنْكِرُ<sup>(٢)</sup>

لقد أعطى شوقي ابنته اهتماماً كبيراً منذ صغرها ، فكان كثير التغني بها ووصفها ، حيث يصفها بأجمل الأوصاف ، فوصفه لها بأنها ملاك ذات عينين سماويين ، وسنَّين كأنهما اللؤلؤ والجواهر ، يبين مكانتها عنده ، ولعل تلك المكانة الكبيرة لابنته والحنين الجم لها ما أوضحه لنا عندما كان على ظهر السفينة مسافراً حيث يقول عندما رأي بنتاً صغيرةً ذكرته بابنته أمينه حيث يقول في تلك الحادثة : ( مجزوء الرمل )

هَذِهِ نَوْرُ السَّفِينَةِ      هَذِهِ شِبْهُ أَمِينَةَ  
هَذِهِ صَوْرَتُهَا مُنْ      بِئْسَتْ عَنْهَا مُبِينَةَ  
هَذِهِ لَوْلُؤَةٌ عِن      دِي لَهَا مِثْلُ ثَمِينَةَ  
مِنْ بَنَاتِ الرُّومِ لَكِنْ      لَمْ تَكُنْ عِنْدِي مَهِينَةَ  
أَنَا مَنْ يَتْرُكُ لِلدِّي      يَانِ فِي الدُّنْيَا شُؤُونَةَ  
يَا مَلَكَ الْفُلِّ لِي صِنْ      وَكِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةَ

(١) الشوقيات : ص ٧٦٦ .

(٢) السابق : ص ٣٠٧ .



أَنْتِ فِي الْفَلَكَ بِهَاءٍ      وَهُوَ فِي حُلْوَانَ زَيْنَاهِ  
 نَاجِيهِ وَذَكَرَ لَهُ وَجْ      دَ أَيْبِيهِ وَحَنِيئِهِ  
 وَأَفِيدَهُ أَنْنِي فِي ال      بَحْرِ مُذْ دُسْتُ عَرِيئِهِ  
 لَسْتُ بِالنَّفْسِ ضَانِيًا      وَبِهِ نَفْسِي ضَانِيئِهِ  
 أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ يُرْعِي      كَ وَإِيَّاهُ عُيُونَاهُ<sup>(١)</sup>

إنَّ قوة الحنين تظهر عندما يبتعد الإنسان عن أحبهم وعشقهم ، فشوقي عندما رأى هذه البنت الغربية تذكر ابنته وغالبه الحنين ليذكر أوصافها من خلال وصفه لهذه البنت الغربية ، حيث وصفها بالملك ، وأنها زينة لمدينة حلوان ، ثم يرسل التحيات والأشواق الحارة لابنته عبر محاكاته لمن رآها على الفلك ، فهي ساكنة في القلب متربعة على عرشه ، فوجده لها لا يوصف، وحنينه عظيم لها ، يخبرها أنه في أشد شوق لرؤيتها ومجالستها ، يسأل الله بقلب صادق أن يرعاها ويحفظها من أي مكروه .

أما حنينه للأهل عامة فتمثل في ذكره لهم بالخير ، وحفظه للعلاقة الطيبة التي تجمعهم بهم ، والمعاملة التي تقوم على الحب المتبادل ، فكانوا نعم الأهل لنعم الابن ، وشكلوا في حياته لونا جميلاً زاهياً أرخى على حياته الفرح والمرح ، والنعيم والسرور ، حيث يصف هذه العلاقة في أبيات يذكر فيها هؤلاء الأهل قائلاً : (الوافر)

وما جاملتم أهلا ولكن      ذهبتم مذهباً وهو الجميل  
 وكنتم إذا التمسست لكم بديلاً      أعانتكم به عز البديل  
 حفظت الود والود انتقال      وإن الحافظين له قليل  
 وبت أصون في الحب اعتقادي      ورأي لا يغيره أصويل<sup>(٢)</sup>

فقد حفظ شوقي ود أهله ، فلا يمكنه الاستغناء عنهم حيث مكانتهم كبيرة في قلبه ، يذكرهم دائماً بالخير ويصون حبهم ، فهم عنوان للحياة الكريمة التي تفيلاً ظلالتها معهم رداً من الزمن ، تلك المكانة كانت منبعاً لحنين شوقي لأهله ، هذا الحنين نهل من وجدانه وأشعاره الشيء الكثير ،

(١) الشوقيات : ص ٦٦٥ .

(٢) السابق : ص ٥١٣ .

فجسد شعراً يطرب النفس ويسليها ، ومن تلك الأشعار التي أوضحت حنين شوقي وبينته تجاه أهله ، حيث يقول : ( الوافر )

وَأَحْبَابٍ سُقَيْتُ بِهِمْ سُلافاً  
وَنَادَمْنَا الشَّبَابَ عَلَى بِسَاطِ  
وَكَانَ الْوَصْلُ مِنْ قِصْرِ حَبَابَا  
وَنَادَمْنَا الشَّبَابَ عَلَى بِسَاطِ  
مِنَ اللَّذَاتِ مُخْتَلِفِ شَرَابَا  
وَكُلُّ بِسَاطِ عَيشٍ سَوْفَ يُطَوَى  
وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَطَابَا  
كَأَنَّ الْقَلْبَ بَعْدَهُمْ غَرِيبٌ  
إِذَا عَادَتْهُ ذِكْرَى الْأَهْلِ ذَابَا  
وَلَا يُنْبِيكَ عَنْ خُلُقِ اللَّيَالِي  
كَمَنْ فَقَدَ الْأَحِبَّةَ وَالصَّحَابَا (١)

إنَّ شوقي لا يقوى على البعد عن الأهل والأحباب والأصدقاء ، فكلما تذكرهم فاض القلب حنيناً لهم ولتلك الأيام التي عايشهم فيها ، فالإنسان لا يستطيع تحمل فقدان الأحبة والأهل ؛ لأنهم عنصر يساعده على التمتع بالحياة ونعيمها ، لقد أكثر شوقي من ذكره للأهل والأصدقاء ، وجعل من ذلك تعبيراً لما يكنه لهم من حب ومودة ، فكان كلما فقد عزيزاً عليه لم يستطع إلا أن يعبر عن ذلك الحب تعبيراً صادقاً نابعاً من علاقة وطيدة تجمعهم به ، فلنا في رثاء شوقي الشيء الكثير ، ومنه رثاؤه لصديقه الشاعر حافظ إبراهيم حيث يقول : ( الكامل )

قَد كُنْتُ أَوْثِرُ أَنْ تَقُولَ رِثَائِي  
لَكِنْ سَبَقَتْ وَكُلُّ طَوْلٍ سَلَامَةٍ  
يَا مُنْصِفَ الْمَوْتَى مِنَ الْأَحْيَاءِ  
بِالْحَقِّ نَادَى فَاسْتَجَبَتْ وَلَمْ تَزَلْ  
قَدَّرَ وَكُلُّ مَنِيَّةٍ بِقَضَاءِ  
وَدِدْتُ لَوْ أَنَّي فِدَاكَ مِنَ الرَّدَى  
بِالْحَقِّ تَحْفَلُ عِنْدَ كُلِّ نِدَاءِ  
وَالْكَادِبُونَ الْمُرْجِفُونَ فِدَائِي (٢)

إنَّ رثاء شوقي لحافظ إبراهيم مثال على الحب الكبير الذي يكنه شوقي لأصدقائه ، فكان يتمنى الموت قبل حافظ حتى لا يتفجع بموت صديقه ، حتى أنه لم يكمل مدة قصيرة بعد وفاة صديقه ففاضت روحه إلى بارئها .

لقد عانى شوقي في منفاه من البعد عن الأصدقاء والعيش وحيداً بعيداً عن أنسه وفرحه ، هذه المعاناة التي تحدث عنها كثيراً ، وعبر عن فترات احتاج فيها إلى الشعور بجو ممتلئ

(١) الشوقيات : ص ٧٦ .

(٢) السابق : ص ١١٦ .

بالصدقة والود ، يذكر شوقي ذلك في قصيدة قالها وهو في منفاه امتلأت بالعاطفة الصادقة  
والحنين الكبير لمن أحبهم حيث يقول : ( البسيط )  
إِلَى الَّذِينَ وَجَدْنَا وَدَّ غَيْرِهِمْ      دُنْيَا وَوَدَّهْمُ الصَّافِي هُوَ الدِّينَا  
يَا مَنْ نَغَارُ عَلَيْهِمْ مِنْ ضَمَائِرِنَا      وَمِنْ مَصُونِ هَوَاهُمْ فِي تَنَاجِينَا  
نَابَ الْحَنِينُ إِلَيْكُمْ فِي خَوَاطِرِنَا      عَنِ الدَّلَالِ عَلَيْكُمْ فِي أَمَانِينَا  
جِئْنَا إِلَى الصَّبْرِ نَدْعُوهُ كَعَادَتِنَا      فِي النَّائِبَاتِ فَلَمْ يَأْخُذْ بِأَيْدِينَا  
وَمَا غُلِبْنَا عَلَى دَمْعٍ وَلَا جَلْدٍ      حَتَّى أَتَيْنَا نَوَاكِمَ مِنْ صِيَاصِينَا  
وَنَابِغِي كَأَنَّ الحَشَرَ أَخْرَهُ      ثَمِثْتُنَا فِيهِ ذِكْرَاكُمْ وَتَحِينُنَا  
نَطْوِي دُجَاهُ بَجْرَحٍ مِنْ فُرَاقِكُمْ      يَكَادُ فِي غَلَسِ الأَسْحَارِ يَطْوِينَا  
إِذَا رَسَا النَجْمُ لَمْ تَرَقَّأَ مَحَاجِرُنَا      حَتَّى يَزُولَ وَلَمْ تَهْدَأْ تَرَاقِينَا  
بِتْنَا نُقَاسِي الدَّوَاهِي مِنْ كَوَاكِبِهِ      حَتَّى قَعَدْنَا بِهَا حَسْرَى نُقَاسِينَا  
يَبْدُو النَّهَارُ فَيَخْفِيهِ تَجَلُّدُنَا      لِلشَّامِتِينَ وَيَأْسُوهُ تَأْسِينَا  
سَقِيًّا لِعَهْدٍ كَأَكْنَافِ الرُّبَى رِفَةً      أُنَى ذَهَبِنَا وَأَعْطَافِ الصَّبَا لِينَا<sup>(١)</sup>

إنَّ الرسالة التي يبرقها شوقي في هذه الأبيات والتي تحمل في طياتها حنيناً جارفاً لمن أحبهم  
من أهل وأصدقاء وأحبة لدليل واضح على عمق العلاقة بين شوقي وأصدقائه ، فالإحساس  
الصادق الذي عرفه شوقي في وده لأصدقائه جعله يركن إلى التعبير بصدق عما يجول بداخله ،  
فهو لا يقوى على الصبر أمام هذا البعد ، كما أن الصبر لا يحتمل المصائب التي عايشها  
شوقي ، فمرارة الغربة عن الوطن والعيش وحيداً جعلته يبكي بكاءً مريراً على حاله ، فالليل طويل  
يرخي سدوله بالأحزان والمآسي عليه وحسبه من ذلك الذكرى التي تدق في نواقيس فكره ووجدانه ،  
وهي التي تترك بصيص أمل للقاء الأحباب والتتعم بالوطن وخيراته .

(١) الشوقيات : ص ٦٨٢ .

### المطلب الثالث : الحنين إلى الذكريات الماضية :

تمر على الإنسان في حياته مراحل وأوقات لا يمكن أن ينساها لشدة تأثيرها على النفس ، ووقعها الحسن على قلب الإنسان ، تلك الفترات يعايشها المرء ولا يتمنى أن تنتهي وأن تبقى ما بقي الدهر ، فهذه الأوقات لا يمكن للإنسان أن ينساها هكذا بكل سهولة ، بل تبقى ناقوساً يدق في تفكيره وخياله ، وهاجساً يراوده كلما عنَّ له ذلك الماضي الجميل ، ولعل أجمل تلك اللحظات ما يعايشه المرء في فترات شبابه مثلاً ، أو رحلات لها في النفس وقع وأثر ، فالباعث الرئيس للحديث عن تلك الفترات والحنين المتواصل لها شعور الإنسان بدخوله مرحلة نهاية العمر وإحساس بفقد الشباب المفعم بالنشاط والحيوية ، المليء بالأحداث التي تدخل السرور والبهجة على النفس كلما تذكر ذلك ، فيتحدث الشاعر عن تلك الأيام الخوالي لعله يتناسى ما آل إليه وضعه وحالته النفسية ، فيجد في ذلك الحديث أنساً وطمانينة وتسليية لنفس سلبتها الشيخوخة لهوها وإنشغالها بجماليات الشباب .

تمثل حنين شوقي في ذكرياته الماضية إلى كل ما هو جميل قد عايشه في فترة من فترات حياته ، ومن أكثر تلك الذكريات فترات الشباب والرحلات الجميلة التي قضاها شوقي في حله وتراحاله بين مصر ولبنان وفرنسا وتركيا وبعض الدول الأخرى .

إنَّ أجمل فترات العمر عند الإنسان هي مرحلة الشباب وما يصاحبها من عنفوان وأوقات جميلة يتذكرها المرء ويتمنى عودتها ؛ لأن فترة الشباب تمثل القوة والسعادة والمرح والفرح في النفس البشرية ، وكم من شاعر لم يتمالك نفسه عند الحديث عن أزهى فترات العمر وأحفلها بالمنجزات الجبارة في نظره ، أما شوقي فكان حنينه لمرحلة الشباب لا يوصف ، حيث إنه أكثر الحديث عن تلك المرحلة ، وكلما ذكر تلك المرحلة يزداد شوقه لها حيث يقول في قصيدة ذاكراً تلك الأيام الجميلة باكياً ومودعاً أجمل اللحظات التي أصبحت أحلاماً طوى الدهر أحداثها :  
( الكامل )

شَيِّعْتُ أَحْلَامِي بِقَلْبٍ بَاكِ  
وَرَجَعْتُ أَدْرَجَ الشَّبَابِ وَوَرِدِهِ  
وَبِجَانِي وَاهٍ كَأَنَّ خُفُوقَهُ  
شَاكِي السِّلَاحِ إِذَا خَلَا بِضُلُوعِهِ  
قَدْ رَاعَهُ أَتَى طَوِيْتُ حَبَائِلِي  
وَلَمَحْتُ مِنْ طُرُقِ الْمِلاحِ شِبَاكِي  
أَمْشِي مَكَانَهُمَا عَلَى الْأَشْوَاكِ  
لَمَّا تَلَفَّتْ جَهْشَةُ الْمُتَبَاكِي  
فَإِذَا أَهْيَبَ بِهِ فَلَيْسَ بِشَاكِ  
مِنْ بَعْدِ طَوْلِ تَنَاوُلٍ وَفِكَاكِ

وَيْحَ ابْنِ جَنْبِي كُلُّ غَايَةِ لَذَّةٍ      بَعْدَ الشَّبَابِ عَزِيْزَةُ الْإِدْرَاكِ  
لَمْ تَبْقَ مَّيَا فِرَّادٍ بَقِيَّةً      لِقَتْوَةٍ أَوْ فَضْلَةٍ لِعَرَاكِ<sup>(١)</sup>

إنَّ الألم والحسرة التي سيطرت على شوقي في تلك الأبيات وليدة حنين كبير لفترة شبابه ، فتشيع شوقي لتلك الأحلام - التي كانت حقيقة يوماً ما ، عايشها وتمتع بأجوائها وبأحوالها - تبين مدى تعلقه بتلك اللحظات ، هذه اللحظات التي قضاها في أجمل المناطق في مدينة زحلة بلبنان وزارها وهو كبير فحنَّ لتلك الأيام ورجع مستذكراً أيام شبابه ، فالقلب خفاق يكاد يطير مثل عصفور بلله القطر ، يبكي أزهى مراحل حياته ، ولم يبق إليه إلا الأطلال التي تركت في صدره أترّاً لا يمكن أن يندثر فقد " شبّه شبابه وذكرياته بمفقودٍ توارى لا أمل في عودته، لم يبقَ منه إلا الذكرى التي قد تخفّف عنه صعوبة واقعه القاسي، الذي لا حيلة ولا مقدرة تخفّف عنه تلك المأساة، فكأنّه أعزل يجابه أعتى الخطوب ، فلما عجز عن مقاومتها ، تغنّى بسلاح الصبر، سلاحه الوحيد في مقاومة بلوى الدهر " <sup>(٢)</sup> .

" فهذه الأبيات قالها وهو على أبواب الشيخوخة فعاد إليه شبابه ، جلس في واد ظلّه ظليل ، ونسيمه عليل ، فذكر عيشته الأولى التي عاشها ، ذكر شبابه وهواه ، ذكر نعيمه وترفه، ذكر لهوه وعبثه ، فتمثلت له أشباح حياته فأسف وتلهف ، فترهد مرة وتغزل مرة ، وشب حيناً وشاخ حيناً ، عادت إليه صور العناق والهوى والصبابة والشباب ، فانقضت روحه من مكنها ودب فيه نشاط الحياة ونديمها وسرورها " <sup>(٣)</sup> .

يخاطب شوقي أيام شبابه مخاطبة المترجي لها بالعودة ، المتمني أن تسحبه إلى مضمارها ، لعله يعيد تلك الأوقات الجميلة فيقول : ( الطويل )  
أَقُولُ لِأَيَّامِ الصِّبَا كُلِّمَا نَأَتْ      أَمَا لَكَ يَا عَهْدَ الشَّبَابِ مُعِيد  
وَكَيْفَ نَأَتْ وَالْأَمْسُ آخِرُ عَهْدِهَا      لِأَمْسٍ كَبَاقِي الْغَابِرَاتِ عَهْدٌ<sup>(٤)</sup>

(١) الشوقيات : ص ٤٦٦ .

(٢) مقدمة القصيدة عند شعراء مدرسة الإحياء والبعث : عبد العزيز الثبيتي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٠ ، ص ٩٩ .

(٣) دراسة عن شوقي : شفيق جبيري ، دار فتيبة للطباعة و النشر و التوزيع ، ط ١ - ١٩٩٧ ، ص ٦٥ .

(٤) الشوقيات : ص ٢٤٤-٢٤٥ .

إنَّ أيامَ شبابِ شوقي لا تفارقه يخاطبها ويتمنى عودتها فهي حاضرة في فكره ووجدانه مهما نأت وابتعدت إلا أن الذكرى خالدة بداخله ، يعيش في أجوائها كلما عنَّ له ماضي تلك الأيام ، يتذكر رحلاته في فصل الربيع والزهور الجميلة التي تسحر النفس برائحتها وجمالها فيقول :  
( الكامل )

إِنِّي لِأَذْكُرُ بِالرَّبِيعِ وَحُسْنِهِ      عَهْدَ الشَّبَابِ وَطَرْفِهِ المِمْرَاحِ  
هَلْ كَانَ إِلَّا زَهْرَةً كَرَّهِوْرِهِ      عَجَلَ الفَنَاءَ لَهَا بِغَيْرِ جُنَاحِ<sup>(١)</sup>

فالذكرى التي حلت بشوقي لماضيه الجميل ، وربط ذلك بفصل الربيع الذي يمثل الجمال بعينه والسحر والرونق ، ففترة الشباب كما يصفها شوقي زهرة من زهور هذا الفصل الجميل بمناخه وأجوائه الرائعة ، هذه الزهرة التي ما زالت عالقة بقلب الشاعر يغذيها من دمائه ؛ لتبقى تبتث له شذا الشباب وحلاوة العمر وتذكره بأفضل الأوقات ، فلقد عانى شوقي من مهاجمة المشيب له ، واغتيل تلك اللحظات من حياته ، ومن ذلك قوله في وصف هذا الهجوم على الشباب : ( المتقارب )

وَعَالَ الحَدَائِثُ شَرْحُ الشَّبَا      بِ وَلَو شَيَّبَتِ المُرْدُ فِي الشَّيْبِ  
سَرَى الشَّيْبُ مُتَّيِّدًا فِي الرُّوْ      سِ سُرَى النَّارِ فِي المَوْضِعِ المُعْشَبِ  
حَرِيْقٌ أَحَاطَ بِخَيْطِ الحَيَا      ةِ تَعَجَّبْتُ كَيْفَ عَالِيهِمْ غَبِي  
وَمَنْ تُظْهِرِ النَّارُ فِي دَارِهِ      وَفِي زَرْعِهِ مِنْهُمْ يَرَعَبِ<sup>(٢)</sup>

يصف شوقي المشيب وفعله بالإنسان وصفاً دقيقاً ، فالمشيب يسري في الرأس وينتشر بسرعة كما النار المشتعلة في الهشيم ، فهو مقدمة لنهاية العمر حيث يرسم طريقاً لملاقاة الله - تبارك وتعالى - فكل إنسان عندما يشتعل رأسه شيباً يدرك النهاية التي باتت قريبة جداً ؛ لأن ذلك من سنة الله في خلقه .

(١) الشوقيات : ص ٢٠٣ .

(٢) السابق : ص ١٥٢ .

ومن ذلك الحنين إلى شبابه ما أنشأه من أشعار باكياً فيها انقضاء شبابه وذهابه إلى غير رجعة حيث يصف حنين قلبه لتلك الأيام التي مرت عليه ، وقد شكلت له جمالاً كبيراً ، وتركت في نفسه شوقاً وتوقاً لتلك الذكريات حيث يقول : ( البسيط )

أبكي الصبا رخيماً من أعتته  
صحا الفؤاد على آثار كبوته  
إذا تمثلته في اللب طار له  
أقول للنفس عنه لا أغالطها  
إذا صبا المرء ولي غير مرتجع  
جـرى بنا لمدى اللذات يقطعه  
إلا أماني لا تتفك تخذعه  
ورفرف القلب حتى خفت يتبعه  
مضى به زمن هيهات يرجعه  
فماله بالتصابي لا يودعه<sup>(١)</sup>

يصل شوقي إلى الحقيقة المرة أنّ عهد الصبا لا يمكن أن يرجعه الزمان ، ومع ذلك يبقى يذكر ذلك ؛ لأن القلب لم يحتمل فقدان تلك الأيام فأصبح يعيش في ذكرياتها ، ويخفق كلما سمع بأخبارها ، ويرفرف كالطير الجريح من آلام الفقد والوجد .

إنّ شوقي عند حديثه عن أيام الصبا فإنه يخاطب قلبه ، ومخاطبة القلب ومناجاته دليل على الشوق والحنين لأيام مضت ، قضى فيها أجمل الأوقات وأثمنها ، تلك الحالة الشعورية المسيطرة على شوقي كلما تذكر ذكرياته الجميلة تجبره عن الحديث عنها والغوص في أمنياته التي يأمل أن تعود ؛ وهو في ذلك يوصل فكرة جميلة عن تلك الفترات مفادها أنّ الإنسان مجرد ذكرى فعليه أن يستغل تلك الأوقات حيث يقول في ذلك : ( الطويل )

أقول لقلبي والهوى يزحّم الهوى  
إذا أنت لم تُعطِ الشبيبة حَفّها  
وإنك حيّ ما خفقت مؤملاً  
حوالي الصبا والوجد بالوجد يلتقي  
ندمت على ما فات بعد التفرق  
وإنّ حياتي في حياتك فاخفق<sup>(٢)</sup>

فواجب على المرء أن يتمتع بفترة شبابه ، وأن يعيش في جو تلك الفترة ، فشوقي يوصي أن تستغل تلك الأوقات فيما ينفع ؛ لأن الإنسان سيندم على كل لحظة ضيعها من فترة شبابه وعليه أن يغتنمها فما مضى لا يمكن أن يعود ، فأيام الشبيبة تحمل في طياتها المرح والسرور ، فالمرء

(١) الشوقيات : ص ٤١٦ .

(٢) السابق : ص ٤٥٩ .

لم يرتبط بعد بمشاغل الحياة وشؤونها ، ولم تُلقَ على عاتقه المسؤوليات المختلفة ، بل إنه منفرغ طول الوقت إلا من بعض مقومات الحياة .

إنَّ من حنين شوقي للماضي تعلقه ببعض المناطق التي زارها وأتت عليها ثناءً حسناً ، والملاحظ لهذا الإطراء عن تلك الظاهرة التي أسهب فيها شوقي في تذكر أيامه ، يرى أنَّ الماضي الجميل عنده ترك أثراً واضحاً في أشعاره ، والأمثلة تطول وتطول على هذا الغرض ، ومن ذلك قوله : (مجزوء الكامل)

|                                |  |
|--------------------------------|--|
| يَا غَابَ بُولُونَ وَلِي       | ذِمٌّ عَلَيكَ وَلِي عُود                 |
| زَمَنٌ نَقَضَى لِلْهَوَى       | وَلَنَا بِظِلِّكَ هَلْ يَعُود            |
| حُلْمٌ أُرِيدُ رُجُوعَهُ       | وَرُجُوعُ أَحْلَامِي بَعِيد              |
| وَهَبِ الزَّمَانَ أَعَادَهَا   | هَلْ لِلشَّبِيَّةِ مَن يُعِيد            |
| يَا غَابَ بُولُونَ وَبِي       | وَجِدْ مَعَ الذِّكْرِ يَزِيد             |
| حَفَقَتْ لِرُؤْيَيْكَ الضُّلُ  | عُ وَزُلْزِلَ القَلْبُ العَمِيد          |
| وَأْرَاكَ أَقْسَى مَا عَهْد    | تُ فَمَا تَمِيلُ وَلَا تَمِيد            |
| كَمْ يَا جَمَادُ قَسَاوَةٌ     | كَمْ هَكَذَا أَبْدَاً جُحُود             |
| هَلَّا ذَكَرْتَ زَمَانَ كُنَّا | وَالزَّمَانَ كَمَا نُرِيد <sup>(١)</sup> |

لم يتمالك شوقي نفسه عندما أخذ يتحدث عن مكان أحبه وتفياً ظلالة بعدما زاره بعد عمر طويل ، يلتفت إلى أيام شبابه الجميلة التي قضاها في هذه الأمكنة ، فيرجع بألم وحسرة على تلك الأوقات ، هذه الأحلام التي يتمنى شوقي عودتها وأن يعيش في أكنافها مراراً وتكراراً ؛ لكنه يقر ببعد الرجوع لهذه الأزمان ، ويفترض جديلاً أنَّ الزمان أعاد تلك الأوقات فلا يمكن أن يعود الشباب ، فيكتفي بمخاطبة (غاب بولون) بأن وجده يزيد بزيادة الذكرى ، هذا المكان الذي مكث فيه أزهى الأوقات وأجملها حيث الراحة والطمأنينة والنشاط العاطفي ، فغاب بولون مقصد للعشاق والمحبين لشده جمالها وسحرها ومناظرها الخلابة ، فقلب شوقي ينزل كالجبل الأشم من الذكرى، ومن الحنين لتلك الأيام والعهد التي قطعها شوقي على نفسه ؛ لكن المكان الذي قصده

(١) الشوقيات : ص ٢٧٥ .



شوقي بعد طول غياب لم يقابله نفس الشعور الذي يكنه لأنه جماد ، فينكر شوقي عليه هذا الجحود ويذكره بالأيام الخوالي التي قضاها في ربوعه .

وليس ببعيد عن فرنسا يخاطب شوقي مدينة باريس التي قضى بها وقتاً للدراسة ، فتتقل بين أماكنها الجذابة التي تسحر العيون والقلوب ، فهي عنوان للجمال على مر العصور ومن تلك المخاطبة التي توحى بنوع من الحنين لأيام قضاها في مدينة الأضواء : ( الطويل )

يَا مَكْتَبِي قَبْلَ الشَّبَابِ وَمَلْعَبِي  
وَمَرَا حَ لَدَاتِي وَمَغْدَاهَا عَلَى  
وَسَمَاءَ وَحَيِّ الشَّعْرِ مِنْ مُتَدَفِّقٍ  
وَمَقِيلَ أَيَّامِ الشَّبَابِ النُّوَكِ  
أُفُقِ كَجَنَّاتِ النَّعِيمِ ضَحُوكِ  
سَلِسِ عَلَى نَوْلِ السَّمَاءِ مَحُوكِ<sup>(١)</sup>

لقد عاد شوقي بذكرياته إلى مدينة باريس فغلبه الشوق والحنين لتلك الأيام ، فأخذ يعدد جماليات تلك المدينة ، ويذكر أيامه فيها فكانت ملعبه وأنسه ، ومن بين أرجائها غديت ربة الشعر عنده ، فكانت سبباً في بروز تلك الملكة الشعرية الفذة .

أما حنينه لأيام قضاها في بلاد الآستانة التي كانت عامرة بالخلافة الإسلامية ومرجعاً لكل مسلم ، فقد كان حنينه مختلفاً لتلك الأيام حيث الجمال الروحي والجمال الحقيقي المنتشر بين أطرافها ، ووصفه لها بأنها جنة الدنيا يحمل بداخله الشيء الكثير تجاهها ومن ذلك ما جاء في أشعاره المختلفة حيث يقول : (الوافر)

تَجَّادَ لِلرَّحِيلِ فَمَا اسْتَطَاعَا  
عَسَى الْأَيَّامُ تَجْمَعُنِي فَآتِي  
أَلَا لَيْتَ الْبِلَادَ لَهَا قُلُوبُ  
وَأَيْتَ لَدَى فُرُوقٍ بَعْضَ بَنِّي  
أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتَ مَكَانِي  
حَاوَتْ رِقَّ الْقَوَاضِي وَالْعَاوَالِي  
سَأَلْتُ الْقَلْبَ عَن تِلْكَ اللَّيَالِي  
وَدَاعَا جَنَّةَ الدُّنْيَا وَدَاعَا  
أَرَى الْعَيْشَ افْتِرَاقَا وَاجْتِمَاعَا  
كَمَا لِلنَّاسِ تَنْفَطِرُ التِّيَاعَا  
وَمَا فَعَلَ الْفُرَاقُ غَدَاةَ رَاعَا  
لَأَنْطَقَتِ الْمَادِنُ وَالْقِلَاعَا  
فَلَمَّا ضُفِّتْهَا حَاوَتْ الْيِرَاعَا  
أَكُنُّ لِيَالِيَا أَمْ كُنُّ سَاعَا

(١) الشوقيات : ص ٤٧٢ .

فَقَالَ الْقَلْبُ بَلْ مَرَّتْ عِجَالاً      كَدَقَاتِي لِذِكْرَاهَا سِرَاعاً<sup>(١)</sup>

فشوقي لم يستطع نسيان تلك الأيام في الأستانة ، لما شملته من جمالها الساحر وأجوائها التي تبعث في النفس الراحة والاطمئنان ، فهو متعلق بالذكرى لتلك الليالي التي مرت سريعاً مرور البرق ، يسأل نفسه هل هي بالفعل كانت ليالي أم كانت ساعة ؟ سؤال يوحي بسرعة الأوقات التي مرت ، فالأوقات الجميلة تتقضي بشكل سريع ، فالذكرى ساكنة في أعماق قلبه ، ومن حنين شوقي للليالي الجميلة التي قضاها في شبابه ما يقوله في وصف إحدى الليالي الخالية: (البسيط)

يا ليلة البالِ ما خالوك راقصةً      إلا وأنتَ جمالِ الدهرِ والحقبِ  
كَمْ لذة بكِ ولَّتْ وانقَضتْ وخلت      وذكرها فيه لم يبرح ولم يغيب<sup>(٢)</sup>

تلك الليالي التي أحببت الحنين لها في قلب شوقي وكيانه ، فذكرها خالدة مخلدة في تفكيره ، فهي مثال للجمال وللذات التي قضاها في أيام شبابه ، حيث جعلها من الأمور التي يسلي النفس بها كلما مرت عليه ضائقة ما ، أو عندما يريد أن يبحر في ماضيه الجميل .

---

(١) الشوقيات : ص ٤٠٩ .

(٢) السابق : ص ١٧١ .

## المطلب الرابع : الحنين الديني :

غلبت على شوقي النزعة الدينية ، فلقد كان كثير الحديث عن شؤون المسلمين وما يحدث لهم من طوارئ في الحياة ، فقد وصفه الدكتور محمد حسين هيكل في مقدمة الديوان بأنه : "مؤمن عامر النفس بالإيمان ، مسلم يقدر أخوة المسلمين ، ويجعل من دولة الخلافة قدساً تفيض عليه شؤونته وحوادثه وحي الشعر وإلهامه ، حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها ، محافظ في اللغة العربية تتسع لكل صورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال" (١) ثم يردف قائلاً : "فشوقي شاعر الإسلام والمسلمين ، كما أنه شاعر مصر وشاعر الشرق ، وعاطفة المسلم تتجه حتى العصور الأخيرة إلى جهتين ، ثم إلى قومين : فهي تتجه صوب مكة مسقط النبي - صلى الله عليه وسلم - ومقام إبراهيم - عليه السلام - كعبة المسلمين وقبله أنظارهم ، ومكة في بلاد العرب والنبي عربي والقرآن عربي . وهي تتجه - أو كانت تتجه - صوب الآستانة مقر الخلافة الإسلامية ، ومقام الخليفة من آل عثمان . والآستانة عاصمة الترك، وخليفة المسلمين كان في تركيا ، فكل مسلم تعنيه وحدة المسلمين كان يتجه ببصره - إلى حيث ألغيت الخلافة - نحو مكة ونحو الآستانة ، يستمد من الأولى المدد الروحي ، ومن الثانية مدد السيف والمدفع" . (٢)

وتذكر سعاد عبد الوهاب عبد الكريم هذه النزعة الواضحة في شعر شوقي فتقول : " أما شوقي فقد تفوق على أقرانه من الشعراء في شعره الإسلامي ، وأصبح هذا التيار واضحاً في صورته الشعرية، وأصبحت هذه القيم الدينية في قداستها تشكل جانباً من وعيه الشعري ووجد شوقي في التيار الإسلامي معجماً ثرياً يستمد منه مادته التعبيرية والتصويرية " (٣).

لقد تمثل الحنين الديني عند شوقي في عدة محاور ، وعند حديثه عن أي منها كانت تفوح رائحة الشوق والحنين لكل منها فهي متعلقة بالدين الإسلامي الحنيف ، وشوقي كما عرف عنه أنه شاعر الإسلام والمدافع عن أمور المسلمين ، ومن الأمور الدالة على الحنين عند شوقي :

(١) الشوقيات : المقدمة ص ٢٢ .

(٢) السابق : المقدمة ص ٢٨ .

(٣) إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية : سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ، مطابع الجيزة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ ، ص ٤-٥ .

## أولاً : المدائح النبوية :

" كان النبي - صلى الله عليه وسلم - وما يزال النموذج المثالي الذي تهفو إليه القلوب المؤمنة ، وتتعطر بسيرته الألسنة الذاكرة ، فهو المثل الأعلى والقذوة الحسنة والرجاء المنشود ، كثيراً ما لهج الشعراء بمدحه وأشادوا بمناقبه ، ورددوا سيرته تعبداً وتشفعاً وتبركاً ، يستوي في ذلك شعراء الصوفية وغير الصوفية على مر العصور " .<sup>(١)</sup>

فلقد مدح شوقي رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - في مواضع كثيرة من ديوانه ، وجعل من هذا المدح عبادة يتقرب بها إلى الله - تبارك وتعالى - وطلباً للعفو والمغفرة من خالق البشرية جمعاء ، وحنيناً صادقاً لخير من وطأ الثرى ، فكانت قصائده في الرسول - صلى الله عليه وسلم - جواهر تزين بها ديوانه ، ولآلئ أضفت على أشعاره بريقاً خاصاً ، حيث جاءت تلك القصائد لترسم ميلاد شاعر إسلامي فذ ، أبدع فأمتع ، وأنشد فأسمع ، وأخذ من الحوادث التي حوتها السنة النبوية الشريفة منطلقاً إلى الإبداع الشعري الذي أصبح شعراً يلقى صباح مساء لكل من أراد الحديث عن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - .

كان مدح شوقي للرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - تمثلاً للجوانب الدينية ، وتطلعاً لواقع أجمل للمسلمين ، وتذكيراً لهم بأنهم أمة قائد عظيم لم يخلق له مثل - صلوات ربي وسلامه عليه - " فشوقي يتجاوب مع هذه المعاني الإسلامية التي تجيش بها قلوب المسلمين نحو خاتم المرسلين فلا تفوته مناسبة إلا يذكر فيها سيرته - صلى الله عليه وسلم - مشيداً بفضائله الكريمة وشمائله الرفيعة ، متضرعاً ملتصقاً شفاعته - صلى الله عليه وسلم - مستغنياً به لتفريج كرب الأمة الإسلامية ، وموجهاً لها لتتخذ منه القذوة والأسوة حتى تستعيد مجدها التليد ، وتسترجع ماضيها المجيد " .<sup>(٢)</sup>

عبر شوقي عن حنينه للمصطفى - صلى الله عليه وسلم - من خلال اغتنام مناسبات تخص الرسول الكريم ، ومثال ذلك ما أنشأه شوقي في ذكرى المولد النبوي حيث غرد الأمير بأعذب الألحان وأشداها في وصف الرحمة المهداة ( صلى الله عليه وسلم ) حيث يقول :

(١) إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية : سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ، ، ص ١٢٤ .

(٢) السابق ، ص ١٢٤ .

( الكامل )

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ  
الرُّوحِ وَالْمَلَأُ الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ  
يَا خَيْرَ مَنْ جَاءَ الْوُجُودَ تَحِيَّةً  
بَيْتِ النَّبِيِّينَ الَّذِي لَا يَلْتَقِي  
وَقَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَتَشَاءُ  
لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا بِهِ بُشْرَاءُ  
مِنْ مُرْسَلِينَ إِلَى الْهُدَى بِكَ جَاؤُوا  
إِلَّا الْحَنَائِفُ فِيهِ وَالْحُنَفَاءُ<sup>(١)</sup>

اعتبر شوقي ميلاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - نوراً أضاء السماوات والأرض ،  
استقبله الزمان ببشاشة وفرح ؛ فهذا ميلاد خير البرية الذي ملأ الدنيا عدلاً ورحمةً ، فانه - تبارك  
وتعالى - أرسله رحمة للناس حيث يقول - عز وجل - : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً  
لِّلْعَالَمِينَ " <sup>(٢)</sup> ، ثم يصف شوقي الفرحة العظيمة بقدوم النبي الكريم ، فهو البشرى التي  
جاء بها لهذه الدنيا . ثم يطلق شوقي لحنينه العنان معبراً عن صفات المصطفى التي لم تتوفر  
إلا في شخصه - صلوات ربي وسلامه عليه - حيث يقول : ( الكامل )

فَإِذَا سَخَوْتَ بَلَّغْتَ بِالْجُودِ الْمَدَى  
وَإِذَا عَفَوْتَ فَقَادِرًا وَمُقَدَّرًا  
وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ  
وَإِذَا غَضِبْتَ فَأَنْتَ مَا هِيَ غَضَبَةٌ  
وَإِذَا رَضِيتَ فَذَلِكَ فِي مَرْضَاتِهِ  
وَإِذَا خَطَبْتَ فَلِلْمَنَابِرِ هِزَّةٌ  
وَفَعَلْتَ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَنْوَاءُ  
لَا يَسْتَهِينُ بِعَفْوِكَ الْجَهْلَاءُ  
هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرَّحْمَاءُ  
فِي الْحَقِّ لَا ضِغْنَ وَلَا بَغْضَاءُ  
وَرَضَى الْكَثِيرَ تَحَلُّمٌ وَرِيَاءُ  
تَعْرُو النَّدِيَّ وَلِلْقُلُوبِ بُكَاءُ<sup>(٣)</sup>

فهو قمة في الجود والكرم ، فإذا جاد كان سخياً كريماً بلغ جوده أقصى الدرجات ، فلا يصل  
إلى جوده أحد حتى المبشرات بقدوم الغيث ، وهو المتسامح الذي ضرب لنا أمثلة في التسامح ،  
فشوقي يعدد هذه الصفات التي رسخت في كيانه وأنشأت حياً مختلفاً عن حب الناس الآخرين ،

(١) الشوقيات : ص ٣٣ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) الشوقيات : ص ٣٤ .

فأخذ يجمل تلك الصفات العظيمة للرسول - صلى الله عليه وسلم - فهو مثال للرحمة بين البشر، فغضبه من أجل الله ودينه لا يعرف الحقد والضعينة إلى قلبه سبيلاً ، ورضاه من رضا المولى - عز وجل - ولخطبته هيبه لها وقع كبير على النفوس والقلوب .

ومن حنينه للرسول - صلى الله عليه وسلم - تقديمه تلك القصائد مشبهاً إياها بالعرائس ، حيث يقول فيها : ( الكامل )

|  |   |
|--|---|
| لِي فِي مَدِيحِكَ يَا رَسُولَ عَرَائِسٍ      | تُيْمَنَ فِيكَ وَشَاقِهِنَّ جَلَاءُ                   |
| هُنَّ الْحِسَانُ فَإِنْ قَبِلْتَ تَكْرُمًا   | فَمُهورُهُنَّ شَفَاعَةٌ حَسَنَاءُ                     |
| أَنْتَ الَّذِي نَظَمَ الْبَرِيَّةَ دِينُهُ   | مَاذَا يَقُولُ وَيَنْظُمُ الشُّعْرَاءُ                |
| الْمُصْلِحُونَ أَصَابِعُ جُمِعَتْ يَدًا      | هِيَ أَنْتَ بَلْ أَنْتَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ          |
| مَا جِئْتُ بِأَبِكَ مَادِحًا بَلْ دَاعِيًا   | وَمِنْ الْمَدِيحِ تَضَرُّعٌ وَدُعَاءُ                 |
| أَدْعُوكَ عَنِ قَوْمِي الضَّعَافِ لِأَزْمَةٍ | فِي مِثْلِهَا يُلْقَى عَلَيْكَ رَجَاءُ <sup>(١)</sup> |

فيكشف شوقي عن هدفه الأوحد وهو الدعاء الصادق الذي جعل من المدح وسيلة له ، دعاء خص به أمة محمد التي أصبحت ضعيفة لا تقوى على مجارة الأمم ، هذا الحس العظيم من شوقي تجاه أمته لهو خير دليل على انتمائه الشديد لدينه وأمته .

أما في قصيدته نهج البردة التي جعل من مدحه للرسول - صلى الله عليه وسلم - ذخرًا يلجأ إليه يوم الحساب ، حيث يقول : ( البسيط )

|   |  |
|---|--|
| إِنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغُفْرَانِ لِي أَمَلٌ | فِي اللَّهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرِ مُعْتَصِمٍ    |
| أَلْقَى رَجَائِي إِذَا عَزَّ الْمُجِيرُ عَلَيَّ | مُفَرِّجِ الْكَرْبِ فِي الدَّارَيْنِ وَالْعَمَمِ |
| إِذَا خَفَضْتُ جَنَاحَ الدُّلِّ أَسْأَلُهُ      | عِزَّ الشَّفَاعَةِ لَمْ أَسْأَلْ سِوَى أُمَّمِ   |
| وَإِنْ تَقَدَّمَ نُو تَقْوَى بِصَالِحَةٍ        | قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ عِبْرَةَ النَّدَمِ     |
| لَزِمْتُ بَابَ أَمِيرِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ    | يُمْسِكُ بِمِفْتَاحِ بَابِ اللَّهِ يَغْتَنِمُ    |
| فَكُلُّ فَضْلٍ وَإِحْسَانٍ وَعَارِفَةٍ          | مَا بَيْنَ مُسْتَلِمٍ مِنْهُ وَمُلْتَزِمِ        |

(١) الشوقيات : ص ٣٨ .

عَلَّقْتُ مِنْ مَدْحِهِ حَبْلًا أُعْزُّ بِهِ      فِي يَوْمٍ لَا عِزَّ بِالْأَنْسَابِ وَاللَّحْمِ (١)

هذا الاستغفار الذي ملأ قلب شوقي في تلك المدائح النبوية كان منشؤه عقيدة راسخة قوية لديه بأن الله هو الغفار المجيب الدعاء ، فكانت هذه المدائح تقرباً من شوقي لله وعبادة له ، وحينئذ لرؤية المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ولنيل شفاعته ، فهو خير شافع لأمته يوم القيامة ، فقد علق شوقي مدحه حبلاً يلجأ إليه في يوم يفر المرء فيه من أعز إنسان له في الدنيا ، ولا تنفعه الأنساب والأصهار .

ولعل أصدق تعبير عن حنين شوقي للرسول - صلى الله عليه وسلم - ما قاله وعينه تفيض بالدمع مهابةً وحباً لرسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - ، فكان هذا الحنين الباعث الحقيقي لحديثه عن معلم البشرية الخير ، حيث يقول واصفاً حنينه : ( الطويل )

وَفَاضَتْ مَعَ الدَّمْعِ العُيُونُ مَهَابَةً      لِأَحْمَدَ بَيْنَ السِّتْرِ وَالْحُجْرَاتِ  
وَأَشْرَقَ نَوْرٌ تَحْتَ كُلِّ نَيْيَّةٍ      وَضَاعَ أَرِيحٌ تَحْتَ كُلِّ حَصَاةٍ (٢)

إنَّ العيون لتشتاق للمصطفى والقلوب تحن لذكراه ، فهو نور أشرق على البشرية ، وأثار قلوبها وأفئدتها ، ونشر الطيب والعطر ليعم أرجاء المعمورة ، ويذكر شوقي ذلك قائلاً : ( مجزوء الوافر )

وَيَمِشِي نَوْرَ أَحْمَدَ فِي      ظِلَامِ الجَهْلِ يَهْزِمُهُ  
وَفِي النِّيَرَانِ يَخْمَدُهَا      وَفِي الإِيْمَانِ يَتَلْمَهُ  
وَفِي المَعْجُوجِ فِي دِينِ      وَمَنْ دَنِيًّا يَقُومُهُ  
فَلَمَّا تَمَّ مِنْ طَهْرٍ      وَمَنْ شَرَفٍ تَقْسِمُهُ  
تَجَلَّى مَوْلِدُ الهَادِي      يَضِيءُ الكُونِ مَوْسِمُهُ  
هَلَمُوا أَهْلَ ذَا النِّيَادِي      عَلَى قَدَمِ نِعْظَمِهِ (٣)

(١) الشوقيات : ص ٦١٢-٦١٣ .

(٢) السابق : ص ١٨٦ .

(٣) السابق : ص ٥٩٩ .

عندما يصدح الأمير بأشعاره ، ويغرد بأجمل الألحان في ذكرى خير الأنام ، فيدخل الشوق إلى قلوب من قرأ تلك الأشعار ، ويسعد نفوس مشتاقة يملأها الحنين للقيما المصطفى ، فها هو شوقي يطلب من الأمة الإسلامية أن تسير على خطى نبيها وتعظمه ، وتقتفي أثره فهو الذي هزم الباطل ، وأقام منطق كل أعوج منطق ، وأضاء الكون بنور الإسلام العظيم .

ثانياً : حنينه لمجد المسلمين وتاريخهم وحاضرهم :

إنّ تاريخ المسلمين العظيم ، ومجدهم التليد يبعث في نفس كل مسلم في أي وقت مزيداً من الحنين لتلك الأيام العظيمة التي رسمت حضارة إسلامية تغنى بها الغرب قبل العرب ، واعترف الجميع بفضلها على تطور العلوم المختلفة إلى وقتنا الحاضر ، فقادة المسلمين في عصور الازدهار عملوا على الرقي بالأمة ورفعتها ، فأسسوا نواة الحضارة الإسلامية التي ملأت الأقطار من أواسط أوروبا غرباً إلى مشارف الصين شرقاً ، وقد عرف عن شوقي حبه للقديم ، فهو من رواد مدرسة الإحياء والبعث التي أخذت على عاتقها إحياء التراث العربي القديم وبث الحياة فيه من جديد ، فشوقي عبر عن حنينه لتلك الأيام ولهؤلاء القادة من خلال الحديث عنهم، ومن ذلك قوله في بني أمية : (البيسط)

|  |  |
|--|--|
| وَلِلْأَحَادِيثِ مَا سَادُوا وَمَا دَانُوا                     | بَنُو أُمَيَّةَ لِلْأَنْبِيَاءِ مَا فَتَحُوا       |
| فَهَلْ سَأَلْتَ سَرِيرَ الْعَرَبِ مَا كَانُوا                  | كَانُوا مُلُوكاً سَرِيرُ الشَّرْقِ تَحْتَهُمْ      |
| فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مُلْكٌ وَسُلْطَانٌ                         | عَالِينَ كَالشَّمْسِ فِي أَطْرَافِ دَوْلَتِهَا     |
| سَرَى بِهِ الْهَمُّ أَوْ عَادَتُهُ أَشْجَانُ                   | يَا وَيْحَ قَلْبِي مَهْمَا إِنْتَابَ أَرْسَمَهُمْ  |
| وَالْيَوْمَ دَمَعِي عَلَى الْفَيْحَاءِ هَتَّانُ <sup>(١)</sup> | بِالْأَمْسِ قُمْتُ عَلَى الزَّهْرَاءِ أَنْدُبُهُمْ |

لقد تمثل حنين شوقي الديني لأيام سادت فيها الخلافة الإسلامية ، وكان يقودها آنذاك بنو أمية ، فقد ملكوا المشرق والمغرب وسادوا أقواماً أكثر حتى أصبحت دولتهم مترامية الأطراف ، وملكهم وسلطانهم عمّ الآفاق ؛ لكنّ الحزن يداهم شوقي على ما آلت إليه أوضاعهم ، وقد دثرتهم الأيام وأصبحوا تاريخاً يذكر بين دفات الكتب لا غير . تلك الأحزان التي ظهرت واضحة عندما زار شوقي دمشق ، فرأى آثار بني أمية والمسجد الأموي ، حتى أنه وصف المسجد بالمحزون ،

(١) الشوقيات : ص ٧٠٠ .



وأخذ يسأل المسجد عمّن كانوا رموزاً من أمثال مروان بن عبد الملك ، حيث يقول شوقي عند مروره بالمسجد النبوي : (البيسط)

مَرَرْتُ بِالْمَسْجِدِ الْمَحْزُونِ أَسْأَلُهُ  
هَلْ فِي الْمُصَلَّى أَوْ الْمِحْرَابِ مَرَوَانُ؟  
تَغَيَّرَ الْمَسْجِدُ الْمَحْزُونُ وَاخْتَلَفَتْ  
عَلَى الْمَنَابِرِ أَحْرَارٌ وَعَبْدَانُ  
فَلَا الْأَذَانَ أَذَانٌ فِي مَنَارَتِهِ  
إِذَا تَعَالَى وَلَا الْأَذَانَ آذَانُ<sup>(١)</sup>

أما حديثه عن القادة ودورهم في خدمة الدين وإعلاء كلمته ، والدفاع عن الأمة فكان دليلاً على حنين شوقي لأيام الانتصارات ، حيث يتخذ من أي انتصار للخلافة العثمانية تذكرة بانتصارات المسلمين الأوائل ، ومن القادة الأتراك باعثن لخطط القادة الأوائل ، ومن ذلك قوله : (البيسط)

اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ فِي الْفَتْحِ مِنْ عَجَبٍ  
يَا خَالِدَ الثُّرَكِ جَدَّدَ خَالِدَ الْعَرَبِ  
صُلِحَ عَزِيزٌ عَلَى حَرْبٍ مُظْفَرَةٍ  
فَالسَيْفُ فِي غَمْدِهِ وَالْحَقُّ فِي النُّصْبِ  
يَا حُسْنَ أُمْنِيَّةٍ فِي السَّيْفِ مَا كَذَّبَتْ  
وَطَيْبَ أُمْنِيَّةٍ فِي الرَّأْيِ لَمْ تَخْبِ<sup>(٢)</sup>

لقد ظهر فخر شوقي بقيادة الإسلام في عصره وشبههم بالقادة العظام ، فهو يرى أن للإسلام أسوداً وهبوا أنفسهم للدفاع عن هذا الدين العظيم ، وما هذا الفخر إلا شوق لمجد المسلمين في عزمهم وسلطانهم .

ومن أشعاره التي يصف فيها أحد قادة الخلافة الإسلامية في تركيا حيث وصفه بأنه امتداد لحكم النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد حافظوا على العز والرفعة ، وعلى مجد المسلمين وفخارهم ومن ذلك قوله : (الكامل)

هَزَّ اللَّوَاءُ بِعِزِّكَ الْإِسْلَامُ  
وَعَنَتِ لِقَائِمِ سَيْفِكَ الْإِيَّامُ  
وَانْقَادَتِ الدُّنْيَا إِلَيْكَ فَحَسْبُهَا  
عُذْرًا قِيَادًا أَسْلَسْتَ وَزِمَامُ  
وَمَشَى الزَّمَانُ إِلَى سَرِيرِكَ تَائِبًا  
حَجَلًا عَلَيْهِ الدُّلُّ وَالْإِرْغَامُ  
عَرْشُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ جَنَابَتُهُ  
نُورٌ وَزَفْرُهُ الطَّهْوَرُ غَمَامُ<sup>(٣)</sup>

(١) الشوقيات : ص ٧٠١ .

(٢) السابق : ص ١٦٢ .

(٣) السابق : ص ٥٧٩ .

أما حديث شوقي عن الخلافة فقد انطلق من منطلق ديني ، ومن حنين صادق لأمجاد المسلمين ، " فشوقي شاعر من الشعراء الذين عرفوا البواعث الإسلامية والتركية في شعرهم ، وليس من شك في أنّ شوقي كان أكثر شعراء مصر تمجيداً للترك وإشادة بالخلافة ، وولاء للخليفة ، ولطالما مجد الترك إذ انتصروا ونوه ببطولتهم ، وضفر أكاليل الغار على هامات قادتهم ، وطالما رجع على الوتر الحزين إذا انهزموا ، وبكى الأقاليم والمدن المقتطعة من الخلافة ، وكثيراً ما حض على مؤازرتهم في محنتهم ، كما حث على المسارعة إلى نجدتهم في نكباتهم " (١) ، حيث يرسم شوقي في قصيدة رثاء الخلافة صورة حزينة لواقع العالم الإسلامي ، بعدما نزعت أجمل قلادة كانت تزين الأمة الإسلامية في واقعها وماضيها وحاضرها ، حيث يقول ( الكامل )

إِنَّ الَّذِينَ أَسَّتْ جِرَاحَكَ حَرْبُهُمْ      قَتَلَتْكَ سَلْمُهُمْ بِغَيْرِ جِرَاحِ  
هَتَكُوا بِأَيْدِيهِمْ مُلَاءَةً فَخَرِهِمْ      مَوْشِيَّةً بِمَوَاهِبِ الْفَتْحِ  
نَزَعُوا عَنِ الْأَعْنَاقِ خَيْرَ قِلَادَةٍ      وَنَضَوْا عَنِ الْأَعْطَافِ خَيْرَ وَشَاحِ  
حَسَبْتُ أَتَى طَوْلُ اللَّيَالِي دُونَهُ      قَدْ طَاحَ بَيْنَ عَشِيَّةٍ وَصَبَاحِ  
وَعَلَاقَةٌ فُصِمَتْ عُرى أَسْبَابِهَا      كَانَتْ أَبْرَ عِلَاقِ الْأَرْوَاحِ (٢)

ثالثاً : حنينه إلى الديار المقدسة :

تمثل الديار المقدسة مقصداً لكل مسلم ، فالنفس تتوق إلى الصلاة في المسجد الحرام ، والسلام على المصطفى - صلوات ربي وسلامه عليه - فشوقي كعامة المسلمين يحن إلى تلك الديار الحجازية التي تتلهف العين لرؤيتها ، ويدفع الحاج الغالي والنفيس ليزور تلك البقاع المطهرة ، فلقد كانوا في القدم يمضون ليالي وشهوراً مسافرين وشادي الركاب إليها ، متحمليين وعناء السفر والعناء الشديد ، قاطعين الصحراء والفيافي حياً في أداء الشعائر الدينية التي فرضها الله - سبحانه وتعالى - عليهم . يذكر شوقي حنينه للأماكن المقدسة عندما تحدث عن رحلة الخديوي توفيق إلى بلاد الحجاز حاجاً حيث يذكر فضائل تلك الأماكن التي تشواق القلوب لها قائلاً : (الطويل)

فَعَلَى كُلِّ أَفْقٍ بِالْحِجَازِ مَلَائِكُ      تَزُفُ تَحَايَا اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ

(١) إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية : سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ، ص ١٨ .

(٢) الشوقيات : ص ٢٠٤ .

وَفِي الْكَعْبَةِ الْغَرَاءِ رُكْنٌ مُرْحَبٌ      بِكَعْبَةِ قُصَادٍ وَرُكْنٍ عُفَاةٍ<sup>(١)</sup>

أما حديثه عن هذه العبادة الجليلة المفروضة على كل مسلم قادر ، ومدى امتثالهم لله -  
تبارك وتعالى - حيث يقول : ( الطويل )  
لَيْتَ طَهْرَ السَّاحِ وَالْعَرَصَاتِ      لَكَ الدِّينُ يَا رَبَّ الْحَجِيجِ جَمَعَتْهُمْ  
أَرَى النَّاسَ أَصْنَافًا وَمِنْ كُلِّ بُقْعَةٍ      إِلَيْكَ إِنَّتَهُوا مِنْ غُرْبَةٍ وَشَتَاتٍ<sup>(٢)</sup>

ومن الملاحظ هذا الأثر الديني الواضح في قصائد شوقي ، وما إكثاره من المدائح النبوية  
وذكره لأمجاد المسلمين والقادة الأوائل وتغنيه بالديار المقدسة وتمجيده للخلافة الإسلامية  
وفتوحاتها ؛ إلا حنين خالص وشوق كبير وأنموذج للنزعة الدينية عنده ، ومن تلك الأعمال  
الشعرية التي نظمها شوقي الدالة على تعلقه بالدين الإسلامي النابعة من حنين صادق أرجوزة  
( دول العرب وعظماء الإسلام ) التي لم يترك فيها شاردة وواردة من تاريخ الإسلام إلا وذكره  
فيها .

---

(١) الشوقيات : ص ١٨٤ .

(٢) السابق : ص ١٨٥ .

## المطلب الخامس : الحنين إلى المكان :

كثيراً ما يرتبط لفظ المكان بالوطن ؛ لكن هناك مناطق تترك في النفس شوقاً وحنيناً لها ، أماكن يزورها الشاعر في حله وترحاله ، ينجذب إليها وإلى سحرها تارة وإلى تاريخها العريق تارة أخرى ، فلقد كان شوقي كثير الترحال بين الشرق والغرب ، وبين ثنانيا الشرق ولا سيما بلاد الشام، المشهورة بين الناس بجمالها الأخاذ وبأجوائها الساحرة ، فزار لبنان وسوريا وتمتع برحلات لم ينسها مطلقاً وأصبحت تاريخاً من ماضٍ جميل ، فكان لتلك الأمكنة حنين خاص عند شوقي أظهره ذلك الإبداع الشعري للأمير .

لقد حازت بلاد الشام على قلب أمير الشعراء ، فكانت زيارته كثيرة لتلك الأماكن ، وتنقل بين المناظر الخلابة بداخلها ، فأنشأ شعره الذي يمتلئ بأعذب التصاوير الفنية والدلالات والإيحاءات التي تعبر عما يكنه لبلاد الشام من حنين ، حيث يقول في حنينه المستمر لمدن لبنان وقراها :

( الكامل )

لُبْنَانُ دَارَتْهُ وَفِيهِ كِنَاسُهُ      بَيْنَ الْقَنَا الْخَطَارِ خُطَّ نَحْيُهُ  
السَّلسِيلُ مِنَ الْجَدَاوِلِ وَرْدُهُ      وَالْأَسُ مِنْ خُضْرِ الْخَمَائِلِ قَوْثُهُ  
إِنْ قُلْتُ تِمْتَالِ الْجَمَالِ مُنْصَبًّا      قَالَ الْجَمَالُ بِرَاحَتِي مَمْلُئُهُ<sup>(١)</sup>

هذا غيض من فيض من أشعار شوقي في لبنان ، فلقد وصفه بأرق الأوصاف وأعذبها ، فهو مثال للجمال المادي الذي سحر الأمير وسلب تفكيره ، فأخذ يسترسل في أوصافه التي تنم عن الحب الكبير للبنان في قلب شوقي ، ويتغنى بألوان الجمال المختلفة التي حوتها البيئة اللبنانية حيث يقول : ( الكامل )

لبنان يا ملك الجبال تحية      رقت وأزلفها لك الإكبار  
عاليه تحملها إليك وصوفر      ومناهل بالجننتين غزاز  
من نازح الدار التقى بك داره      ساح الأكارم للكريم ديار  
خلى الأحبة والمآرب خلفه      فإذا الأحبة فيك والأوطار  
للواردين على رياضك أعين      من فضة أهدابهن نضار

(١) الشوقيات : ص ١٧٢ .

سال الفرات بها وقام كأنه دمع السرور هوى وجوار<sup>(١)</sup>

فلبنان ملك الجمال يستحق أجمل التحيات وأرقها ، فها هو الأمير يرسل بتلك الأشواق في قالب شعري يرسم من خلاله ذلك الحنين للبنان ، ففي قرى لبنان ومدنه كل ما يتمنى المرء من جماليات ، حتى أن الإنسان العربي لا يشعر بالغربة في ذلك القطر العربي ، ففيه الأحبة والأكارم الذين يشعرون ضيفهم بأنه وسط أهله وعشيرته .

لم يترك شوقي مكاناً في لبنان لافتاً للأنظار تاركاً بصماته في قلب كل من نظر إليه ، وتمتع بخيراته إلا كتب عن ذلك المكان ، حيث الطمأنينة والراحة النفسية التي تبعث في النفس أشواقاً حادة لتلك الأمكنة ، فبيروت هذه المدينة الساحرة التي تجبر كل من أتى إليها أن ينظم فيها درر الشعر ولآئنه ، فيصفها وصف المحب العاشق الذي فارق مهجة قلبه حيث يقول :

( الكامل )

بِيْرُوتُ يَا رَاحَ النَّزِيلِ وَأُنْسِيهِ      يَمْضِي الزَّمَانُ عَلَيَّ لَا أَسْلُوكِ  
الْحُسْنَ لَفْظٌ فِي الْمَدَائِنِ كُلِّهَا      وَوَجَدْتُهُ لَفْظاً وَمَعْنَى فِيكَ  
نَادَمْتُ يَوْمًا فِي ظِلَالِكِ فِتْيَةً      وَسَمُوا الْمَلَائِكَ فِي جَلَالِ مُلُوكِ<sup>(٢)</sup>

ذلك الوصف الذي أنشأه شوقي في مدينة بيروت بعد ضرب الأسطول الإيطالي لسواحل بيروت عام ١٩١٢م ، يظهر مدى تعلق شوقي بهذه المدينة التي زارها لأول مرة برفقة الأمير محمد علي عام ١٩١٠م ، ففيها الحسن والجمال الذي لا ينسى من مخيلة شوقي ، فهي حاضرة في فكره وقلبه وإحساسه . وعند الحديث عن لبنان وجماله لا يمكن أن ننسى رائعة من روائع شوقي في تغنيه بلبنان في قصيدته المشهورة والتي بعنوان ( زحلة ) هذه القرية الجميلة حيث ذكر لبنان وسحره الخلاب وقرية زحلة بموقعها الساحر وإطلالتها التي تسلب الأبواب حيث يتكلم في البداية عن لبنان ، فيقول : ( الكامل )

لَا أَمْسَ مِنْ عُمَرِ الزَّمَانِ وَلَا غَدٌ      جُمِعَ الزَّمَانُ فَكَانَ يَوْمَ رِضَاكِ  
أُبْنَانُ رَدَّتْني إِلَيْكَ مِنَ النَّوَى      أَقْدَارُ سَـيْرِ لِـلْحَيَاةِ دَرَاكِ  
جَمَعَتْ نَزِيلِي ظَهْرَهَا مِنْ فُرْقَةٍ      كُرَّةً وَرَاءَ صَوَالِحِ الْأَفْلاكِ

(١) الشوقيات : ص ٣١٧ .

(٢) السابق : ص ٤٧٠ .

وَلَوْ أَنَّ بِالشَّقِّ الْمَزَارُ وَجَدْتَنِي  
بِنْتِ الْبِقَاعِ وَأُمَّ بَرْدُونِيَّهَا  
وَدِمَشقُ جَنَاتِ النَّعِيمِ وَإِنَّمَا  
قَسَمًا لَوْ إِنَّمَتِ الْجَدَاوِلُ وَالرُّبَا  
مَرَاكِ مَرَاهُ وَعَيْنُكَ عَيْنُهُ  
تُبْدِي كَوْشِي الْفُرسِ أَفْتَنَ صِبْعَةً  
مُلقَى الرِّحَالِ عَلَى ثَرَاكِ الذَّاكِي  
طِيبِي كَحَلِّقٍ وَإِسْكَبِي بَرْدَاكِ  
أَلْفَيْتُ سُدَّةَ عَدْنِهِنَّ رُبَاكِ  
لَتَهْلَلَنَّ الْفِرْدَوْسُ ثُمَّ نَمَاكِ  
لِمَ يَا زُحَيْلَةَ لَا يَكُونُ أَبَاكِ  
لِلنَّاطِرِينَ إِلَى أَلَدِّ حِيَاكِ (١)

فالملاحظ من تلك الأبيات أنّ حب شوقي وحنينه للبنان كالسيل الجارف لا يقف أمامه أحد ، فهذه الأبيات قيلت بعد كبر شوقي في السن وبدت عليه مظاهر الأسى والحسرة على أيام الشباب، حيث جاءت هذه القصيدة لترسم ملامح حنين ممزوج للشباب ولهذا المكان الساحر ، وهذا الخلط في الإحساس بالحنين لفترة الشباب - والتي تعتبر من أجمل فترات العمر - تارة ، وبالحنين لهذا المكان الساحر تارة أخرى ، فبدأ بحنين كبير للبنان ثم امتد حنينه وتشعب لإحدى المدن وهي زحلة والتي وصفها بأزهى الأوصاف وكأنها قطعة من جنة الفردوس ، تسلب أنظار من يزورها وتمتلك فؤاده ، ثم يكمل حبات الوصف وكأنه ينظم عقد جواهر في وصفها حيث يقول : ( الكامل )

لَمْ أَنَسَ مِنْ هِبَةِ الزَّمَانِ عَشِيَّةً  
كُنْتُ الْعَرُوسَ عَلَى مَنْصَةِ جِنْحِهَا  
يَمْشِي إِلَيْكَ اللَّحْظُ فِي الدِّيَابِجِ أَوْ  
ضَمَّتْ ذِرَاعِيهَا الطَّبِيعَةُ رِقَّةً  
وَالْبَدْرُ فِي تَبَجِّ السَّمَاءِ مُنَوَّرٌ  
وَالنَّيِّرَاتُ مِنَ السَّحَابِ مُطَلَّةٌ  
إِنْ تُكْرِمِي يَا زَحْلُ شِعْرِي إِنَّنِي  
أَنْتِ الْخَيْالُ بَدِيعُهُ وَعَرِيُّهُ  
سَلَقْتُ بِظِلِّكَ وَإِنْقَضَتْ بِذَرَاكِ  
لُبْنَانُ فِي الْوَشْيِ الْكَرِيمِ جَلَاكِ  
فِي الْعَاجِ مِنْ أَيِّ الشَّعَابِ أَتَاكِ  
صَيِّتِينَ وَالْحَرَمُونَ فَاحْتَضَنَّاكِ  
سَأَلْتُ حُلَاهُ عَلَى الثَّرَى وَحُلَاكِ  
كَالْغَيْدِ مِنْ سَيْتَرٍ وَمِنْ شُبَاكِ  
أَنْكَرْتُ كُلَّ قَاصِدَةٍ إِلَّاكِ  
اللَّهُ صَاغِكِ وَالزَّمَانُ رَوَاكِ (٢)

(١) الشوقيات : ص ٤٦٧ .

(٢) السابق : ص ٤٦٨ .

لقد أبدع شوقي في وصف تلك القرية ، فأخذ يتغزل بها كأنه يتغني بمحبوبته الغالية على قلبه ، وما هذا الغزل العفيف إلا ترجمة لأحاسيسه المرهفة تجاه تلك القرية ، ولحنينه اللامتناهي لها ، حيث خصها بقصيدة في غاية الجمال ، هذا الجمال الذي يتناسب مع جمال القرية وروعته وسحرها .

لقد أفرد شوقي شعراً خاصاً ببلبان وتغنى بهذا المكان غناء المحب العاشق ؛ لكن هناك مكان آخر من بلاد الشام خصه شوقي بالثناء والجمال ، فمدينة دمشق هذه المدينة التاريخية والتي تحمل بين جنباتها عبقاً من تاريخ الآباء والأجداد الذين رووا بدمائهم الطاهرة الأرض نشراً لدين الله ، فقد شملت دمشق ألوان الجمال : جمال الطبيعة ، وجمال التاريخ ، وجمال الحضارة ، وقد خص شوقي تلك المدينة بأشعار جميلة عبرت عن حنينه المتزايد لها كلما زادت فترة غيابه عنها ، حيث استغل كل مناسبة تخص دمشق ليعبر عما يجول بصدرة من شوق وحنين لتلك المدينة ، حيث يقول في نكبة دمشق عام ١٩٢٦ م : (الوافر )

|   |  |
|---|--|
| دَخَانُكَ وَالْأَصِيلُ لَهُ إِتِّلَاقُ  | وَوَجْهُكَ ضَاكِ الْقَسَمَاتِ طَلْقُ                   |
| وَتَحْتِ جِنَانِكَ الْأَنْهَارُ تَجْرِي | وَمِـلْءُ رُبَاكَ أَوْرَاقٌ وَوُرُقُ                   |
| وَحَوْلِي فِتْيَةٌ غُرٌّ صَبَاحُ        | لَهُمْ فِي الْفَضْلِ غَايَاتٌ وَسَبْقُ                 |
| عَلَى لَهَوَاتِهِمْ شُعْرَاءُ لُسُنُ    | وَفِي أَعْطَافِهِمْ حُطَبَاءُ شُدُقُ                   |
| أَلَسْتُ دِمَشْقُ لِلْإِسْلَامِ ظَنْرًا | وَمُرْضِعَةٌ الْأَبْوَةِ لَا تُعَقُّ                   |
| صَاحُ الدِّينِ تَاكُكَ لَمْ يُجَمَّلْ   | وَلَمْ يَوْسَمَ بِأَزِينٍ مِنْهُ فَرْقُ                |
| وَكُلُّ حَضَارَةٍ فِي الْأَرْضِ طَالَتْ | لَهَا مِنْ سَرْحِكِ الْعُلُويِّ عِرْقُ                 |
| سَمَاوُكَ مِنْ حُلَى الْمَاضِي كِتَابُ  | وَأَرْضُكَ مِنْ حُلَى التَّارِيخِ رِقُّ <sup>(١)</sup> |

إن ذكر الشاعر لأوصاف دمشق وتعداد ما بها من جماليات ومن تاريخ عريق لهو دليل لحب صادق يكنه شوقي لهذه المدينة ، فلم يقف شوقي مكتوف الأيدي لما حدث لها من مأساة ، بل سخر قلبه وقلمه ولسانه ليدافع عنها ، ويقدم كل أمر باستطاعته تقديمه ، فقد حوت من الجمال ألواناً ، وشيدت للعز أزماناً ، فهي مقر خلافة الإسلام لسنوات عديدة ، ومركز انطلاق

(١) الشوقيات : ص ٤٤٦ .

للفتوحات الإسلام ، ولعل أرق الأبيات ما يقوله شوقي في وصف دمشق عندما زارها وتمتع  
بجمال طبيعتها حتى قال : ( بسيط )

أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَإِسْتَنْبَيْتُ جَنَّتَهُ      دِمَشْقُ رُوحٍ وَجَنَّاتٍ وَرِيحَانُ  
قَالَ الرِّفَاقُ وَقَدْ هَبَّتْ خَمَائِلُهَا      الْأَرْضُ دَارٌ لَهَا الْفِيحَاءُ بُسْتَانُ  
جَرَى وَصَفَّقَ يَلْقَانَا بِهَا بَرْدَى      كَمَا تَلْقَاكَ دُونَ الْخُلْدِ رَضْوَانُ  
دَخَلَتْهَا وَحَوَاشِيهَا زُمُرْدَةٌ      وَالشَّمْسُ فَوْقَ لَجَيْنِ الْمَاءِ عِقْيَانُ  
وَالْحَوْرُ فِي دُمَّرٍ أَوْ حَوْلِ هَامَتِهَا      حَوْرٌ كَوَاشِفٌ عَنِ سَاقِ وَوَلْدَانُ  
وَرَبْوَةُ الْوَادِ فِي جِلْبَابِ رَاقِصَةٍ      السَّاقُ كَاسِيَةٌ وَالنَّحْرُ عُريَانُ  
وَالطَّيْرُ تَصَدِّحُ مِنْ خَلْفِ الْعُيُونِ بِهَا      وَلِلْعُيُونِ كَمَا لِلطَّيْرِ الْحَانُ<sup>(١)</sup>

يصف شوقي دمشق وكأنه يصف قطعة من الجنان ، وما هذا الوصف إلا حب صادق في  
قلب شوقي لدمشق ، فقد وصفها بأجمل أوصاف وأعذب تعابير وأرق كلمات ، وحق له ذلك فهي  
عنوان للجمال لما فيها من سحر الطبيعة ونقاء الجو وطيبة أهل ، حيث تلك المدينة التي أرخت  
بفضائلها على جميع الأقطار الإسلامية ، فقد حضنت سنوات من الخلافة فوق ترابها ، وفي ذلك  
يقول شوقي : ( البسيط )

لَوْلَا دِمَشْقُ لَمَا كَانَتْ طَلِيظِلَةٌ      وَلَا زَهَتْ بِنَبِي الْعَبَّاسِ بَعْدَانُ<sup>(٢)</sup>

فهذه الأوصاف تركت الحنين يسيطر على شوقي ، فكانت الذكرى تزيد من حنينه لها كلما  
عنَّ له سماع ذكرها ، أو مناسبة تخصها ، ومما لا شك فيه أنَّ بلاد الشام كانت مكانتها عظيمة  
عند شوقي ، وهذا واضح من شعره الذي ذكرها في ديوانه مرات كثيرة .

أما بغداد فحصلت على مكانة عند شوقي ، حيث تغنى بها غناء المحب العاشق لهذه  
المدينة التي حازت حضارات عدة ، وحضنت أمجاد المسلمين في عصورهم الذهبية ، حيث  
التاريخ المجيد للأمة الإسلامية ، ومن الأبيات التي أنشأها شوقي متحدثاً فيها عن بغداد ،  
ومبيناً مكانتها ، ما ذكره في قصيدته ( نهج البردة ) حيث يقول : ( البسيط )

(١) الشوقيات : ص ٧٠١ .

(٢) السابق : ص ٧٠٠ .



دَعَّ عَنْكَ رُومًا وَأَثِينًا وَمَا حَوَّتَا      كُلُّ الْيَوَاقِيَتِ فِي بَغْدَادَ وَالْثُّومَ  
 دَارُ الشَّرَائِعِ رُومًا كَلَّمَا ذُكِرَتْ      دَارُ السَّلَامِ لَهَا أَلْقَتِ يَدَ السَّلْمِ  
 وَلَا اِحْتَوَتْ فِي طِرَازٍ مِنْ قِيَاصِ رِهَا      عَلَى رَشِيدٍ وَمَأْمُونٍ وَمُعْتَصِمِ  
 مَنْ الَّذِينَ إِذَا سَارَتْ كَتَائِبُهُمْ      تَصَرَّفُوا بِحُدُودِ الْأَرْضِ وَالْثُّخَمِ (١)

إنَّ مدينةَ بغدادَ تميّزت بصفاتٍ لم تتميّز بها أي مدينة أخرى ، فقد كانت مركزاً للحضارة على مر العصور ، سواءً أكانت الإسلامية أم الآشورية أم البابلية ، تلك المكانة التي جعلت شوقي يتباهى بهذه المدينة لاسيما إبان الفترة الإسلامية ، حيث كانت منارة العلم الذي أسس لهذا التطور الرهيب في واقعنا المعاصر .

أما حنينه لبلاد الغرب ، ففرنسا حازت على نصيب الأسد ، حيث تاريخ شوقي في تلك البلاد أثناء فترات تعليمه ، فلقد زار عدداً من معالمها وحجزت في قلبه مكاناً لتلك الجماليات ، حيث يقول مخاطباً فرنسا : (الرملة)

يَا فَرَنْسَا لَا عَدِمْنَا مِنْنَا      لَكَ عِنْدَ الْعِلْمِ وَالْفَنِّ جُسَامَا  
 أَطَفَ الْآلَهُ بِبَارِيسَ وَلَا      لَقِيَتِ إِلَّا نَعِيمًا وَسَلَامَا  
 رَوَّعَتْ قَلْبِي خُطُوبٌ رَوَّعَتْ      سَامِرَ الْأَحْيَاءِ فِيهَا وَالنِّيَامَا  
 أَنَا لَا أَدْعُو عَلَى سَيْنِ طَغَى      إِنَّ لِلْسَيْنِ وَإِنْ جَارَ ذِمَامَا (٢)

يعترف شوقي بعهود قطعها على نفسه تجاه معلم من معالم فرنسا ( نهر السين ) ، وحنين لتلك الأمكنة في فرنسا ، حيث الجمال الذي يسحر الألباب ، ومن ذلك الحنين لمدينة باريس ما كتبه شوقي في تذكره لأيام شبابه فيها ، فلقد كانت مصدراً للمرح والسرور ، ووحياً لربة الشعر عند شاعر يخطو نحو النجومية ، ومن ذلك قوله : ( كامل )

يَا مَكْتَبِي قَبْلَ الشَّبَابِ وَمَلْعَبِي      وَمَقِيلَ أَيَّامِ الشَّبَابِ النَّوَكِ  
 وَمَرَاخَ لَذَاتِي وَمَغْدَاها عَلَى      أَفُقِ كَجَنَّاتِ النَّعِيمِ ضَحُوكِ  
 وَسَمَاءَ وَحْيِ الشِّعْرِ مِنْ مُتَدَفِّقِ      سَلْسِ عَلَى نَوْلِ السَّمَاءِ مَحُوكِ

(١) الشوقيات : ص ٦٣٨-٦٤١

(٢) السابق : ص ٥٦٠ .

لَمَّا احْتَمَلْتُ لَكَ الصَّنِيعَةَ لَمْ أَجِدْ      غَيْرَ الْقَوَافِي مَا بِهِ أُجْزِيكَ  
إِنْ لَمْ يَقْوِكَ بِكُلِّ نَفْسٍ حُرَّةٍ      فَالْأَلَهُ جَلَّ جَلَّالُهُ وَأَقْبِيكَ<sup>(١)</sup>

فها هو يتحدث عن الأيام الجميلة التي قضاها في باريس ، حيث ارتبطت تلك اللحظات الجميلة بهذا المكان ، فترك ذلك أثراً كبيراً في قلب الشاعر لتلك المدينة الساحرة ، مما دفع نفس شوقي إلى الحنين لذلك المكان ، فأخذ يعدد مسيات الحنين لباريس ، حيث أجمل فترات الشباب التي قضاها بين ربوعها ، وهي الملهم لأجمل الأشعار لما لطبيعتها من تأثير واضح على كل من شاهد معالمها ، فلا يملك شوقي إلا القوافي ليوافي هذه المدينة حقها ويرد بعض الجميل لها، ويبرد نار الحنين بداخله تجاه مدينة الأضواء .

عاش شوقي خمس سنوات في الأندلس ، ذلك المكان الذي يبعث في كل نفس أحاسيس لا توصف ، لما له من سحر يجذب القلوب والأبصار إليه ، فكيف بشاعر رقيق الإحساس مرهف الفؤاد؟! يحن شوقي للأيام التي قضاها في الأندلس ، التي لم يتمتع بجمالها ؛ لأنه عانى من النفي ؛ لكنه يتذكر تلك الأيام التي تركت حنيناً في قلبه للأندلس وجمالها ، حيث يصف يوماً من تلك الأيام ، فيقول : ( الوافر )

ويوم من صبا آذار حلو      فقدناه وما بلغ الشبابا  
تصور من حلى النير وزوجها      وجمع من زخارفه إهابا  
فراق صاحبه صحو وزهوا      ولذ ضحاه حاشية وطابا  
تناثر في البطاح حلى وأوفى      على الآفاق فانتظم الهضابا  
وسألت شمسه في البحر تبراً      على مثل الزمرد حين ذابا  
كأن نسيمه نفس العذارى      طعمن الشهد أو ذقن الحبابا<sup>(٢)</sup>

إنَّ إعجاب شوقي ببلاد الأندلس أثر على تعبيره ، فترك الأشعار ترسم ألوان الجمال الحسي لذلك المكان ، فهو نابع من شوق وعشق لبلاد الأندلس ، هذا المكان الذي يحمل تاريخاً مميزاً عند كل مسلم ناهيك عن جمال الأندلس وسحر طبيعتها ، وما هذا الوصف الدقيق الجميل لبلاد الأندلس إلا تعبير عن حنين كامن داخل قلب شوقي للأندلس .

(١) الشوقيات : ص ٤٧٢ .

(٢) السابق : ص ١١٠ .

## المطلب السادس : الحنين إلى المحبوب :

يعتبر الحنين إلى المحبوب ترجمة للأحاسيس العاطفية تجاه الطرف الآخر ، وهذا أمر فطري في النفس ، وفيه يعبر الإنسان بما يشعر تجاه من يحب ، فالحنين إلى المحبوب هو : موقف شعوري صادق ، تغذيه التجربة بالألم ، وترفده برقة المشاعر ورهافتها ، فيفيض على لسان الشاعر قصائد ومقطوعات عذبة ، تتم عن شفافية الإحساس ، وزخم العواطف المتقدة في صدره ، ويقصد بالمحبوب هو الحبيبة أو المعشوقة التي تراءت في حنين الشاعر فأحس بفقدائها ، وانعكست ذكرياته معها على أشعاره" (١) .

يندرج غرض الحنين إلى المحبوب تحت غرض الغزل ، وشوقي طرق جميع أغراض الشعر العربي ، ومنها الغزل حيث جاء غزله على نوعين : " أحدهما يبدأ به القصيدة على عادة القدماء ، ويتخذ قنطرة للوصول إلى الغرض الأصلي منها ؛ كما كانوا يفعلون . والآخر لم يتخذ صلة ولا قنطرة ؛ وإنما قصد به الغزل نفسه ، وترجمة شعوره ووجدانه ، وتصوير ما يعتل في نفسه من عواطف مشبوبة ، وأحاسيس متقدة" (٢) ، ولعل أصدق الغزل ما يقال في ذاته ، وليس وسيلة للدخول في موضوع ما ، أو جرياً على عادة الأوائل .

ظهر حنين شوقي إلى المحبوب بشكل واضح في أشعاره الغزلية ، فعبر عن هذا الحنين تعبيراً صادقاً ، وترجمه بلغة توحى بالتأثير الكبير للحب والعشق في قلبه ، حيث يقول في ترحيبه لمحن أحب : (المتقارب)

|   |  |
|---|--|
| قَدَتِكَ الْجَوَانِحُ مِنْ نَازِلٍ      | وَأَهْلًا بِطَيْفِكَ مِنْ وَاصِلٍ        |
| بَدَلْتْ لَهُ الْجَفْنَ دُونَ الْكَرَى  | وَمَنْ بِالْكَرَى لِلشَّجِيِّ الْبَاذِلِ |
| وَقُلْتُ أَرَاكَ بِرُغْمِ الْعَذُولِ    | فَنَابَ السُّهَادُ عَنِ الْعَاذِلِ       |
| فَوَيْحَ الْمُتَمِّمِ حَتَّى الْخِيَالِ | إِذَا زَارَ لَمْ يَخُلْ مِنْ حَائِلِ     |
| يَحِنُّ إِلَيْكَ ضُلُوعٌ عَفَّتْ        | مَنْ الْبَيْنِ فِي جَسَدٍ نَاجِلِ        |

(١) الحنين في الشعر الزنكي والأيوبي : مي عمرو ، رسالة ماجستير ، جامعة الخليل ، ٢٠١١م ، ص ٦٧ .

(٢) المتنبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة : عباس حسن ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٥١م ، ص ٣٥٠ .

وَقَلْبٌ جَوِّ عِنْدَهَا خَافِقٌ      تَعَلَّقَ بِالسَّنْدِ الْمَائِلِ  
وَمِنْ عَبَثِ الْعِشْقِ بِالْعَاشِقِينَ      حَنِينُ الْقَتِيلِ إِلَى الْقَاتِلِ (١)

يصف شوقي في الأبيات السابقة شوقه وحنينه لمحبيه ، حيث الفداء للمحبيب الذي حل نازلاً وواصلأ له ، فلقد ركب الصعب وتحمل المشقات في حبه وعشقه له ، فالحنين أهلك ضلوعه ، وأضعف جسده ، فهو لا يقوى على البعد ولا يحتمل الهجر ، فلا يملك شوقي إلا الإفصاح عما يجول في صدره من حنين إلى من أحب ، فالضلع تحن لذلك المحبوب ، والقلب متعلق بها خافق كلما سمع سيرتها ، فالعشق ملأ كيانه وسيطر على وجدانه ، فيشبه تلاعب العشق بالعاشقين وسيطرته عليهم بحنين القاتيل لقاتله ، وفي هذا دلالة لشدة حنينه وشوقه إلى محبوه الذي حلّ بثنايا القلب .

ومن ذلك الحنين للمحبيب ما نظمه شوقي في العتاب ، فهو لا يطيق البعد عن محبوه ، حتى عندما يقرر البعد يحاربه القلب ، ويهجره الرقاد ، وتظلم الدنيا أمام ناظريه ، فالمحبيب نزل سويداء القلب ، حيث يقول شوقي واصفاً حنينه : (الوافر)

أرِيدُ سُلوُكُمْ وَالْقَلْبُ يَأبَى      وَأَعْتَبُكُمْ وَمِلءُ النَّفْسِ عُتْبَى  
وَأَهْجُرُكُمْ فَيَهْجُرُنِي رُقَادِي      وَيُضَوِّنِي الظَّلامُ أَسَىً وَكَرِيَا  
وَأَذْكُرُكُمْ بِرُؤْيَاةٍ كُلِّ حُسْنٍ      فَيَصْبُو نَاطِرِي وَالْقَلْبُ أَصْبَى  
وَأَشْكُو مِنْ عَذَابِي فِي هَوَاكُمُ      وَأَجْزِيكُمْ عَنِ التَّعْذِيبِ حُبَا  
وَأَعْلَمُ أَنَّ دَابُّكُمْ جَفَائِي      فَمَا بِالِي جَعَلْتُ الحُبَّ دَابَا  
وَرُبَّ مُعَاتَبٍ كَالعَيْشِ يُشْكِي      وَمِلءُ النَّفْسِ مِنْهُ هَوَىً وَعُتْبَى  
أَتَجْزِينِي عَنِ الرُّلْفَى نِفَاراً      عَتَبْتُكَ بِالهَوَى وَكَفَاكَ عَتْبَا  
فَكُلُّ مَلَاخَةٍ فِي النَّاسِ ذَنْبٌ      إِذَا عُدَّ النِّفَارُ عَلَيْكَ ذَنْبَا  
أَخَذْتُ هَوَاكَ عَنِ عَيْنِي وَقَلْبِي      فَعَيْنِي قَدْ دَعَتِ وَالْقَلْبُ لَبَّى  
وَأَنْتَ مِنَ المَحَاسِنِ فِي مِثَالِ      فَدَيْتُكَ قَالِباً فِيهِ وَقَلْبَا

(١) الشوقيات : ص ٥٣٧ .

أُحِبُّكَ حِينَ تَتَنَّى الْجِيَدَ تَيْهًا وَأَخْشَى أَنْ يَصِيرَ التَّيَهُ دَأْبًا<sup>(١)</sup>

لقد هام شوقي في محبوبه ، فرأى فيه كل الحسن ، فلا يستطيع هجره لأن الهجر معناه ضياع شوقي في بحور الحزن والأسى ورميه للمهالك والردى ، حيث القلب والعين والجسد متعلقان بهذا المحبوب الذي رسم للشاعر طريقاً محدداً لا يحيد عنه ، حتى عندما يريد ذلك المحبوب هجر الشاعر فلا يستطيع شوقي أن يبادل ذلك الفعل ؛ لأن الجمال والحسن ارتبط بالمحبوب فكلما رأى شوقي حسناً أو جمالاً يصيح قلبه هذا من ذاك الحبيب ، إنَّ شوقي لا يقدر إلا أن يعترف بسطوة هذا الحب عليه وشدة الحنين للمحبوب ، ومن ذلك قوله : ( الوافر )

أَخَذْتُ هَوَاكَ عَن عَيْنِي وَقَلْبِي فَعَيْنِي قَدْ دَعَتِ وَالْقَلْبُ لَبَّى  
وَأَنْتَ مِنَ الْمَحَاسِنِ فِي مِثَالٍ فَدَيْتُكَ قَالِبًا فِيهِ وَقَلْبًا  
أُحِبُّكَ حِينَ تَتَنَّى الْجِيَدَ تَيْهًا وَأَخْشَى أَنْ يَصِيرَ التَّيَهُ دَأْبًا<sup>(٢)</sup>

امتلاً قلب شوقي حنيناً إلى المحبوب ، وعبر عن هذا الحنين بتعابير بحسب الجو النفسي الذي عاشه ، فتارة يتحدث عن عدم تحمله للبعد عن أحب ، وتارة يخاطب الحبيب بما يشعر نحوه من أحاسيس ملكت فؤاده ، وأحياناً يفند مزاعم العوازل الذين يرمون لقطع تلك العلاقة، وتارة يتحدث عن آثار العشق على حياته ، فالحنين إلى المحبوب تنقل بين أشعار عدة شكلت إطاراً واضحاً لحنين شوقي للمحبوب .

ومن حنينه حديثه مع المحبوب عن العوازل الذين يريدون التفرقة بينهما ، فيلجأ لاسم يحمل تراثاً عربياً أصيلاً يخاطب به محبوبه ، ويصف له مدى الحب الذي يكنه لها ، وأنه لا يلتفت لقول الوشاة حيث يقول : ( الطويل )

لَقَدْ لَامَنِي يَا هِنْدُ فِي الْحُبِّ لِأَيْمٍ وَمُحِبٌّ إِذَا عُدَّ الصِّحَابُ حَبِيبُ  
فَمَا هُوَ بِالْوَأْشِيِّ عَلَى مَذْهَبِ الْهَوَى وَلَا هُوَ فِي شَرِّعِ الْوِدَادِ مُرِيبُ  
وَصَفْتُ لَهُ مَنْ أَنْتِ تَمَّ جَرَى لَنَا حَدِيثٌ يَهُمُّ الْعَاشِقِينَ عَجِيبُ

(١) الشوقيات : ص ١١٨ .

(٢) السابق : ص ١١٨ .

وَقُلْتُ لَهُ صَبِراً فَكُلُّ أَخِي هَوَى عَلَى يَدٍ مَن يَهْوَى غَدَاً سَيَتُوبُ<sup>(١)</sup>

فالحنين دفع شوقي إلى رفض قول الواشي الذي يهدف إلى إبعاده عن محبوبته ، وأخذ يدافع عن علاقة الحب والعشق ؛ لأن تلك العلاقة قائمة على التسامح الذي يعطي للمحبين بريقاً خاصاً يؤثر بالإيجاب على تلك العلاقة ، ويخاطب شوقي محبوبه بعدم السماع لكلام العواذل، الذين يسعون بكل جهدهم للتفريق بينهما، وينقلون له المقالات الكاذبة التي تفت في عضد تلك العلاقة ، حيث يقول شوقي ( مجزوء الكامل )

نَالَ الْعَوَاذِلُ جَهْدَهُمْ      وَسَمِعَتْ مِنْهُمْ فَوْقَ جَهْدِكَ  
نَقَلُوا إِلَيْكَ مَقَالَءَةً      مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لِعَبْدِكَ  
قَسَمًا بِمَا حَمَلْتَنِي      فَحَمَلْتُ مِنْ وَجْدِي وَصَدِّكَ  
مَا بِي السِّهَامُ الْكَثْرُ مِنْ      جَفْنَيْكَ لَكِنْ سَاهُمْ بُعْدِكَ<sup>(٢)</sup>

فلقد كان شوقي متعلقاً بهذا المحبوب حتى عندما يغيب عنه لحظات تشتاق نفسه ويحن لطيف ذلك الحبيب ، وها هو يخاطب طيب الهوى حيث يقول : ( الكامل )

يا طيف من أهوى جعلت لك الفدى      أكلامك ما عن ناظري يغيب  
عذر الحبيب هو الرقيب عدته      قل لي بعيشك هل عليك رقيب<sup>(٣)</sup>

من أصعب اللحظات على المحب وأشدّها حنيناً عندما يفصل الدهر بين محبوبين ، وقد يمتد ذلك الفراق لأوقات كثيرة مما يترك في القلوب لوعة وحنيناً ، والشعراء وحدهم هم الأقدر على التعبير بصدق العاطفة لمثل تلك المواقف ، فشوقي يعبر عن حالته هذه وقد أخذ منه الحنين كل مأخذ ورسم لوحة لذلك المحب شديد الوجد لحبيبه ، حيث المأساة التي تزيد ساعة بعد ساعة ، ويوماً بعد يوم ، وظواهر الكون ترخي بظلالها على هذه المعاناة ، حيث يصف ذلك الحنين فيقول : ( الطويل )

يَمُدُّ الدُّجَى فِي لَوْعَتِي وَيَزِيدُ      وَيُؤَدِّي بَنِّي فِي الْهَوَى وَيُعِيدُ

(١) الشوقيات : ص ١٤١ .

(٢) السابق : ص ٢٥٥ .

(٣) السابق : ص ١٥٠ .

إِذَا طَالَ وَاسْتَعَصَى فَمَا هِيَ لَيْلَةٌ  
أَرِقْتُ وَعَادَتْنِي لِذِكْرِي أَحَبَّتْنِي  
وَمَنْ يَحْمِلِ الْأَشْوَاقَ يَتَعَبُ وَيَخْتَلِفُ  
نَقِيتَ الَّذِي لَمْ يَلِقَ قَلْبٌ مِنَ الْهَوَى  
وَلَمْ أَخْلُ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْكَ وَرِقَّةٌ  
وَلَكِنْ لَيَالٍ مَا لَهْنٌ عَدِيدُ  
شُجُونٌ قِيَامٌ بِالضَّلُوعِ فَعُودُ  
عَلَيْهِ قَدِيمٌ فِي الْهَوَى وَجَدِيدُ  
لَكَ اللَّهُ يَا قَلْبِي أَنْتَ حَدِيدُ  
إِذَا حَلَّ غَيْدٌ أَوْ تَرَحَّلَ غَيْدُ<sup>(١)</sup>

تزداد معاناة العشاق المفارقين لمحبيهم كلما جن الدجى ، فيزيد من لوعتهم ومعاناتهم ، ومنذ القدم اعتبر الليل عنواناً لسيطرة الهموم على الإنسان الحزين ، وهذا ما حدث مع شوقي ، فلقد تعددت الليالي الحزينة وتوالت عليه فلا عدد لها ، اتسمت تلك الليالي بتخميم ذكرى الأحبة على الشاعر ، فحركت الشجون واضطربت وأقيدت نيران الحب في الحشا ، وانفجر الحنين لهؤلاء الأحبة ، حتى وصل الأمر بشوقي أن يتعجب من قلبه الذي استطاع أن يتحمل كل هذه الآلام ، فهو كالحديد ، فقلبه لاقى ألواناً من المآسى في رحلته في عالم العشق والهوى .

ومن آثار الحنين في شعر شوقي حديثه عن المحبوب ، وعدم تحمله للهجر والبعد ، فلا يستطيع أن يتحمل الحياة بدون محبوبه ، فيقر لها أنها وعده وميعاده في في هذه الدنيا ، فقد جمعها القدر ليكونا ضمن خيمة العشق والهوى ، وعليها ألا تلتفت لقول الحساد حيث يقول :

( البسيط )

يا حلوة الوعد ما نساك ميعادي  
كيف انخدعت بحسادي وما نقلوا  
طرفي وطرفك كأننا في الهوى سبباً  
تذكرني هل تلاقينا على ظمياً  
وأنت في مجلس الريحان لاهية  
عن الهوى أم كلام الشامت العادي  
أنت التي خلقت عينك حسادي  
عند اللقاء ولكن طرفك البادي  
وكيف بل الصدى ذو الغلة الصادي  
ما سرت من سامر إلا إلى نادي<sup>(٢)</sup>

يتذكر شوقي تلك الأيام التي جمعه بالمحبوب ، وكيف كان لقاؤهما التي رسمت أطرافه تلك اللواظ التي أشعلت نار الحب والعشق بينهما ، هذا الحب الذي جمع قلوبين تعلقا وأصبحا قلباً

(١) الشوقيات : ص ٢٤٤ .

(٢) السابق : ص ٢٦٣ .

واحداً جعل من الحساد يتهافتون للقطيعة بين المحبوبين ، ويعزو شوقي هذا التهافت لسحر عيون محبوبته ، التي جعلت نظرات الحسد تغزو هذه العلاقة ، فلقد جعل شوقي سبب هذه العلاقة تلك النظرات الساحرة بين العشاق والتي تجبر قلوب المحبين على ربط القلوب العاشقة ، حيث يصف ذلك في قصيدة أخرى ؛ فيقول : ( الخفيف )

إِنْ رَأَيْتِي تَمِيلُ عَنِّي كَأَنْ لَمْ  
تَكُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا أَشْيَاءُ  
نَظْرَةً قَابِتِ سَامَةٌ فَسَلَامٌ  
فَكَلَامٌ فَمَوْعِدٌ فَلِقَاءُ  
يَوْمَ كُنَّا وَلَا تَسَلْ كَيْفَ كُنَّا  
نَتَّهَادِي مِنَ الْهَوَى مَا نَشَاءُ  
وَعَلَيْنَا مِنَ الْعَفَافِ رَقِيبٌ  
تَعَبَت فِي مِرَاسِهِ الْأَهْوَاءُ  
جَادَبْتَنِي ثَوْبِي الْعَصِيَّ وَقَالَتْ  
أَنْتُمْ النَّاسُ أَيُّهَا الشُّعْرَاءُ<sup>(١)</sup>

يغمر الشوق والحنين شوقي عندما يعود بذاكرته إلى أيامه الخوالي ، فصورة تلك الأيام لا تفارق خياله ، ولا يستطيع نسيانها ، فالمحبة قد ملكت قلب الشاعر وسيطرت على ماضيه وحاضره ومستقبله ، حيث يقول واصفاً حالته : ( الطويل )

صَا الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ حُمَارِ أَمَانِي  
حَنَانِيكَ قَلْبِي هَلْ أَعِيدُ لَكَ الصَّبَا  
وَهَلْ لِفَتَى بِالْمُسْتَحِيلِ يَدَانِ  
تَحُنُّ إِلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطَيْبِهِ  
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مِنْ دَمٍ وَحَنَانِ  
إِذَا لَمْ تَصُنْ عَهْدًا وَلَمْ تَرَ عِذْمَةً  
وَلَمْ تَذَكِّرْ إِلَّا فَا قَلَسْتَ جَنَانِي  
أَتَذَكَّرُ إِذْ نُعْطِي الصَّبَابَةَ حَقَّهَا  
وَتَشْرَبُ مِنْ صِرْفِ الْهَوَى بِدِنَانِ<sup>(٢)</sup>

ففي الأبيات السابقة يعلن شوقي فيها عن حنينه الشديد إلى المحبوب ، وجسد هذا الحنين في تمنى الشاعر عودة ذاك الزمان الذي ارتبط بسطوة المحبوبة على قلب الشاعر ، فقلبه امتلأ حناناً لمن أحبهم وسكنوا حشاشة الفؤاد ، ثم يذكر أوصاف تلك الأيام التي ارتبطت بالعشق والهوى ، حيث يقول : ( الطويل )

وَأَنْتَ خَفُوقٌ وَالْحَبِيبُ مُبَاعِدٌ  
وَأَيَّامٌ لَا أَلُو رِهَانًا مَعَ الْهَوَى  
وَأَنْتَ خَفُوقٌ وَالْحَبِيبُ مُبَاعِدٌ  
وَأَيَّامٌ لَا أَلُو رِهَانًا مَعَ الْهَوَى

(١) الشوقيات : ص ٥٥ .

(٢) السابق : ص ٧١٣ .



لَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو مِنْ خُفُوقِكَ دَائِباً      فَوَلَّى فَيَا لَهْفِي عَلَى الْخَفْقَانِ  
سَقَاكَ التَّصَابِي بَعْدَ مَا عَلَّكَ الصِّبَا      فَكَيْفَ تَرَى الْكَاسَيْنِ تَخْتَلِفَانِ (١)

ومن حنين شوقي إلى المحبوب عندما يذكر من أوصاف المحبوب الذي شكل له حياة كاملة امتلأت تلك الحياة حباً وعشفاً ، ومن تلك الأوصاف التي ذكرها شوقي في معرض حديثه عن العشق والحنين إلى المحبوب قوله : ( الطويل )

حَبِّبْتُكَ ذَاتَ الْخَالِ وَالْحُبُّ حَالَةٌ      إِذَا عَرَضَتْ لِلْمَرِّ لَمْ يَدْرِ مَا هِيََا  
وَأَنْتَ دُنْيَا الْقَلْبِ مَهْمَا عَدَرْتَهُ      أَتَى لَكَ مَمْلُوءٌ مِنَ الْوَجْدِ وَفِيهَا  
صُدُودُكَ فِيهِ لَيْسَ يَأْلُوهُ جَارِحاً      وَنَفْظُكَ لَا يَنْفَكُ لِلْجُرْحِ آسِيَا  
وَبَيْنَ الْهَوَى وَالْعَدْلِ لِلْقَلْبِ مَوْقِفٌ      كَخَالِكَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّارِ ثَاوِيَا (٢)

يصور شوقي الحالة التي سيطرت عليه بسبب الحنين الجارف للمحبوب ، وقد أغار الحنين على قلبه حتى أشفق شوقي على قلبه من آثار الشوق والحنين ، فيصف ذلك المشهد قائلاً :

( الكامل )

مَنْ صَوَّرَ السِّحْرَ الْمُبِينَ عُيُوناً      وَأَحْلَاهُ حَادِقاً وَجُفُونَا  
نَظَرْتُ فَحُلْتُ بِجَانِبِي فَاسْتَهْدَقْتُ      كَبِدِي وَكَانَ فُودِي الْمَغْبُونَا  
وَرَمَتْ بِسَهْمِ جَالٍ فِيهِ جَوْلَةٌ      حَتَّى اسْتَقَرَّ فَرْنٌ فِيهِ رَنِينَا  
فَلَمَسْتُ صَدْرِي مَوْجِئاً وَمُرَوَّعاً      وَلَمَسْتُ جَنْبِي مُشْفِقاً وَضَانِينَا  
يَا قَلْبُ إِنَّ مِنْ الْبَوَاتِرِ أَعْيُنَا      سَوْدَاً وَإِنَّ مِنْ الْجَادِرِ عَيْنَا (٣)

(١) الشوقيات : ص ٧١٤ .

(٢) السابق : ص ٧٧٣ .

(٣) السابق : ص ٦٩٤ .

## **الفصل الثالث**

### **الدراسة الفنية :**

**المبحث الأول : الأسلوب .**

**المبحث الثاني : الصورة الشعرية .**

**المبحث الثالث : الموسيقى .**

## الفصل الثالث الدراسة الفنية

### المبحث الأول : الأسلوب :

يعرف الأسلوب لغةً : بأنه السَّطْرُ من النخيل ، وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ فهو أسلوبٌ والأسلوبُ الطريق والوجهُ والمذهبُ ويُجمَعُ أساليبٌ (١) .

أما اصطلاحاً فتعددت التعريفات بحسب نظرة من تحدث عن الأسلوب ، ولعل شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني يعطي تعريفاً مختصراً شمل فيه كل النواحي الخاصة بهذا المصطلح فيقول : " والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه " (٢) ، أما ابن خلدون فيذكر كلاماً جميلاً في تعريفه لمدلول لفظة الأسلوب ، فيقول : " هو عبارة عن المنوال الذي تتسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه ، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ، ولا باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التراكيب، الذي هو وظيفة البلاغة والبيان؛ ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض. فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية؛ وإنما ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص. وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان؛ فيرصها فيه رصاً، كما يفعلها البناء في القالب أو النساج في المنوال، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام " (٣) .

فالأسلوب : " طريقة الكتابة ، أو طريقة الإنشاء ، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير ، أو الضرب من النظم والطريقة فيه " (٤) .

(١) لسان العرب لابن منظور : مادة ( سلب ) ١ / ٤٧٣ .

(٢) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، قراءة و تعليق : محمود شاكر ، مكتبة مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢ م ، ص ٤٦٨-٤٦٩ .

(٣) تاريخ ابن خلدون : ابن خلدون ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٨ م ، ص١ / ٧٨٦ .

(٤) الأسلوب : أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٧٦ م ، ص ٤٤ .

ويذكر أحمد أمين " بأن الأسلوب ما هو إلا صفة من صفات الشخصية ، فهو عبارة عن اختيار الكلمات وانسجام العبارات وترتيب الجمل في قالب موسيقي خاص ، فكل ذلك خاص بالكاتب أو الشاعر ، فالأسلوب كل لا يتجزأ " (١) .

" فالأسلوب الأدبي ينحل إلى عناصر ثلاث : الأفكار والصور والعبارات ، وكذلك يكون الاختيار الذي يتناول الأفكار والصور والعبارات عملاً أسلوبياً ، هو طريقة الصياغة التي تتصرف في تلك العناصر بما تراه أليق بموضوع الكلام " (٢) .

إنّ الأسلوب هو المنهج الذي يسير عليه الشاعر أو الكاتب ، ويتكون ذلك المنهج من خلال طريقة الشاعر في كتابته للشعر ، بحيث يتسم بهذا المنهج ويعرف به ، وهذا ما يلامس عند قراءة شعر أحمد شوقي ، فإنك تحس بأسلوبه الخاص بين ثنايا العبارات والألفاظ والتراكيب والصور والفكرة التي يحملها .

لقد تجلت سمات أسلوب شوقي عند حديثه عن غربته وحنينه ، فاتسمت تلك الأشعار بصدق العاطفة ، وقوة الألفاظ وجزالتها ، ودقة تصميم التراكيب المتناغمة والجو النفسي الذي يعيشه الشاعر ، فقد ركب شوقي السهل الممتنع لإيصال عواطفه وصبها في قالب شعر رائع وموسيقا موافقة لحديث الشاعر عن شعوره بالغيرة وحنينه إلى الوطن وإلى الأهل والأصدقاء والذكريات الجميلة ، والأمكنة التي شكلت عنصراً للسعادة في حله وترحاله ، والحنين الديني والحنين إلى المحبوب .

جاءت ألفاظ الغربة والحنين عند شوقي لتسهم في إبراز أحاسيسه وتوضح ما يعانيه من ضغط نفسي هائل ، فشعر الغربة والحنين عبارة عن تفريغ انفعالي للمأساة التي يعيشها الشاعر ، وذلك أثر على ألفاظ شوقي فجاءت واضحة جلية لتخدم الغرض التي جيئت من أجله ، وانقسمت ألفاظ الغربة والحنين عند شوقي لقسمين ، حيث استخدم ألفاظ الغربة مباشرة عند الحديث عن الغربة ، حيث يقول : ( الطويل )

أَبْتُكَ وَجَدِي يَا حَمَامٌ وَأودِعُ  
فَأَنْتَكَ دُونَ الطَّيْرِ لِلْسِرِّ مَوْضِعُ  
وَأَنْتَ مُعِينُ العَاشِقِينَ عَلَى الهَوَى  
تَأْنُنُ فَنُصْغِي أَوْ تَحْنُنُ فَنَسْمَعُ  
أَرَاكَ يَمَانِيّاً وَمِصرُ حَمِيْلَتِي  
كِلَانَا غَرِيبٌ نَازِحُ الدَارِ مَوْجَعُ  
هُمَا إِثْنَانِ دَانٍ فِي التَّغْرِبِ آمِنٌ  
وَنَاءٍ عَلَى قُرْبِ الدِيَارِ مُرَوِّعُ<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر : في النقد الأدبي ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط٤ ، ١٩٦٧م ، ١/١٣٠ .

(٢) الأسلوب : أحمد الشايب ، ص ٥٢ .

(٣) الشوقيات : ص ٤١٣ .

فلقد استخدم شوقي عدداً من الألفاظ الدالة على الغربة صراحة ، وظهر ذلك عندما خاطب الحمام ، حيث استخدم كلمة غريب ، والتغرب ، وكلاهما من مادة غرب .

ومن تلك الألفاظ ما صرح به في مطلع قصيدته والتي بعنوان ( أندلسية ) والتي بث فيها آهات غربته وشدة حنينه لمصر حيث يقول : ( البسيط )

يا نايحَ الطَّلحِ أشباهَ عَوادِينا      نَشجى لَوادِيكَ أمْ نَأسى لَوادِينا  
مَذا تَقْصُ عَلِينا غَيْرَ أَنْ يَدَا      قَصَّتْ جَناحَكَ جالَتْ في حَواشِينا  
رَمى بِنِ البَينِ أَيْكاً غَيْرَ سامِرِنا      أَخا الغَربِ وَظِلًّا غَيْرَ نادِينا  
كُلُّ رَمْتِهِ النُّوى ريشَ الفِراقِ لَنا      سَهَمًا وَسُلَّ عَلِيكَ البَينِ سِكينِنا<sup>(١)</sup>

ومن ألفاظ الغربة كذلك قوله : ( الوافر )

مُعَرَّبُ آدمٍ مَن دارِ عَـدِنِ      قَضاها في حِمّاكِ لِي إغْتِرابِ<sup>(٢)</sup>

حيث صرح بألفاظ الغربة ، مثل : (مُعَرَّبُ ، اغترابا ) وكان ذلك عند وداعه لبلاد الأندلس متجهاً لوطنه مصر .

ومن الألفاظ التي تحمل معاني الغربة والتشرد ما ذكره شوقي من معاناة عايشها في الأندلس ، تمثلت تلك المعاناة في منعه من التوجه لوطنه وشعوره بالنزوح القسري عن الوطن ، حيث استخدم كلمة نازح للدلالة على عظم المعاناة فيقول : ( البسيط )

أَها لَنا نازِحِي أَيْكِ بِأَندَلُسِ      وَإِنْ حَلَلْنا رَفيقاً مِـن رَوابِينا  
رَسمٌ وَقَفْنا عَلى رَسمِ الوِفاءِ لَه      نَجيشُ بِالدَمعِ والإِجالِ يَتَينِنا<sup>(٣)</sup>

ومن تلك الألفاظ التي تحمل معنى الغربة ما ذكره في البيتين السابقين ( آها - نازحي - نجيش - الدمع ) فالكلمات السابقة تدل على الحزن الشديد لفراق الوطن والتغرب عنه .

(١) الشوقيات : ص ٦٨٠ .

(٢) السابق : ص ١٠٥ .

(٣) السابق : ص ٦٨١ .

ومن الألفاظ الدالة على الغربة كلمات البعد والغياب وذلك قد جمع في قصيدة واحدة تحدث فيها شوقي عن غربته عن بلاد النيل وشوقه لشربة واحدة منه ، حيث يقول : ( البسيط )

يا ساكني مصر إنا لا نزالُ على      عَهْدِ الوفاءِ وإنْ غَبِنا مُقِيمينَا  
هَلَّا بَعَثْتُمْ لنا من ماءِ نَهْرِكُمْ      شيئاً نَبُلُّ به أَحشاءَ صادينَا  
كُلُّ المَناهِلِ بَعْدَ النِّيلِ آسِنَةٌ      ما أَبْعَدَ النِّيلِ إلاَّ عَن أمانينَا (١)

إن الألفاظ الدالة على الغربة كثيرة في شعر شوقي ، وقد تعددت بحسب الموضوع المتحدث عنه في القصائد المختلفة التي نظمت لغرضها المحدد ، فاستخدامه لكلمة النفي جاء تعبيراً عن رفضه المطلق للغربة ، حيث يقول : ( الكامل )

لَولا عَوادي النَّفيِ أو عَقَبائُهُ      وَالنَّفِيِ حالٌ مِنْ عَذابِ جَهَنَّمَ (٢)

ومن تلك الألفاظ التي توحى بالحنن نتيجة آلام الغربة ، والتي تركت القلب يبكي ألماً وحرزاً ما ذكره شوقي في قصيدة عبر فيها عن شعوره بالاغتراب حيث يقول : ( الكامل )

قَلْبٌ يَذوبُ وَمَدَمَعٌ يَجري      يا لَيْلُ هَلْ خَبَرٌ عَنِ الفَجْرِ  
حالَت نُجومُكَ دونَ مَطَلَعِهِ      لا تَبْتَغِي حِوْلاً ولا يَسْري  
وَتَطاولَت جُنْحاً فَخَيَّلَ لي      أنَّ الصَّباحَ رَهينَةً الحَشرِ (٣)

فجاءت الألفاظ ( يذوب ، مدمع ) لتوحى بمدى الحزن المسيطر على شوقي ، وفي بعض القصائد جمعت ألفاظ الغربة ومدلولاتها لتزيد من وضوح مؤثرات الغربة عنده ، ومن ذلك قوله : ( الطويل )

وَمُضْطَرِبٍ لا يَهْدأُ إلاَّ بِكَ تَحْتَهُ      لَهُ مِثْلُ ما بي أَنَّةٌ وَزفيرُ  
بَرى البينِ ظُفْرِيه وأَذهب ريشه      وهَدَّ جناحيه فكيف يطيرُ  
يكاد يلين الجذع من زفراته      وييسب منها الفرع وهو نضيرُ  
كلانا غريب في المضاجع ليله      طويل وليل العالمين قصيرُ  
أقول له والعُدر بيني وبينه      ومن مدمعينا جدول وغديرُ (٤)

(١) الشوقيات : ص ٦٨٨ .

(٢) السابق : ص ٦٠٥ .

(٣) السابق : ص ٥٧٥ .

(٤) السابق : ص ٣٢٧ .

فلقد صرح بلفظ مباشر عن الغربة والاعتراب بلفظ ( غريب ) حيث وصف نفسه بالغريب ، وعدد من دلالات الغربة وآثارها بألفاظ عديدة ، مثل : ( مضطرب ، أنة ، زفير ، البين ، الغدر ، مدمع ) .

أما ألفاظ الحنين المباشرة ومرادفاتها فلم تقل عن ألفاظ الغربة ، فكلاهما مكملان لبعضهما ، حيث جاءت ألفاظ الحنين متناثرة في القصائد التي عبر شوقي فيها عن حنينه ، ومثال ذلك قوله في شوقه لمن أحبه ( البسيط )

نَابَ الْحَنِينُ إِلَيْكُمْ فِي حَوَاطِرِنَا      عَنِ الدَّلَالِ عَلَيْكُمْ فِي أَمَانِينَا<sup>(١)</sup>

ففي البيت السابق ورد لفظ الحنين بصورة مباشرة ، معبراً عن تلك العاطفة الجياشة في قلب الشاعر ، فالحنين للأهل والأحباب قد غاص في سويداء القلب ، وكلمة الحنين ساعدت في رسم المعنى الدقيق لما يريده الشاعر ، ومن الألفاظ المباشرة لغرض الحنين ما جاء في تغنيه بالمحبيب ، حيث يقول : ( المتقارب )

يَحْنُ إِلَيْكَ ضُلُوعٌ عَفَّت      مِّنَ الْبَيْنِ فِي جَسَدٍ نَاجِلٍ  
وَقَلْبٍ جَوٍّ عِنْدَهَا خَافِقٌ      تَعَلَّقَ بِالسِّنْدِ الْمَائِلِ  
وَمِنْ عَبَثِ الْعِشْقِ بِالْعَاشِقِينَ      حَنِينُ الْقَتِيلِ إِلَى الْقَاتِلِ<sup>(٢)</sup>

لقد جاءت كلمتان مباشرتان للفظ الحنين ومن نفس مادة ( حنن ) لتزيد من المعنى ، وتوضح الفكرة ، فجاءت لفظة ( يحن ) ولفظة ( حنين ) ، ومن الألفاظ غير المباشرة الواردة في الأبيات السابقة : ( خافق ، العشق ) حيث ساعدت في تقوية المعنى .

إن الألفاظ الدالة على الحنين كثيرة في معجم شوقي ، فمنها اللفظ المباشر ، ومنها غير المباشر ، وتجد ذلك في معظم قصائده وقد جمعاً سويةً ، ومثال ذلك قوله في حنينه إلى المحبوب : ( الطويل )

حَنَائِكَ قَلْبِي هَلْ أَعِيدُ لَكَ الصِّبَا      وَهَلْ لِلْفَتَى بِالْمُسْتَحِيلِ يَدَانِ

(١) الشوقيات : ص ٦٨٢ .

(٢) السابق : ص ٥٣٧ .

تَحُنُّ إِلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطَيْبِهِ      وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مِنْ دَمٍ وَحَنَانِ  
 إِذَا لَمْ تَصُنْ عَهْدًا وَلَمْ تَرَ دِمَّةً      وَلَمْ تَذْكُرْ إِلَّا قَلَسْتَ جَنَانِي  
 أَتَذْكُرُ إِذْ نُعْطِيَ الصَّبَابَةَ حَقَّهَا      وَنَشْرَبُ مِنْ صِرْفِ الْهَوَى بِدِنَانِ<sup>(١)</sup>

فمن ألفاظ الحنين المباشرة الواردة في الأبيات السابقة كلمة (تحن) وكلمة (حنانك) وكلمة (حنان) ، ومن الألفاظ غير المباشرة الدالة على الحنين كلمة (تذكر) و (الصبابة) .

فالأمثلة كثيرة على ألفاظ الحنين عند شوقي ، تعددت تلك الألفاظ عند حديثه عن الحنين إلى الوطن ، ومثال ذلك : ( البسيط )

يَا مَنْ هَجَرْتُ إِلَى الْأُوطَانِ رُؤْيَيْهَا      فَرَحْتُ أَشَوْقَ مُشْتَاقٍ لِأُوطَانِ  
 أَتَذْكُرِينَ حَنِينِي فِي الزَّمَانِ لَهَا      وَسَكْبِي الدَّمْعَ مِنْ تَذْكَارِهَا قَانِي<sup>(٢)</sup>

حيث جاءت كلمة الحنين صريحة في البيت الثاني ، وجاءت بعض الكلمات تحمل معنى الحنين ، مثل : ( أشوق ، مشتاق ، أتذكرين ، تذكراها ) . ومن الألفاظ الواردة في حنين شوقي لأهله ما يذكره في حنينه لأمه حيث يقول : ( البسيط )

كَنَزْتُ بِحُلُوانٍ عِنْدَ اللَّهِ نَطْلُبُهُ      خَيْرَ الْوَدَائِعِ مِنْ خَيْرِ الْمُؤَدِّينَا  
 لَوْ غَابَ كُلُّ عَزِيزٍ عَنْهُ غَيْبَتَنَا      لَمْ يَأْتِهِ الشَّوْقُ إِلَّا مِنْ نَوَاحِينَا  
 إِذَا حَمَلْنَا لِمِصْرٍ أَوْ لَهُ شَجَنًا      لَمْ نَدْرِ أَيُّ هَوَى الْأُمِّينِ شَاجِينَا<sup>(٣)</sup>

فالكلمات ( عزيز ، الشوق ، شجن ، هوى ، شاجينا ) دلت على حنينه لأمه ، وعبرت كذلك عن حنينه لوطنه مصر . ومن تلك الألفاظ الدالة على الحنين ما أنشده وهو على ظهر السفينة عندما رأى طفلة تشبه ابنته أمينة ، فقال : ( رمل مجزوء )

أَنْتِ فِي الْفُلِّ كِ بِهَاءٍ      وَهَوَ فِي حُلُوانٍ زِينَاهُ  
 نَاجِيهِ وَإِذْ كُرَّ لَهُ وَجْهُ      دَ أَبِيهِ وَحَنِينِي<sup>(٤)</sup>

(١) الشوقيات : ص ٧١٣ .

(٢) السابق : ص ٧٠٤ .

(٣) السابق : ص ٦٨٣-٦٨٤ .

(٤) السابق : ص ٦٦٥ .



فقد استخدم لفظ الحنين صراحة في قوله ( حنينه ) ، ولفظ ( الوجد ) للدلالة على شدة شوقه لابنته أمينة .

أما الألفاظ الدالة على الحنين إلى الذكريات الماضية فقوله في حنين شوقي لأجمل لحظات العمر في مرحلة الشباب : (الطويل)

أقول لقلبي والهوى يزحم الهوى      حوالي الصبا والوجد بالوجد يلتقي  
إذا أنت لم تعط الشبية حقها      ندمت على ما فات بعد التفرق  
وإنك حي ما خفقت مؤمل      وإن حياتي في حياتك فاخفق<sup>(١)</sup>

حيث جاءت كلمات تساعد في إظهار حنينه ، مثل : ( الوجد ، الهوى ، التفرق ) ، أما ألفاظه في حنينه إلى المحبوب فكثيرة ومثالها قوله : (الطويل)

يَمُدُّ الدُّجَى فِي لَوْعَتِي وَيَزِيدُ      وَيُيَدِّئُ بَثِّي فِي الْهَوَى وَيُعِيدُ  
إِذَا طَالَ وَاسْتَعَصَى فَمَا هِيَ لَيْلَةٌ      وَلَكِنْ لَيْالٍ مَا لَهْنٌ عَدِيدُ  
أَرَقْتُ وَعَادَتْنِي لِذِكْرِي أَحْبَبْتِي      شُجُونٌ قِيَامٌ بِالضُّلُوعِ فُعُودُ  
وَمَنْ يَحْمِلِ الْأَشْوَاقَ يَتَعَبُ وَيَخْتَلِفُ      عَلَيْهِ قَدِيمٌ فِي الْهَوَى وَجَدِيدُ  
لَقَيْتَ الَّذِي لَمْ يَلِقَ قَلْبٌ مِنَ الْهَوَى      لَكَ اللَّهُ يَا قَلْبِي أَنْتَ حَدِيدُ  
وَلَمْ أَخْلُ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْكَ وَرِقَّةٌ      إِذَا حَلَّ غَيْدٌ أَوْ تَرَحَّلَ غَيْدُ<sup>(٢)</sup>

حيث جاءت ألفاظ عديدة أسهمت في رسم حدود ذلك الحنين ، فقد ورد كلمات أخذت على عاتقها إظهار الحنين ، منها : ( لوعتي ، أرقنت ، ذكري ، شجون ، الأشواق ، الهوى ، وجد ) .

أسهمت ألفاظ الغربة والحنين السابقة في إبراز تلك العاطفة الإنسانية الجياشة ، فكانت ألفاظها المباشرة أو غير المباشرة وسيلة للتعبير عن صدق التجربة الشعورية عند شوقي .

(١) الشوقيات : ص ٤٥٩ .

(٢) السابق : ص ٢٤٤ .

## التناص :

تعريفه لغة : " النَّصُّ رَفْعُكَ الشَّيْءِ نَصًّا الْحَدِيثُ يَنْصُهُ نَصًّا رَفَعَهُ وَكُلُّ مَا أُظْهِرَ فَقَدْ نُصَّ ، قال الأزهري النصُّ أصله منتهى الأشياء ومبْلَغُ أَفْصَاهَا وَمِنْهُ قِيلَ نَصَّصْتُ الرَّجُلَ إِذَا اسْتَقْصَيْتَ مَسْأَلَتَهُ عَنِ الشَّيْءِ حَتَّى تَسْتَخْرِجَ كُلَّ مَا عِنْدَهُ " (١) .

أما اصطلاحاً فهو عند (جوليا كريستيفا) أول من جاء بهذا المصطلح : " كل نص يتشكل من تركيبية سيفسائية من الاقتباسات ، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى " (٢) وترى كذلك أنّ التناص " قانون جوهري : إذ هي نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص ، وفي الوقت نفسه هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصياً ويمكن التعبير عن ذلك بأنه ترابطات متناظرة ذات طابع خطابي " (٣)

" التناص من أبرز بنيات الشعر الحدائي ، ومن أدق خصائص بنيته التركيبية والدلالية ، حيث يمثل التناص استحضر نصوص غائبة سابقة في النص الحاضر لوظيفة معنوية أو فنية أو أسلوبية. " (٤) ، وهناك من النقاد من حاول أن يوالف بين العديد من التعريفات لمصطلح التناص، لما صاحب هذا المصطلح تسميات عديدة بسبب أصله الغربي ، فالناقد محمد مفتاح يعرفه بأنه: " تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة " (٥) فالتناص عنده : " ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتلقين ، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي ، وسعة معرفته وقدرته على الترجيح " (٦) ، وما صرح به محمد مفتاح يصيب كبد الحقيقة ، فلا يمكن للناقد التعرف على التناص داخل نص ما إلا إذا كانت ثقافته واسعة ، عند ذلك يستطيع معرفة التحولات داخل النص الأدبي .

(١) لسان العرب : ابن منظور ، مادة ( نصص ) ، ٩٧/٧-٩٨ .

(٢) الخطيئة والتكفير - من البنيوية إلى التشريحية - قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر: عبد الله الغدامي ، النادي الثقافي الأدبي - جدة ، ١٩٨٥م ، ط ١ ، ص ١٣ .

(٣) علم النص : جوليا كريستيفا ، تر/ فريد الزاهي ، مراجعة / عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر، المغرب، ط ١ ، ١٩٩١م ، ص ٧٩ .

(٤) التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر : حسن البنداري ، عبد الجليل صرصور ، عجلة ثابت ، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ، ٢٠٠٩ ، المجلد ١١ ، العدد ٢ ، ص ٢٤١ .

(٥) تحليل الخطاب الشعري : محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ٣ ، ١٩٩٢م ، ص ١٢١ .

(٦) السابق ، ١٣١ .

فالتناص على اختلاف مسمياته سواء التداخل النصي أو التعالقية النصية أو النص الغائب هو وجود علاقة بين نصين أحدهما سابق والآخر لاحق ، وهذه العلاقة قد تكون على صعيد الشكل أو المضمون أو كليهما معاً ، متكئةً على نماذج متعددة نحو : الاقتباس أو التضمين أو الإيماء أو الإشارة<sup>(١)</sup> . وذلك باعتماده على الجذور التاريخية للتناص في الأدب العربي . وهذا حاضر وبقوة عند شوقي ؛ لأنَّ شوقي من رواد مدرسة الإحياء والبعث التي استقت منهجها وأسلوبها من التراث العربي وأخذت تبث الحياة من جديد في الشعر العربي ، لذلك نجد شوقي سائراً على النهج القديم مجدداً ما أمكن له ذلك .

أما أمثلة التناص عند شوقي في أشعار الغربة والحنين ، فجاءت واضحة منتشرة في أكثر من قصيدة ، وذلك يرجع لثقافته الواسعة وإطلاعه على ثقافات عديدة ، ومن تلك الأمثلة المقسمة وفق أنواع التناص كالاتي :

**التناص الديني :**

ويقصد به تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الكتب السماوية الأخرى مع النص الأصلي للقصيدة بحيث تتسجم هذه النصوص مع السياق الشعري ، وتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً أو كليهما معاً<sup>(٢)</sup> . ويندرج تحت ذلك استخدام الألفاظ القرآنية وتوظيفها في نصوصه والأحاديث النبوية الشريفة ، ومثال ذلك قوله:

( الكامل )

|  |   |
|--|---|
| بِنْتَ الْبِقَاعِ وَأُمَّ بَرْدُونِيَّهَا      | طَيْبِي كَجَلْقٍ وَإِسْكُبِي بَرْدَاكِ                |
| وَدِمَشْقُ جَنَاتِ النَّعِيمِ وَإِنَّمَا       | أَلْفَيْتُ سُدَّةَ عَدْنِهِنَّ زُبَاكِ                |
| قَسَمًا لَوْ إِنَّمَتِ الْجَدَاوِلُ وَالرِّبَا | لَنَهَلَّ الْفِرْدَوْسُ ثُمَّ نَمَّاكِ <sup>(٣)</sup> |

ينتاص شوقي في هذه الأبيات مع قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ " <sup>(٤)</sup> حيث استخدم تركيب القرآن الكريم ( جنات النعيم ) في معرض حديثه عن جمال مدينة زحلة اللبنانية ، ولم يقف عند

(١) ينظر : ظاهرة التناص في الشوقيات ، مهدي عباس زكي ، رسالة ماجستير ، الجامعة العراقية - بغداد ، ٢٠١١ ، ص ١١٧ .

(٢) ينظر : التناص : مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية ، د. أحمد الزعبي ، مكتبة الكتاني ، الأردن ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ص ١١ . ظاهرة التناص في الشوقيات : مهدي عباس زكي ، ص ٥٣ .

(٣) الشوقيات : ص ٤٦٧ .

(٤) سورة يونس : آية ٩ .

ذلك الحد بل وظف ألفاظ القرآن الكريم مثل : ( عدن ، الفردوس ) ، لقد استخدم شوقي ذلك التركيب في أبيات عديدة ، منها قوله في حنينه لباريس : ( الطويل )

وَمَرَّاحَ لَذَاتِي وَمَعْدَاهَا عَلَى      أَفُقِ كَجَنَّاتِ النَّعِيمِ ضَحُوكِ  
وَسَمَاءَ وَحْيِ الشَّعْرِ مِنْ مُتَدَفِّقِ      سَلْسِ عَلَى نَوْلِ السَّمَاءِ مَحُوكِ<sup>(١)</sup>

ومنها قوله في رثائه لأمه وهو في المنفى ، وحنينه لأمه حيث يقول : ( الطويل )

نَزَلْتُ رُبِّي الدُّنْيَا وَجَنَّاتِ عَدْنِهَا      فَمَا وَجَدْتِ نَفْسِي لِأَنْهَارِهَا طَعْمَا<sup>(٢)</sup>

وعند حديثه عن المنفى وبعده عن وطنه يستدعي شوقي قصة آدم ( عليه الصلاة والسلام )

عندما أخرج من جنة الخلد ، حيث يقول : ( الوافر )

مُعَرَّبُ آدَمَ مِنْ دَارِ عَدْنِ      قَضَاهَا فِي حِمَاكِ لِي إِغْتِرَابَا<sup>(٣)</sup>

لقد ظهر التناسل الديني عند شوقي باستدعائه قصة آدم ( عليه السلام ) مع إبليس ( لعنه الله )

وذلك في قوله تعالى : " فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ

لَا يَبْلَى<sup>(٤)</sup> فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ هُمَا سَوْءَ تُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى

ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى<sup>(٥)</sup> ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى<sup>(٦)</sup> قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى<sup>(٧)</sup> " (٤)

" وقد استخدم شوقي شخصية جبريل في إضفاء القدسية ؛ ففي قصيدته ( أندلسية ) التي

نظمها في منفاه بأسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز ويصف كثيرا من مشاهدته ومعاهده ، يرسل

تحية إلى مصر مع ( جبريل ) - عليه السلام - ليجعلها تحية مقدسة ، فيقول في أبيات منها:

( البسيط )

يا سارِيَّ البَرْقِ يَرْمِي عَن جَوَانِحِنَا      بَعْدَ الهُدُوءِ وَيَهْمِي عَن مَاقِينَا

(١) الشوقيات : ص ٤٧٢ .

(٢) السابق : ص ٥٥٠ .

(٣) السابق : ص ١٠٥ .

(٤) سورة طه : آية ١٢٠-١٢٣ .

بِاللَّهِ إِنْ جُبَّتْ ظِلْمَاءَ الْعُبابِ عَلَى      نَجَائِبِ النُّورِ مَحْدُورًا ( بجبرينا )  
تَرُدُّ عَنْكَ يَدَاهُ كُلَّ عَادِيَةٍ      إِنْسَاءً يَعِثْنَ فَسَادًا أَوْ شَيَاطِينًا<sup>(١)</sup>

فالتحية ترسل مع البرق هي صورة بسيطة تقليدية شائعة في الشعر القديم ، ولكن الجديد فيها هو محاولة شوقي إسباغها السمو والتقدیس فجعل البرق كما لو كان قافلة تمضي على إبل نجبية كريمة ؛ ولكن هذه الإبل إنما هي من نور (نجائب النور) ومما زاد المعنى قدسية هو جعل جبريل - عليه السلام - هو الذي يحدو بهذه الإبل " (٢) .

ومن ذلك قوله : ( البسيط )

إِذَا خَفَضْتُ جَنَاحَ الذُّلِّ أَسْأَلُهُ      عِزَّ الشَّفَاعَةِ لَمْ أَسْأَلْ سِوَى أُمَّمِ<sup>(٣)</sup>

فقد وظف شوقي التعبير القرآني في قوله: (خَفَضْتُ جَنَاحَ الذُّلِّ) وذلك يتناص مع قوله تعالى:  
"وَأَخْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا " (٤)

#### التناص الأدبي :

يعرف التناص الأدبي بأنه: " تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة وحديثة ، شعراً ونثراً مع النَّصِّ الأصلي . بحيث تكون منسجمةً ومتسعةً ودالةً قدر الإمكان على الفكرة التي يقدمها أو يعلنها المؤلف أو الحالة التي يجسدها ويتحدث عنها " (٥)

والتناص الأدبي عند شوقي متعدد المداخل ، ومن الأمثلة على التناص الأدبي في الحنين استنقاؤه المعاني والألفاظ تارة ، والمعارضات تارة أخرى ، فالمعارضات الشعرية كانت سمة ظاهرة عند شوقي ، ومن أمثلتها في أشعار الغربة والحنين عنده معارضته للبحثري في سينيته التي يقول فيها : (الخفيف)

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنُّسُ نَفْسِي      وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدِّ كُلِّ جِبْسِ<sup>(١)</sup>

(١) الشوقيات : ص ٦٨١ .

(٢) التناص : مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية ، د. أحمد الزعبي ، ص ٣ .

(٣) الشوقيات : ص ٦١٣ .

(٤) سورة الإسراء : آية ٢٤ .

(٥) ينظر : ظاهرة التناص في الشوقيات ، مهند عباس زكي، ص ١١٢ .

" وهذه السينية التي يصف فيها إيوان كسرى، وهي التي أجمع الناس على استحسانها، والاعتراف بالفضل له فيها " (٢) ، وشوقي يعارض البحري في سينيته في الأندلس ، يبيث خلالها آهات الغربة ونيران الحنين إلى الوطن ، ومطلعها : (الخفيف)

اِخْتِلَافُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ يُنْسِي      اذْكَرًا لِي الصَّبَا وَأَيَّامَ اُنْسِي (٣)

أما التناص الأدبي المتمثل في المعاني والألفاظ فمثاله قول شوقي في تعبيره عن الحزن وشعوره بالاغتراب ، فقد استدعى صورة الليل عن امرئ القيس ، حيث يقول شوقي بانثاً حزنه :

( الكامل )

قَلْبٌ يَذُوبُ وَمَدْمَعٌ يَجْرِي      يَا لَيْلُ هَلْ خَبَّرَ عَنِ الْفَجْرِ  
حَالَتْ نُجُومُكَ دُونَ مَطْلَعِهِ      لَا تَبْتَغِي حِيُولًا وَلَا يَسْرِي  
وَتَطَاوَلَتْ جُنْحًا فَخِيَّلَ لِي      أَنَّ الصَّبَاحَ رَهِيْبَةً الْحَشْرِ  
أَرْسَلَتْهَا وَمَا كَتَمَتْ مَذْهَبَهَا      بِدُجْبُجَةٍ كَسْرِيْرَةِ الدَّهْرِ  
ظَلَمْتُ تَجِيءُ بِهَا وَتُرْجِعُهَا      وَالْمَوْجُ مُنْقَلِبٌ إِلَى الْبَحْرِ (٤)

أما صورة الليل عند امرئ القيس فيمثلها قوله في معلقته الشهيرة : ( الطويل )

وَأَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ      عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَأِي  
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ      وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَائِلِ  
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا إِنْجَلِي      بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلِ  
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ      بِكُلِّ مَغَارٍ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِبَيْذَلِ (٥)

(١) ديوان البحري / تحقيق / حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف - القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٤ م ، ١١٥٢/٢ .

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى ، تحقيق / د. عبد الله المحارب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٤ م ، ٦٦٧/٣ .

(٣) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

(٤) السابق : ص ٥٧٥ .

(٥) ديوان امرئ القيس : تحقيق / عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة - بيروت ، ٢٠٠٤ ، ط ٢ ، ص ٤٨ -

فقد استوحى شوقي ذلك المعنى وصورة الليل الحزين من شعر امرئ القيس ، " فحافظ شوقي بتناصه مع نص امرئ القيس الشعري على البنية اللفظية وكذا المعنوية ، فلو عقدنا مقارنة لفظية بسيطة بين النصين لوجدنا ارتباطاً تناصياً كبيراً بينهما (قلبٌ يذوب ومدمع يجري - عليٌّ بأنواع الهموم ليبتلي) ، (ياليلُ - ألا أيها الليل) ، ( هل خبرٌ عن الفجر - ألا انجلي بصُبحٍ) ، (حالت نجومك - كأن نجومه) ، ( لا تبتغي جِولاً ولا يسري - بكلِّ مُغارِ الفتلِ شدَّت بيذبلُ) ، (تطاولت جناحاً - تمطى بصُلبه) ، ( ظلُّمٌ تجيءُ بها - فيالك من ليلٍ) ، (والموجُ منقلبٌ إلى البحر - كموج البحر) يمتص الشاعر تجربة امرئ القيس الشعرية في تصويره لليل المنقل بالآحزان والهموم فيعيد صياغة هيكلتها اللفظية ، وفي هذا ترابط بين النصين السابق واللاحق عن طريق آليات التعبير" (١) .

### التناص التاريخي :

يعرف التناص التاريخي بأنه : " تداخل نصوص تاريخية مختارة قديمة أو حديثة مع النص الفني ، بحيث تكون منسجمة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها المؤلف أو الحالة التي يجسدها ويقدمها في عمله " (٢) فالشاعر يلجأ إلى التناص التاريخي ؛ ليوظف أحداثاً مهمة في قصيدته ، أو يستدعي شخصيات تاريخية من شأنها إثراء العمل الأدبي ، وتجسد ذلك عند شوقي في ذكره لأحداث تاريخية ، واستدعاء شخصيات ذات دلالة تساهم في رسم المعاني التي يريدتها ، ومن أمثلة ذلك في شعر الغربة والحنين استدعاؤه لشخصية خالد بن الوليد ( رضي الله عنه ) في قوله : (البسيط)

|  |  |
|--|--|
| اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ فِي الْفَتْحِ مِنْ عَجَبٍ  | يا خالِدَ الثُّرَكِ جَدَّدَ خالِدَ العَرَبِ        |
| صُلِحَ عَزِيزٌ عَلَى حَرْبٍ مُظْفَرَةٍ           | فالسَّيْفُ فِي غَمْدِهِ وَالْحَقُّ فِي النُّصْبِ   |
| يا حُسْنَ أُمْنِيَّةٍ فِي السَّيْفِ ما كَذَّبَتْ | وَطَيْبَ أُمْنِيَّةٍ فِي الرَّأْيِ لَمْ تَخِبِ (٣) |

حيث جاء بشخصية خالد بن الوليد ( رضي الله عنه ) مثلاً للبطولة في التاريخ الإسلامي ، ورمزاً للحنكة العسكرية ، فالقصيدة تلك قيلت في إحدى المعارك للخلافة الإسلامية ، حيث تعتبر تلك القصيدة من القصائد الجميلة في الخلافة العثمانية .

(١) ينظر : ظاهرة التناص في الشوقيات ، مهذب عباس زكي، ص ١٢٠ .

(٢) التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر : حسن البنداري وآخرون، المجلد ١١ ، العدد ٢ ، ص ٢٥٩ .

(٣) الشوقيات ص ١٦٢ .

ومن التناص التاريخي قصيدته في دمشق واستحضر حقبة تاريخية رائعة في التاريخ الإسلامي ، حيث العز والملك العظيم لبني الإسلام ، ومنها قوله في حكم بني أمية الذين فتحوا بلاد عظيمة إبان حكمهم : (البيط)

بَنَوْا أُمَّيَّةً لِلْأَنْبَاءِ مَا فَتَحُوا      وَلِلْأَحَادِيثِ مَا سَادُوا وَمَا دَانُوا  
كَانُوا مُلُوكًا سَرِيرُ الشَّرْقِ تَحْتَهُمْ      فَهَلْ سَأَلْتَ سَرِيرَ الْعَرَبِ مَا كَانُوا<sup>(١)</sup>

ومن هذا التناص التاريخي ما ساعده في بث حزنه على واقع الأمة الإسلامية ، والأهوال التي تتعرض لها من ظلم وقهر ، حيث يصف المسجد الأموي في دمشق ، ويستدعي شخصية تاريخية بارزة ولها أثر في بناء ذلك المسجد ، حيث يقول : (البيط)

مَرَرْتُ بِالْمَسْجِدِ الْمَحْزُونِ أَسْأَلُهُ      هَلْ فِي الْمُصَلَّى أَوْ الْمِحْرَابِ مَرَوَانُ  
تَغَيَّرَ الْمَسْجِدُ الْمَحْزُونُ وَاخْتَلَفَتْ      عَلَى الْمَنَابِرِ أَحْرَارٌ وَعِبْدَانُ  
فَلَا الْأَذَانُ أَذَانٌ فِي مَنَارَتِهِ      إِذَا تَعَالَى وَلَا الْأَذَانُ أَذَانُ<sup>(٢)</sup>

فجاء بشخصية مروان بن عبد الملك كوسيلة لرسم تلك الصورة الحزينة لتغيير الأحوال من حال العزة والكرامة إلى حال القهر والظلم الواقع على أهل دمشق خاصة وعلى العالم الإسلامي عامة.

### الأساليب الإنشائية الطلبية :

كثيرة هي الأساليب الإنشائية الطلبية في شعر شوقي العام ؛ لكن شعر الغربة والحنين يقتصر على أساليب ساعدت الشاعر على توضيح الحالة النفسية التي يعانها ، ويبث من خلالها مآسيه وآلامه وأحزانه ، ومن أكثر تلك الأساليب أسلوب النداء ، الأمر ، الاستفهام ، التمني .

#### ١ - أسلوب النداء :

النداء لغة : " النداءُ والنداءُ الصوت مثل الدعاء والرُّغَاءُ وقد ناداه ونادى به وناداه مُناداةً ونداءً أي صاح به وأندى الرجلُ إذا حسُنَ صوته " <sup>(٣)</sup>.

(١) الشوقيات : ص ٧٠٠ .

(٢) السابق : ص ٧٠١ .

(٣) لسان العرب : ابن منظور ، مادة ( ندي ) ، ٣١٥/١٥ .



وفي الاصطلاح : " هو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل أَدْعُو " (١).

استخدم شوقي أسلوب النداء لمخاطبة الأهل والأحبة والوطن والمكان ، وجاء النداء ليعبر شوقي من خلاله عما يجول في صدره ، إما حنيناً للوطن وإما حنيناً للأهل والأصدقاء ، وإما حنيناً دينياً ، وإما حنيناً لمكان ما ، وإما حنيناً للمحبوب ، وإما تعبيراً عن شعوره بآلام الغربة فأخذ يخاطب الجمادات والطيور .

وأمثلة ذلك كثيرة في شعر الغربة والحنين عند شوقي منها قوله عند عودته إلى الوطن

بعد النفي : ( الوافر )

وَيَا وَطَنِي لَقَيْتُكَ بَعْدَ يَأْسٍ      كَأَنِّي قَد لَقَيْتُ بِكَ الشَّبَابَا (٢)

ومن نداءه ما يبث حزنه من خلاله ، وذلك في قصيدته ( أندلسية ) التي يقول فيها :

( البسيط )

يَا نَائِحَ الطَّلَحِ أَشْبَاهَ عَوَادِينَا      نَشْجَى لُوَادِيكَ أَمْ نَأْسَى لُوَادِينَا (٣)

فلقد بدأ قصيدته بنداء التفجع والمأساة التي حلت به ، وهذا ما نلمسه في الامتداد الصوتي في حرف النداء الذي يلائم الحزن والألم الذي اعتصر قلبه ، فيوجه نداءه لمن يشاركه ذلك الفراق القاسي ، فكلاهما اشترك في مصيبة الفراق والبعد عن الوطن ، ومن ذلك الحنين مخاطبته البرق، فهو الذي ينقل له الأخبار عن وطنه يخفف عنه لوعة الفراق والحزن ، حيث يقول :

( البسيط )

يَا سَارِيَّ الْبَرْقِ يَرْمِي عَن جَوَانِحِنَا      بَعْدَ الْهُدُوِّ وَيَهْمِي عَن مَآقِينَا (٤)

ومن ذلك النداء ما يحمل الحنين لمصر وأهلها ونيلها ، فقد فاض الحنين به وجعله ينادي

أهل مصر فيقول : ( البسيط )

(١) علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ط ١ ،

٢٠٠٩ ، ص ١١٤-١١٥ .

(٢) الشوقيات : ص ١٠٥ .

(٣) السابق : ص ٦٨٠ .

(٤) السابق : ص ٦٨١ .

يا ساكني مصر إنا لا نزالُ على عهدِ الوفاءِ وإنْ غبنا مُقيمينَا<sup>(١)</sup>

تتعدد المعاني التي يخرج إليها النداء عن شوقي ، ولعل أثقلها عندما يخاطب الجمادات ،  
ومن ذلك قوله : ( الخفيف )

يا ابنةَ اليمِّ ما أبوكِ بخيلٌ ما له مولعاً بمنعٍ وحبسٍ<sup>(٢)</sup>

لقد جاء خطاب شوقي للسفينة كمحاولة منه لاستدرار عطفها ، فأبوها البحر معروف عنه  
الكرم مع كل الخلائق ؛ لكن معاملته مختلفة مع شوقي .

وجاء نداؤه متحسراً على انقضاء فترة الشباب وكان ذلك في قالب من حنين جارف لتلك  
الفترة ، متمنياً عودتها حيث يقول : ( الطويل )

أقولُ لأيامِ الصبا كُلماتٌ أما لكِ يا عهدَ الشبابِ مُعيد  
وكيفَ نأتُ والأمسُ آخرُ عهدِها لأمسٍ كباقي الغابراتِ عهدٌ<sup>(٣)</sup>

أما في حنينه للمصطفى ( صلى الله عليه وسلم ) فجاء نداؤه معظماً للرسول الكريم ، متمنياً  
شفاعته ومن ذلك قوله :

يا خيرَ مَنْ جاءَ الوجودَ تحيةً من مُرسلينِ إلى الهدى بكِ جاؤوا<sup>(٤)</sup>  
لي في مديحكِ يا رسولَ عرائسٍ تُيِّمنَ فيكِ وشاقهنَّ جلاءً<sup>(٥)</sup>

وجاء النداء في حنينه للأحبة تأكيداً على عظم الحب والشوق والحنين في قلب شوقي لأحبه  
، فيخاطبهم خطاباً امتلاً وجدلاً وحنيناً فيقول : ( البسيط )

يا مَنْ نغارُ عليهمِ من ضمائِرنَا ومِن مَصونِ هَواهُمِ في تَناجينَا<sup>(٦)</sup>

(١) الشوقيات : ص ٦٨٨ .

(٢) السابق : ص ٣٨٤ .

(٣) السابق : ص ٢٤٤-٢٤٥ .

(٤) السابق : ص ٣٣ .

(٥) السابق : ص ٣٨ .

(٦) السابق : ص ٦٨١ .

ومن خلال ما سبق تبين مدى توظيف شوقي لأسلوب النداء والذي ساعده في بث مشاعره المتمثلة بالحنين بأنواعه المذكورة سابقاً ، وتعبيره عن الغربة الداخلية أو الخارجية .

## ٢- أسلوب الاستفهام :

يعرف الاستفهام لغة بأنه : " طلب الفهم والمعرفة ، واستنْفَهَمَه سألَه أن يُفَهِّمَه وقد اسْتَفْهَمَنِي الشيءَ فَأَفْهَمْتَه وفَهَّمْتَه تفهيماً " (١)

أما اصطلاحاً فهو : " وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة " (٢)

امتطى شوقي أسلوب الاستفهام باثناً من خلاله لواعجه بسبب الغربة واشتداد الحنين به ، فعبر من خلال الاستفهام عن إحساسه ، وأمثلة ذلك كثيرة في شعر الغربة والحنين ، ومن ذلك قوله في حنينه إلى مصر : ( الخفيف )

وَسَلَا مِصْرَ هَلْ سَلَا الْقَلْبُ عَنْهَا      أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمَانَ الْمُؤَسِّي (٣)

فهنا يطلب شوقي من صاحبيه اللذين تخيلهما بأن يسألا مصر سؤالاً خرج عن معناه الأصلي وأفاد النفي ، هل نسي قلبه مصر وهل بمقدوره الصبر على البعد والغربة ، وهل يستطيع الزمان أن يعالج جراحه التي سببها الرئيس غريته عنها .

ومن تلك الأمثلة على أسلوب الاستفهام في شعر الغربة والحنين تعجبه من البحر الذي وقف حجر عشرة لشوقي مانعاً إياه من العودة إلى الوطن ، مستكراً في نفس الصورة قسوة الاستعمار الذي يحرم الأوطان على أبنائها المخلصين ، وتباح للغرباء من كل جنس ؛ ليستمتعوا بخيراتها ، تماماً كما يباح الدوح والشجر لكل أنواع الطيور الغريبة ، ويحرم على بلبله التي تعيش فيه حيث يقول : ( الخفيف )

يَا ابْنَةَ الْيَمِّ مَا أَبُوكِ بَخِيلٌ      مَا لَهُ مَوْلِعاً بِمَنْعٍ وَحَبْسِ

أَحْرَامٌ عَلَى بِلَابِلِهِ الدَّو      حُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ (٤)

جاء استخدام شوقي لأساليب الاستفهام ليعبر عن صدق حنينه ، وشدة شوقه لمن أحب ، وهروباً من شبح الغربة ، فكان يستخدم في البيت الواحد أكثر من أداة للاستفهام ، حيث يقول في

(١) ينظر لسان العرب : ابن منظور ، مادة ( فهم ) ، ٤٥٩/١٢ .

(٢) علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، ص ٨٨ .

(٣) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

(٤) السابق : ص ٣٨٤ .

قصيدة غزلية بيت من خلالها شوقه للمحبوب ، واشتياقه ، ويعبر عن لوعة الفراق والبعد :  
(البسيط)

يا حلوة الوعد ما نساك ميعادي      عن الهوى أم كلام الشامت العادي  
كيف انخدعت بحسادي وما نقلوا      أنت التي خلقت عيناك حسادي  
طرفي وطرفك كانا في الهوى سبباً      عند اللقاء ولكن طرفك البادي  
تذكري هل تلاقينا على ظمأ      وكيف بل الصدى ذو الغلة الصادي  
وأنت في مجلس الريحان لاهية      ما سرت من سامر إلا إلى نادي<sup>(١)</sup>

لقد استخدم الشاعر أداة الاستفهام ( كيف ) مرتين ، ووظف أداتين في بيت واحد من  
النص ( كيف ، هل ) ، حيث يتعجب شوقي من المحبوب سماعه قول الوشاة ، ثم يؤكد على  
قوة العلاقة بينهما . ومن استفهامه ما خرج للتمني ، حيث يتمنى رجوع زمن الشباب الذي أحس  
بحنين عظيم لتلك الليالي والأوقات ، حيث يقول : ( الطويل )

أقولُ لإيامِ الصبا كُلمات      أما لك يا عهدَ الشبابِ مُعيد  
وكيف نأت والأمسُ آخرُ عهدِها      لأمسُ كباقي الغابراتِ عهدُ<sup>(٢)</sup>

وأمثلة الاستفهام كثيرة في شعر الحنين ، فقد لجأ شوقي إلى توظيفه بأكثر من صيغة ؛  
للدلالة على اشتعال نار الشوق للمحبوب ، فيكرر الأداة في البيت مرتين ، وينوع في استخدام  
أدوات الاستفهام ، ومن ذلك قوله : ( الطويل )

صاحا القلبُ إلا من حُمارِ أمانِي      يُجاذِبُنِي فِي الْغَيْدِ رَتْ عِنَانِي  
حَنَانِيكَ قَابِي هَلْ أَعِيدُ لَكَ الصِّبَا      وَهَلْ لِلْفَتَى بِالْمُسْتَحِيلِ يَدَانِ  
تَحُنُّ إِلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطَيْبِهِ      وَهَلْ أَنْتِ إِلَّا مِنْ دَمٍ وَحَنَانِ  
إِذَا لَمْ تَصُنْ عَهْدًا وَلَمْ تَرَ عِذْمَةً      وَلَمْ تَذْكُرِ إِلَّا قَلَسْتَ جَنَانِي  
أَتَذْكُرُ إِذْ نُعْطِي الصَّبَابَةَ حَقَّهَا      وَتَشْرَبُ مِنْ صِرْفِ الْهَوَى بِدِنَانِ<sup>(٣)</sup>

(١) الشوقيات ص ٢٦٣ .

(٢) السابق : ص ٢٤٤-٢٤٥ .

(٣) السابق : ص ٧١٣ .

فقد استخدم في الأبيات السابقة حرفي الاستفهام ( هل ، همزة ) حيث عبّر باستخدامهما عن إقراره بعظم الحنين الذي يكنه للمعشوق ، والمشاعر الملتهبة لوصولهم ولذكرياتهم الجميلة التي ارتبطت بأزهى أوقاته بفترة الشباب ، هذه الفترة التي يصفها في قصيدة أخرى متمنياً عودتها، وبتوظيفه لأسلوب الاستفهام استطاع أن يصف جمال تلك الفترة ، حيث يقول :  
(مجزوء الكامل)

رَمَنْ تَقَضَى لِلْهَوَى      وَأَنَا بِظُلْمِكَ هَلْ يَعُودُ  
وَهَبِ الزَّمَانَ أَعَادَهَا      هَلْ لِلشَّبِيَّةِ مَنْ يُعِيدُ  
هَلَّا ذَكَرْتَ زَمَانَ كُنَّا      وَالزَّمَانَ كَمَا نُرِيدُ<sup>(١)</sup>

وظف شوقي أسلوب الاستفهام في كل بيت من الأبيات السابقة ، فكان البيت الأول والبيت الثاني تعبيراً عن أمانيه لعودة أيام الشبيبة، وكان استخدامه لحرف الاستفهام عينه ( هل ) دلالة على ربط تلك الأيام بالسعادة والنشوة النفسية ، ويوظف في البيت الثالث أسلوب الاستفهام ليخرج إلى معنى مغاير عن سابقه ، فدل على التحضيض فيه يحث السامع أن يذكر له ذلك الزمان الجميل ، فقد غلبه الحنين لتلك الأيام .

### ٣ - أسلوب الأمر :

تعريفه لغة : " هو نقيض النَّهْيِ أَمْرٌ بِهِ وَأَمْرٌ يَأْمُرُهُ أَمْرًا وَإِمَارًا " <sup>(٢)</sup>

أما اصطلاحاً فهو " طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا " <sup>(٣)</sup> .

ويخرج الأمر عن معناه الحقيقي لأغراض عديدة ، منها : الدعاء ، الالتماس ، التمني ، التعجيز ، التهديد ، التخيير ، التقسيم ، والإهانة والتحقير ، التسوية ، ويخرج لمعانٍ آخر ذكرها ابن فارس في كتابه الصاحبى.

(١) الشوقيات : ص ٢٧٥ .

(٢) ينظر لسان العرب : ابن منظور، مادة ( أمر ) ، ٢٦/٤-٢٧ .

(٣) علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، ص ٨٨ ، ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد

مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٣ م ، ٣١٣/١

لجأ شوقي لأسلوب الأمر ؛ ليتسنى له التعبير عما يعاينه من آلام الغربة ، ويجسد أشواقه وحنينه المتعدد بحسب الجو النفسي للقصيدة ، وأمثلة أسلوب الأمر كثيرة في شعره ؛ وذلك لما يتمتع به هذا الأسلوب من مرونة في وصف معاناة الشاعر والتعبير عما يحس به تجاه ذكرياته وأحبابه والأماكن المحببة إليه ، ومن تلك الأمثلة على هذا الأسلوب قوله في حنينه إلى مصر :

( الخفيف )

إِخْتِلَافُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ يُنْسِي      أَذْكَرًا لِي الصَّبَا وَأَيَّامَ أَنْسِي  
وَصِفَا لِي مُلَاوَةً مِنْ شَبَابٍ      صُوِّرَتْ مِنْ تَصَوُّرَاتٍ وَمَسَّ (١)

يطلب شوقي من صاحبيه المتخيلين أن يذكراه بأيام شبابه وصباه ، ويعيدا عليه صدى السعادة الغامرة التي شملته بأكنافها عندما كان يتنعم بوطنه مصر ، ويطلب منهما وصف فترة الشباب الجميلة التي ما زالت صورها وخيالاتها ماثلة أمام ناظره ، فشوقي في البيتين السابقين عمد إلى أسلوب الأمر التماساً لذاك الماضي الجميل وحنيناً لتلك الأيام ، حيث جاء الأمر بفعلين هما ( اذكرا ، صفا ) .

ومن أساليب الأمر الواردة في شعره المليء بالحنين إلى الوطن طلبه من فتية مصر أن يقدموا للوطن الغالي والنفيس ، ويواجهوا المحتل وأتباعه ، وأن يقفوا لمصر ذلك الموقف المحمود، حيث يقول : ( الكامل )

يَا فِتْيَةَ النِّيلِ السَّعِيدِ خُذُوا الْمَدَى      وَإِسْتَأْنِفُوا نَفْسَ الْجِهَادِ مَدِيدَا  
وَتَتَكَبَّرُوا الْعُدُونَ وَاجْتَنِبُوا الْأَدَى      وَقِفُوا بِمِصْرَ الْمَوْقِفِ الْمَحْمُودَا (٢)

فشوقي في هذه الأبيات يحث أبناء مصر للتضحية من أجله ، فخرج أسلوب الأمر للحث والنصح والإرشاد .

لقد حمل أسلوب الأمر جزءاً من حنين شوقي ، مما أسهم في إبراز العاطفة ، ومن ذلك التماسه من الصديقين المتخيلين بأن يبلغا مصر بأنها موجودة في القلب ، فشوقي يتمنى الرجوع لها في أقرب وقت ، حيث يقول : ( الخفيف )

وَسَلَا مِصْرَ هَلْ سَلَا الْقَلْبُ عَنْهَا      أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمَانَ الْمُؤَسِّي (٣)

(١) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

(٢) السابق : ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٣) السابق : ص ٣٨٤ .

ومن أمثلة أسلوب الأمر في حنينه إلى المحبوب طلبه منه الابتعاد عن الهجران ، فالشاعر  
لا يقوى على ذلك قائلاً : ( الخفيف )  
حمليني في الحب ما شئت إلا      حادث الصد أو بلاء الفراق  
واسمحي بالعناق إن رضي الدل      ل وسامحت فانيا في العناق (١)

أما أسلوب الأمر الذي خرج إلى الدعاء فذلك موجود في شعر شوقي في شعوره بالاغتراب  
وضيق الحياة ، ومن ذلك قوله : ( الرجز )  
يا ربنا الخطبُ جليلٌ      فكنْ مُعيناً يا جليلُ  
وأعطينا الصبرَ الجميل      يا خيرَ مَنْ يُوليَ الجميل  
فَسُقْ إلينا الفرجا      فما عليك مُستحيل (٢)

فيتوجه شوقي إلى الله داعياً متضرعاً من ضيق الحياة ، فلقد جاء أسلوب الأمر مساعداً  
لشوقي في تفريغ انفعالاته تجاه غربته ، وتسليته له في حنينه إلى الوطن وإلى الأحبة والذكريات  
الجميلة ، فكان يخرج عن معناه دائماً إلى الالتماس والتمني والحث والنصح والإرشاد والدعاء .

#### ٤ - أسلوب التمني :

تعريفه لغة : " التَّمَنِّي تَشَهَّى حُصُولِ الأَمْرِ المَرْغُوبِ فِيهِ وَحَدِيثُ النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَمَا لَا  
يَكُونُ تَقُولُ تَمَنَيْتُ الشَّيْءَ وَمَنَيْتُ غَيْرِي تَمَنِيَةً وَتَمَنَّى الشَّيْءَ أَرَادَهُ وَمَنَّاهُ إِيَّاهُ وَبِهِ وَهِيَ المِنِيَّةُ  
والمُنِيَّةُ وَالأَمْنِيَّةُ " (٣)

أما اصطلاحاً فهو " طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله: إما لكونه مستحيلاً، والإنسان  
كثيراً ما يجب المستحيل ويطلبه، وإما لكونه ممكناً غير مطموح في نيله " (٤) .  
جاء أسلوب الأمر في شعر شوقي الخاص بالغربة والحنين ليعبر بطريقة مباشرة عن أمانيه  
وتطلعاته وما يشتهي ، فكان استخدامه لهذا الأسلوب بمثابة التصريح المباشر لأشواقه وأحاسيسه

(١) الشوقيات ص ٤٥٥ .

(٢) السابق : ص ٥٤٠ .

(٣) ينظر لسان العرب : ابن منظور ، مادة ( مني ) ، ٢٩٤/١٥ .

(٤) علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، ص ١١٢ .

تجاه المواقف المختلفة التي مرت عليه في السراء والضراء ، ومن أمثلة ذلك في شعره حنينه  
للأيام الجميلة التي قضاها في الأستانة حيث يقول : ( الوافر )

عَسَى الْأَيَّامُ تَجْمَعُنِي فَإِنِّي      أَرَى الْعَيْشَ إِفْتِرَاقاً وَإِجْتِمَاعاً  
أَلَا لَيْتَ الْبِلَادَ لَهَا قُلُوبُ      كَمَا لِلنَّاسِ تَنْفَطِرُ التِّيَاعُ  
وَأَيْتَ لَدَى فُرُوقٍ بَعْضَ بَثِّي      وَمَا فَعَلَ الْفُرَاقُ عَادَةَ رَاعَا<sup>(١)</sup>

حيث استخدم ألفاظ التمني والرجاء معاً ، وكرر حرف التمني ( لیت ) مرتين ، وذلك دلالة  
على شدة حنينه لتلك الأيام ولهذه المدينة الجميلة .

ومن أمثلة التمني في شعره بالاغتراب بعد موت والده قوله : ( الرمل )  
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَنَا أَنْ تَلْتَقِي      مَرَّةً أَمْ ذَا إِفْتِرَاقِ الْمَأْوِينَ<sup>(٢)</sup>

لقد عمد شوقي إلى التمني ليعبر عما آلت إليه أحوال المسلمين بعيد سقوط مدينة  
(أدرنة) ( وهي مدينة استولى عليها البلغار عام ١٩١٢ م ثم أعيدت تحت الحكم التركي عام  
١٩٢٣ م ) وفي ذلك يقول : ( الكامل )

يَا أُخْتِ أَنْدُسٍ عَلَيْكَ سَلَامٌ      هَوَتْ الْخِلَافَةُ عَنْكَ وَالْإِسْلَامُ  
نَزَلَ الْهَيْلُ عَنِ السَّمَاءِ فَلَيْتَهَا      طُوِيَتْ وَعَمَّ الْعَالَمِينَ ظَلَامُ  
جُرْحَانِ تَمْضِي الْأُمَّتَانِ عَلَيْهِمَا      هَذَا يَسِيلُ وَذَلِكَ لَا يَلْتَامُ  
بِكَمَا أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ وَفِيكَمَا      دُفِنَ الْيَرَاعُ وَغِيَّبَ الصَّمَامُ<sup>(٣)</sup>

ومثال التمني عنده في نكبة بيروت عندما ضربها الأسطول الإيطالي قوله في تلك المأساة :  
( الكامل )

سَبْعُونَ لَيْثاً أَحْرِقُوا أَوْ أُغْرِقُوا      يَا لَيْتَهُمْ قُتِلُوا عَلَى طَبْرُوكِ<sup>(٤)</sup>

(١) الشوقيات : ص ٤٠٩ .

(٢) السابق : ص ٧٠٨ .

(٣) السابق : ص ٥٩٣ .

(٤) السابق : ص ٤٦٩ .



كان استخدام شوقي للأساليب الإنشائية الطليية تعبيراً صادقاً لمشاعر الحزن الشديد نتيجة لمعاناته في الغربة وشعوره بالاعتراب ، وسهل ذلك له التعبير عن عواطفه الجياشة ونار الحنين الملتهبة بقلبه ، مما ساعد في إبراز تلك العواطف القوية .

## المبحث الثاني : الصورة الشعرية :

تناول النقاد العرب القدامى اللبنة الأساسية للصورة الشعرية ، فتناولها الجاحظ على أنها التصوير وذلك في معرض حديثه عن قضية اللفظ والمعنى حيث يقول : " فإنما الشعر صناعةٌ وضربٌ من النَّسجِ وجنسٌ من التَّصوير " (١) أما حازم القرطاجني فيتطرق لها من خلال المعاني فيقول : " إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان. فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم. فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ. فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ من لم يتهيأ له سماعها من المتلفظ بها صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيآت الألفاظ فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضاً وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليها " (٢).

أما في العصر الحديث فتعددت التعريفات للصورة مع دخول النظرة الغربية للأدب العربي ، فيرى إحسان عباس أن : " الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم ، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر ، كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصور " (٣) ، فالصورة هي الأساس في العمل الأدبي ، فهي الشعور والفكر المنطوي بين ثنايا النص ، والسبب الرئيس لوجود تلك العواطف والفكر يرجع لوجود الصورة ، والصورة تعمل على دمج العناصر الجزئية والكلية ؛ لتنتج بناءً موحداً قد ملأ الفجوات وسدها داخل العمل الأدبي من خلال مخاطبة الحواس ، والتمرد على الدلالة الحرفية ، وتحرك الخيال في أرجاء النص الأدبي (٤).

ويمكن تعريف الصورة الشعرية بأنها " تشكيل لغوي، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها " (٥) وعرفت بأنها : " نسخة جمالية وإبداعية تستحضر

---

(١) الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل - بيروت ، ١٩٩٦ ، ٣ / ١٣٢ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني ، ص ١٨-١٩ .

(٣) فن الشعر: إحسان عباس ، دار صادر - بيروت، دار الشروق - عمان، ط ١ ١٩٩٦ م ص ١٩٣ .

(٤) بتصرف : الصورة والبناء الشعري : محمد حسن عبد الله دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨١ م ، ص ٣٣-٣٨ .

(٥) الصورة في الشعر العربي : على البطل ، دار الأندلس - بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١ م ، ص ٣٠ .

الهيئة الحسية أو الذهنية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تنهض لها قدرة الشاعر ومقدار تجربته وفق تعادلية بين طرفين هما المجاز والواقع دون أن يستبد طرف بآخر " (١) .  
فالملاحظ من تلك التعريفات أن الصورة الشعرية قائمة على مجموعة من العناصر ومرتكزة عليها وهي : الواقع والشعور والخيال (٢) .

أما الصورة عند شوقي فيتحدث عنها شوقي ضيف قائلاً : " وهذه الخصلة الموسيقية في شعره تسندها عنده خصلة التصوير البارح؛ إذ كان يعرف كيف يفيد من كنوز التشبيهات والاستعارات القديمة، ولم يكن يكتفي بذلك؛ بل كان يضيف إلى هذا الاستغلال للقديم كثيراً من الأخيلة الحالمة. ويتضح ذلك في جوانب كثيرة من شعره " (٣) ، فالصورة الشعرية عنده اتخذت أشكالاً سيتناولها الباحث وفق مدخلين رئيسيين هما : الصورة البيانية والصورة الحسية .  
أولاً : الصورة البيانية :

هي " الشكل الذي يعبر به الشاعر عن تجربته ، مستخدماً طاقات اللغة ، ودلالاتها البيانية التي تخاطب حس الإنسان ، وإحساسه ، ووجدانه ، وقلبه لنقل هذه التجربة في صورة موحية مؤثرة في النفوس ، ويكون ذلك بالمجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والتعريض " (٤) .

فالصورة البيانية تشمل التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية ، وشعر الغربة والحنين عند شوقي يزخر بتلك الأمثلة .

#### ١ - التشبيه :

هو " فن من فنون الكلام وعنصر من عناصر الأسلوب ، يرسم صورة للحس والشعور ، فينقل المعنى بصورة واضحة كأننا نراه بأبصارنا ، ونلمسه بأيدينا، والتشبيه من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم ، وهو بحر البلاغة وسرها " (٥) ، فالتشبيه إذن : بيان

---

(١) الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية : عبدالإله الصائغ ، الدار البيضاء-بيروت :المركز الثقافي العربي، ط١ ، ١٩٩٧ م ، ص ١٥٩ .

(٢) تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة : فتحة دخمش ، ص ١٥٦ .

(٣) الأدب العربي المعاصر في مصر : شوقي ضيف ، ص ١١٥ .

(٤) الصورة البيانية في كتاب روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي البروسوي : إلهام حرارة (رسالة ماجستير ) الجامعة الإسلامية - غزة ، ٢٠١٣ م ، ص ١٢ .

(٥) القرآن والصورة البيانية : د. عبدالقادر حسين ، عالم الكتب - بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥ م ، ص ٧ .

"بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدره، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه" (١).

ومن أمثلة التشبيه في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله : ( الخفيف )  
نَفْسِي مِرْجَلٌ وَقَلْبِي شِرَاعٌ      بِهِمَا فِي الدُّمُوعِ سِيرِي وَأَرْسِي (٢)

ففي البيت السابق عمد شوقي إلى التشبيه البليغ في موضعين ( نفسي مرجل ) و ( قلبي شرع ) ، فقد شبه نفسه بالمرجل الذي يغلي ماداً السفينة بالطاقة البخارية ليساعدها على الإبحار تجاه مصر ، ومشبهاً قلبه بالشرع الذي تحركه الرياح ليساعد السفينة إلى الوصول لبلده مصر ، وذلك حتى لو تعطلت السفينة البخارية تستطيع السير بالشرع ، فاستعداد شوقي لمد السفينة بكل المقومات لكي توصله لمصر دليل على شدة شوقه وحنينه للوطن .

وفي موضع آخر يشبه مصر بالعين المتدفقة في جنان الرحمن تسقي أبناءها الماء السلسبيل حيث يقول : ( البسيط )

لَكِنَّ مِصْرَ وَإِنْ أَغْضَتْ عَلَيَّ مِقَّةً      عَيْنٌ مِنَ الْخُلْدِ بِالْكَافُورِ تَسْقِينَا (٣)

فالذكريات الجميلة في مصر كالنهر الذي يمد الشاعر بأميال من الحنين والشوق للوطن ، ففي البيت السابق اشتركت مجموعة من التشبيهات رسمت المعنى الذي يريده شوقي من اشتياقه لمصر وحنينه اللامتناهي لها .

كانت المعاني والألفاظ عند شوقي مثل الألوان يمزج منها ما يريد وكيفما يشاء ، فالملاحظ أنه يستخدم التشبيه بمهارة عالية ، وذلك ليخدم هدفه في إيصال عواطفه للمتلقي ، فكان ينتقي ما يلائم المعنى المراد ، حيث يرسم وقت رجوعه من المنفى صورة اعتمدت أركانها على التشبيه :  
( الوافر )

وَيَا وَطَنِي لَقَيْتُكَ بَعْدَ يَأْسٍ      كَأَنِّي قَدْ لَقَيْتُ بِكَ الشَّبَابَا (٤)

(١) علم البيان : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ٦٢ .

(٢) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

(٣) السابق : ص ٦٨١ .

(٤) السابق : ص ١٠٥ .

فقد شبه رجوعه للوطن بعد طول غياب بعودة الشباب له من جديد ، وذلك من المستحيلات فالشباب لا يمكن أن يعود ؛ لكن شوقي عبر عن شدة حنينه للوطن ومدى اشتياقه له بأمر تعشقه النفس وتطرب لسماح ذكرياته .

ومن التشبيهات المستخدمة في وصف حالات الحزن المخيمة على الشاعر ما يذكره في تشبيه قلبه بالناقوس في الهيكل ليدلل على اضطرابه واشتياقه للزمن الجميل والإلف الصادق ، حيث يقول في ذلك : ( السريع )

وَالْقَلْبُ قَوَّامٌ عَلَى أَضْلَعِي      كَأَنَّهُ النِّاقُوسُ فِي الْهَيْكَلِ (١)

## ٢ - الاستعارة :

وهي أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلّ الشواهد على أنه اختصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية (٢) .

والاستعارة تعطي الكلام رونقاً خاصاً تنجذب إليه الأسماع والأذهان ، فكانت موجودة وبكثرة في شعر الغربة والحنين عند شوقي ، والواضح أنها خدمت شوقي في بث أحزانه ولوعات حنينه للوطن ، فجاءت مترامية الأطراف بين ثنايا تلك الأشعار ، وأمثلتها كثيرة تعددت بذكر أنواع الاستعارة ، ومن تلك الأمثلة ما يذكره شوقي في سينيته التي ملئت شوقاً وحنيناً إلى مصر حيث يقول : ( الخفيف )

وَصِيفَا لِي مُلَاوَةٌ مِنْ شَبَابٍ      صُوِّرَتْ مِنْ تَصَوُّرَاتٍ وَمَسِّ  
عَصَفَتْ كَالصَّبَا اللَّعُوبِ وَمَرَّتْ      سِنَّةً حُلُوءَةً وَأَلْدَةً خَلَسِ (٣)

لقد ورد عدد من الاستعارات في البيت الثاني وهي : ( عصفت ) فقد شبه فترة الشباب بالريح وهي صورة توحى بسرعة انقضائها وجاءت على سبيل الاستعارة المكنية ، أما الاستعارة المكنية الثانية فجاءت في ( كَالصَّبَا اللَّعُوبِ ) فقد شبه الريح الرقيقة بفتاة ناعمة رشيقة فقد أتى بالمشبه وحذف المشبه به وأتى بصفة من صفاته وهي صورة جمالية سر جمالها التشخيص ، والملاحظ براعة الخيال المترابط والتركيبي ، فقد جاءت كلمة الصبا مشبه به في التشبيه الأول ،

(١) الشوقيات : ص ٥٣٢ .

(٢) أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق / عبد الحميد هندواي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ ، ص ٣١ .

(٣) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

وجاءت مشبه في الاستعارة ، وهنا يظهر براعة الأمير في تطويع المفردات والمعاني كيفما يريد ، أما في الشطر الثاني فجاءت صورتان فئتان على سبيل الاستعارة المكنية ، فقد شبه سنة النوم بالشيء الجميل كالفاكهة والشراب الحلو ، وهي صورة جمالية سر جمالها التجسيم ، وشبه اللذة بشيء ثمين يختلس وسر جمالها التجسيم أيضاً .

أما في حنينه للرسول ( صلى الله عليه وسلم ) فقد جاءت مجموعة من التشبيهات على سبيل الاستعارة منها قوله : ( الكامل )

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ      وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَتَثَاءٌ<sup>(١)</sup>

فقد شبه الزمان بإنسان مبتسم مادح للرسول ( صلى الله عليه وسلم ) لقدوم المصطفى ، فقد حذف المشبه به وأتى بصفة من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية وهي صورة جمالية سر جمالها التشخيص .

ومن الاستعارات المتتالية في البيت الواحد قوله : ( البسيط )

يا ساريَ البرقِ يرمي عن جوانِحنا      بعدَ الهدوءِ ويهمي عن مآقينا  
لَمَّا تَرَقَّرَقَ في دَمِ السَّمَاءِ دَمًا      هاجَ البُكا فَخَضَبْنَا الأَرْضَ باكِينا  
الليْلُ يَشْهَدُ لَمْ نَهْتِكْ دِياجِيَهُ      على نِيامٍ وَلَمْ نَهْتَفِ بِسَالِينَا<sup>(٢)</sup>

فقد شبه شوقي دموعه بالأمطار الغزيرة وذلك دلالة على الحزن الشديد المخيم عليه ، وجاء الاستعارة في البيت الثاني عندما شبه البكاء بإنسان يهيج ويغضب ، ويكمل شوقي تصويره البياني الرائع عندما يشبه دموعه بالخضاب ( اللون الأحمر ) دلالة منه على البكاء دمًا من شدة شوقه لوطنه ومآسي الغربة التي نالت منه ، ثم يشبه الليل بإنسان يشهد وهي صورة جمالية سر جمالها التشخيص .

ومن أمثلة الاستعارة التصريحية في شعر الغربة والحنين عند شوقي ما يعدده في بيت واحد، حيث يقول : ( الخفيف )

أَحْرَامٌ عَلَى بَلَابِلِهِ الدَّو      حُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ<sup>(٣)</sup>

(١) الشوقيات : ص ٣٣ .

(٢) السابق : ص ٦٨١ .

(٣) السابق : ص ٣٨٤ .

يصل شوقي في البيت السابق بالتصوير البياني إلى أعلى مراتبه عندما يجسد ثلاث استعارات تصريحية في بيت واحد ، ففي الأولى شبه أبناء مصر بالبلابل فحذف المشبه وصرح بالمشبه به ، وفي الثانية شبه الوطن مصر بالدوح ، وفي الثالثة شبه الأعداء المحتلين المعتدين بالطير وتلك الصورة توحى بالمرارة والحرقه للغريب المطرود عن وطنه والمستعمرون يتعمون بذلك الوطن .

### ٣ - الكناية :

الكناية في اصطلاح أهل البلاغة : لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى (١).

ومن أمثلة الكناية في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله : ( البسيط )

يا نائِحِ الطَّلحِ أَشْباةَ عَوادِينا      نَشجى لِواديكَ أُم نَأسى لِواديْنا  
رَمى بِنا البَينُ أَيكاً غَيرَ سامرِنا      أِخا الغَريبِ وَظِلاً غَيرَ نادِينا (٢)

جاءت ( نائِح الطلح ) كناية عن موصوف وهو الحمام ( المعتمد بن عباد ) وهو شاعر أندلسي ، فقد أسند كلمة نائِح إلى الطلح ( الوادي ) وسر جمال الكناية هو الإتيان بالمنع مصحوباً بالدليل في إيجاز وتجسيم ، وفي البيت الثاني وردت الكناية في ( أخوا الغريب ) وجاءت كناية عن موصوف وهو الشاعر نفسه ، فلم يصرح شوقي باسمه بل أسند لفظ ( أخوا ) إلى ( الغريب ) ليدلل على آلام الغربة التي يقاسيها ، فالشاعر هنا يشابه ما لاقه الشاعر المعتمد بن عباد من نفي عن واديه إشبيلية بما لاقاه شوقي من نفي عن واديه ( نهر النيل ) .

ومن أمثلة الكناية كذلك قول شوقي : ( الخفيف )

يا بَنَةَ الِيمِّ ما أبوكِ بَخيلٌ      ما لَهُ مَوْلَعاً بِمَنعٍ وَحَيسِ (٣)

حيث وردت الكناية في قوله ( يا بنة اليم ) وهي كناية عن موصوف والمقصود هنا السفينة، أما الكناية الثانية فجاءت في قوله ( أبوك ) كناية عن موصوف وهو البحر .

(١) علم البيان : عبد العزيز عتيق ، ص ٢٠٣ .

(٢) الشوقيات : ص ٦٨٠ .

(٣) السابق : ص ٢٠٣ .

## ثانياً : الصورة الحسية :

وهي الصورة المرتبطة بإحدى حواس الإنسان ، وتأتي في السياق الشعري تاركة أثراً في المتلقي حاملة أحاسيس الشاعر بين ثناياها ، والصورة الحسية تعددت في شعر شوقي في غربته وحنينه ، ومنها :

### ١ - الصورة البصرية :

وهي تلك الصورة المتعلقة بالبصر ، وتدل عليها الألفاظ المرتبطة بالرؤية ، ومن أمثلتها في شعر الغربة والحنين في شعر شوقي قوله : ( الوافر )

هَدَانَا ضَوْءُ ثَغْرِكَ مِنْ ثَلَاثٍ      كَمَا تَهْدِي الْمُنُورَةُ الرِّكَابَا  
وَقَدْ غَشِيَ الْمَنَارُ الْبَحْرَ نَوْرًا      كَنَارِ الطُّورِ جَلَّتِ الشَّعَابَا<sup>(١)</sup>

فقد جمع شوقي ألفاظاً دالة على البصر وهي ( ضوء ، المنورة ، المنار ، نور ، نار ) ، والملاحظ أن شوقي كثف تلك الألفاظ لتسهّم في رسم الصورة المرادة ، فقد أعطت القارئ مشهداً حياً كأنه يشاهد منظرًا أمامه .

ويذكر شوقي صورة بصرية في حنينه للوطن ، وعدم تخليه عن أي شبر منه ، فيميل إلى رسم تلك الصورة في قوله : ( البسيط )

الْأَيْلُ يَشْهَدُ لَمْ نَهْتِكِ دِيَاجِيَهُ      عَلَى نِيَامٍ وَلَمْ نَهْتَفِ بِسَالِينَا  
وَالنَّجْمُ لَمْ يَزِنَا إِلَّا عَلَى قَدَمٍ      قِيَامَ لَيْلِ الْهَوَى لِلْعَهْدِ رَاعِينَا<sup>(٢)</sup>

حيث ذكر بعض الألفاظ التي تساعد في رسم صورته البصرية وهي : ( الليل ) ( النجم ) ( يرنا ) فالليل يوحي بالظلام ، والنجم يوحي بالنور ، و ( يرنا ) تدل على البصر .

ويصور شوقي غزو المشيب له بمشهد آخر يحمل دلالة شوقه وحنينه لأيام الشباب ، وخوفه من دنو الأجل ، راسماً بذلك حكمة تجري على مر الزمان ، حيث يقول : ( المتقارب )

سَرَى الشَّيْبُ مُتَّبِداً فِي الرُّوْ      سِ سُرَى النَّارِ فِي الْمَوْضِعِ الْمُعْشَبِ  
حَرِيْقٌ أَحَاطَ بِخَيْطِ الْحَيَا      ة تَعَجَّبْتُ كَيْفَ عَلَيهِمْ غَبِي

(١) الشوقيات : ص ١٠٦ .

(٢) السابق : ص ٦٨١ .



وَمَنْ تَظْهَرِ النَّارُ فِي دَارِهِ      وَفِي زُرْعِهِ مِنْهُمْ يَرَعَابٌ<sup>(١)</sup>

فيصور اشتعال الرأس بالشيب بسريان النار في الأرض المليئة بالأعشاب ، واندلاع حريق ذي لهيب قوي يهدد الحياة ، فاستخدام شوقي لألفاظ ترسم صورة بصرية ساعده في إيصال تلك الصورة للمتلقي .

ومن جمال صورهِ البصرية عندما يجسد بذكرياته الجميلة منظرًا تعود عليه الشاعر حيث يقول : ( البسيط )

ذَكَرْتُ مِصْرَ وَمَنْ أَهْوَى وَمَجْلِسَنَا      عَلَى الْجَزِيرَةِ بَيْنَ الْجِسْرِ وَالنَّهْرِ  
وَالْيَوْمُ أَشْيَبُ وَالْأَفَاقُ مَذْهَبَةٌ      وَالشَّمْسُ مُصْفَرَّةٌ تَجْرِي لِمُنْحَدَرٍ<sup>(٢)</sup>

فقد صور الشمس في وقت الغروب وهي تميل إلى الصفرة معلنة بقضاء ذلك اليوم من حياة الشاعر سامحة لليل بالدخول بسلاسة إلى عالم الشاعر .

أما في شعوره بالغبرة فيرسم شوقي صورة متألفة من مجموعة عناصر اعتمدت على البصر وعلى دلالة الحزن ، وفيها يقول : ( الكامل )

قَلْبٌ يَذُوبُ وَمَدْمَعٌ يَجْرِي      يَا لَيْلُ هَلْ خَبَّرَ عَنِ الْفَجْرِ  
حَالَتْ نُجُومُكَ دُونَ مَطْلَعِهِ      لَا تَبْتَغِي حِيُولًا وَلَا يَسْرِي  
وَتَطَاوَلَتْ جُنْحًا فَخِيَّلَ لِي      أَنَّ الصَّبَاحَ رَهِيْنَةُ الحَاشِرِ<sup>(٣)</sup>

ففي الأبيات السابقة يشكو شوقي من ليله الطويل شديد الظلام والذي سمح للأحزان بغزو مخيلته وفكره ، فجاءت ألفاظه الدالة على البصر وهي : ( ليل ، فجر ، نجوم ، الصباح ) مما ساعد ذلك شوقي في توصيل فكرته على خير وجه .

(١) الشوقيات : ص ١٥٢ .

(٢) السابق : ص ٣٤٤ .

(٣) السابق : ص ٥٧٥ .

## ٢ - الصورة السمعية :

وهي الصورة التي تتألف من مجموعة الألفاظ الدالة على الصوت ، والمرتبطة بحاسة السمع عند الإنسان ، والتي تثير في نفس المتلقي إحساس الشاعر ورسم الصورة التي يريدها ، وقد تشترك تلك الصورة مع عدد من الحواس الأخرى .

ومن أمثلة الصورة السمعية في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله : ( الخفيف )

وَسَلَا مِصرَ هَل سَلَا القَلْبُ عَنهَا      أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمَانُ المُوَسِّي  
كُلَّمَا مَرَّتِ اللَّيَالِي عَلَيهِ      رَقَّ وَالْعَهْدُ فِي اللَّيَالِي تُقْسِي  
مُسْتَطَارٌّ إِذَا البَوَاخِرُ رَنَّت      أَوَّلَ اللَّيْلِ أَوْ عَوَتْ بَعْدَ جَرَسِ  
رَاهِبٌ فِي الضُّلُوعِ لِلسُّفُنِ فَطُنُّ      كَلَّمَا ثُرْنَ شَاعِهِنَّ بِنَقْسِ<sup>(١)</sup>

استخدم شوقي الصورة السمعية بأبعادها كافة ، موظفاً الصوت في كل بيت من الأبيات السابقة ليعطي تبياناً لما يجول في صدره من حنين إلى مصر ، ويبعث آلام حزنه بسبب غريته ، حيث جاءت الألفاظ الدالة على الصوت: ( سلا ، مستطار ، البواخر ، رنت ، عوت ، جرس ، ثرن ) ، فقد رسمت تلك الكلمات الصورة الحسية التي أرادها الشاعر عن طريق اعتماده على الصورة السمعية .

ومن الأمثلة كذلك على الصورة السمعية في شعر الغربة والحنين ما يذكره شوقي في سقوط

الخلافة قائلاً : ( الكامل )

وَتُعِيَتْ بَيْنَ مَعَالِمِ الأَفْرَاحِ      عَادَتْ أَغَانِي العُرسِ رَجَعَ نُوحِ  
وَدُفِنَتْ عِنْدَ تَبَلُّجِ الإِصْبَاحِ      كُفِّنَتْ فِي لَيْلِ الزَّفَافِ بِثَوْبِهِ  
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَسَكْرَةٍ صَاحِ      شُيِّعَتْ مِنْ هَلَعِ بَعْبَرَةٍ ضَاحِكِ  
وَبَكَتْ عَلَيكَ مَآذِنٌ وَمَنَابِرٌ      ضَجَّتْ عَلَيكَ مَآذِنٌ وَمَنَابِرٌ

حيث استخدم شوقي الألفاظ الموحية بالحزن والغضب الشديد على ما آلت إليه أحوال المسلمين بعيد سقوط خيمة الخلافة ، فجاءت الألفاظ الموحية بالحزن عن طريق استخدام

(١) الشوقيات : ص ٢٠٣ .

(٢) السابق : ص ٢٠٣-٢٠٤ .

الصوت الحزين والذي يترك في الأسماع أثراً حزيناً ، ومن تلك الألفاظ : ( نواح ، نعت ، شيعت ، عبرة ، ضجت ، بكت ) .

وقد تأتي الصورة السمعية متكاملة مع صور بصرية أو شمعية كما في قصيدته التي يبث فيها شوقه لمصر وحنينه لها ، وحنه الشديد لفراقها ، وذلك في قوله : ( البسيط )

بِنَا فَلَمْ نَخْلُ مِنْ رَوْحِ يَرَاوِحُنَا      مِنْ بَرِّ مِصْرَ وَرِيحَانٍ يُغَادِينَا  
كَأَمْ مُوسَى عَلَى إِسْمِ اللَّهِ تَكْفَانَا      وَيَاسِمِهِ ذَهَبَتْ فِي السِّيمِ تُقْقِينَا  
وَمِصْرُ كَالكَرْمِ ذِي الْإِحْسَانِ فَكِهَةٌ      لِحَاضِرِينَ وَأَكْوَابٍ لِيَادِينَا  
يَا سَارِيَّ الْبَرْقِ يَرْمِي عَن جَوَانِحِنَا      بَعْدَ الْهُدُوءِ وَيَهْمِي عَن مَاقِينَا  
لَمَّا تَرَقَّرَقَ فِي دَمْعِ السَّمَاءِ دَمَاءً      هَاجَ الْبُكَاءُ فَخَضَبْنَا الْأَرْضَ بَاكِينَا<sup>(١)</sup>

والملاحظ في الأبيات السابقة اشتراك أكثر من صورة حسية في رسم المعنى الذي يريده الشاعر ، فمن الألفاظ الدالة على الصورة السمعية ( هاج ، البكا ، باكينا ، ترقرق ، الهدوء ) ومن الألفاظ الدالة على الصورة البصرية : ( ساري البرق ، يهمي ، مآقينا ، دمع ، دم ، فخصبنا ) ومن الألفاظ الدالة على الصورة الشمية : ( روح ، ريحان ) فقد اشتركت تلك الصور في رسم الصورة الحسية المتمثلة في حنين الشاعر وشوقه لوطنه وآلام غربته في منفاه .

### ٣- الصورة الشمية :

وهي الصورة المرتبطة بحاسة الشم ، وألفاظها تأخذ المتلقي في الجو النفسي للشاعر ، فيعيش معه كأنه يشم تلك الروائح التي يشمها الشاعر .

ومن أمثلة ذلك في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله : ( الطويل )

أَرِيحُ أَرِيحَ الْمِسْكِ فِي عَرَصَاتِهَا      وَإِنْ لَمْ أَرِحْ مَرَوَانَ فِيهَا وَلَا لَحْمًا<sup>(٢)</sup>

فقد وظف شوقي ألفاظاً دلت على حاسة الشم ، مثل : ( أريح ، أريح ، المسك ، أرح ) فقد ساعد ذلك الكم من الألفاظ الكثيرة في بيت واحد على رسم الصورة الشمية ، وإيصال المعنى المراد من قبل الشاعر في صورة حسية تجذب القارئ وتجعله يعيش جو القصيدة .

(١) الشوقيات : ص ٦٨١ .

(٢) السابق : ص ٥٥٠ .

ومن الأمثلة كذلك على تلك الصورة قوله : ( الطويل )

وَأَشْرَقَ نَوْرٌ تَحْتَ كُلِّ نَدِيَّةٍ      وَضَاعَ أَرِيحٌ تَحْتَ كُلِّ حَصَاةٍ<sup>(١)</sup>

وجاء ذلك في مدحه للرسول ( صلى الله عليه وسلم ) حيث وردت كلمة ( أريح ) والتي توحى بقوة الرائحة ، مما ساهم في إبراز فكرة الشاعر .

ومن ذلك أيضاً استعداده لجعل نفسه وقوداً للسفينة البخارية لتسير وترجعه إلى مصر ، فساعدته الصورة الشمية في إيصال معناه حيث يقول : ( الخفيف )

نَفْسِي مِرْجَلٌ وَقَلْبِي شِرَاعٌ      بِهِمَا فِي الدُّمُوعِ سِيرِي وَأَرْسِي<sup>(٢)</sup>

#### ٤ - الصورة الذوقية :

وهي الصورة التي تعتمد على حاسة التذوق ، وألفاظها تدل على الطعام والشراب فترسم صورة مناسبة لما يريده الشاعر من معانٍ .

ومن أمثلة ذلك قوله : ( الطويل )

نَزَلْتُ رُبَى الدُّنْيَا وَجَنَّاتِ عَدْنِهَا      فَمَا وَجَدْتُ نَفْسِي لِأَنْهَارِهَا طَعْمًا<sup>(٣)</sup>

فقد استخدم شوقي لفظ (طعماً) ليبين أنه لا يستسيغ وطناً غير وطنه ، ولا نهراً غير نهر النيل الذي ترعرع شوقي على ضفافه .

ومن الألفاظ الدالة على الصورة الذوقية قوله في اشتياقه لوطنه ، فالظماً أخذ منه كل مأخذ، حيث وظف لفظتي ( السلسبيل ، ظماً ) للدلالة على مدى حنينه لمصر ، فالسلسبيل مرتبط بالماء العذب الذي تطلبه كل الأنفس ، وذلك في قوله : ( الخفيف )

وَهَقَا بِالفُؤَادِ فِي سَلْسَبِيلٍ      ظَمًّا لِلِسَوَادِ مِنْ عَيْنِ شَمْسٍ<sup>(٤)</sup>

لقد ساعدت الصورة الحسية بمكوناتها كافة في توضيح مراد شوقي ، وإبراز الفكرة التي سيطرت على شعره في غربته وحنينه ، فجاءت الصور تجسيداً لمعاني الغربة والحنين من خلال توظيفه الصور البصرية والسمعية والشمية والذوقية وصوراً أخرى ، حيث جعلت المتلقي يتفاعل مع القصائد ويعيش في ظلالها .

(١) الشوقيات : ص ١٨٦ .

(٢) السابق : ص ٢٠٣ .

(٣) السابق : ص ٥٥٠ .

(٤) السابق : ص ٣٨٤ .

### المبحث الثالث : الموسيقى :

يتميز الشعر العربي بأنه شعر غنائي ، وذلك لأنه يعتمد على الموسيقى سواء أكانت خارجية أو داخلية ، فكان الشاعر القديم يغني الشعر غناءً ، فهم قد عرفوا الشعر بموسيقا خاصة تميزه عن غيره ، فالموسيقا " تزيد من انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها ، وتجعلنا نحس بمعانيها كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلاً عملياً واقعياً . هذا إلى أنها تهب الكلام مظهرًا من مظاهر العظمة والجلال ، تجعله مصقولاً مهذباً تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه ، وكل هذا مما يثير فينا الرغبة في قراءته وإنشاده وترديد هذا الإنشاد مراراً وتكراراً " (١) .

إنّ الموسيقى تنقسم إلى قسمين : قسم يختص بالوزن والقافية ، والآخر " قسم داخلي يتأسس على قيم صوتية أرحب من الوزن والقافية ، تتألف صوتياً داخل النسيج الشعري سواء أكان ذلك بتكرار الحروف أو الكلمات أو باستغلال إمكانات أخرى : كالتلوين الإيقاعي والبديع اللفظي والمعنوي وكل ما يوفر جرساً موسيقياً جميلاً ويصنع النغمية للقائد، وهذان القسمان يتداخلان ويتحدان معا في البناء الإيقاعي للشعر " (٢) .

أما عند الحديث عن موسيقا شوقي فخير من تحدث عن ذلك شوقي ضيف قائلاً : " ولا أبالغ إذا قلت إنني لا أستمع إلى قصيدة طويلة لشوقي حتى إخال كأنني أستمع حقاً إلى سمفونية ، فموسيقاه تتضخم في أذني وأشعر كأنها تتضاعف ، وكأنّ مجاميع من مهرة العازفين يشتركون في إخراجها ، وفي إيقاع نغماتها ، ولا أرتاب في أنّ ذلك يرجع إلى ضبطه البارح لآلات ألفاظه ، وذذبته الصوتية ، وليست المسألة مسألة حذق أو مهارة فحسب ، بل هي أبعد من ذلك غوراً ، هي نبوغ وإلهام ، وإحساس عبقرى بالبناء الصوتي للشعر ، وهذه الروعة في الموسيقى تقترن بحلاوة وعذوبة لا تعرف في عصرنا لغير شوقي ، وربما كانت آيته الكبرى في صناعته ، فأنت مهما اختلفت معه في تقدير شعره ، لا تسمعه حتى ترهف له أذنك ، وحتى تشعر كأنما يحدث ثقباً ، هي ثقب الصوت الصافي الذي تهدر به المياه بين الصخور ، والصوت يعلو تارة فيشبه زئير البحار حين يهيج ، وينخفض تارة فيشبه قطرات الفضة التي تسقط من مجاديف الزوارق ، وهي تجري سابعة على صفحة النيل " (٣) .

ويصف موسيقاه في موضع آخر فيقول : " وربما كانت موسيقاه أروع خصاله الفنية، فلا تستمع إلى شيء من شعره حتى تعرفه، وإن لم يذكر لك اسمه ما دامت أذنك قد تعودت سماع شعره، وثبتت في نفسك نغماته التي تتوالى نغمة حلوة بجانب نغمة حلوة. ولا نغلو إذا قلنا: إن

(١) موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٢ م ، ص ١٤ .

(٢) تجربة العربية والحنين عند ابن خفاجة : فتيحة دخمش ، ص ١٨٨ .

(٣) شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص ٤٤ .

شعره يؤلف أروع ألحان عرفت في عصرنا الحديث؛ إذ نراه يعتصر من الألفاظ والأساليب خير ما فيها من ألحان، تسعفه في ذلك فطرة موسيقية رائعة، تقيس قياساً دقيقاً ذبذبات الحروف والحركات وتآلف النغم في الألفاظ والكلمات" (١).

### المطلب الأول : الموسيقى الخارجية :

وهي التي تتمثل في الوزن والقافية وما يشكلانه من إيقاع خارجي عام للقصيدة ، وعند الحديث عن الموسيقى الخارجية فيجب تناول الوزن والقافية .

#### ١- الوزن :

أما الوزن فهو خاص بالبحور الشعرية متضمناً القافية وفي ذلك يقول ابن رشيق القيرواني : "الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة" (٢) . فالوزن هو أساس الشعر ، فلا شعر بغير وزن ، ومن مميزات الوزن أنك تحفظ أبياتاً من الشعر ولا يمكنك حفظ النثر إلا قليلاً ، وذلك يرجع للموسيقا التي يكونها وزن البيت الشعري ، وهذا ابن سنان الخفاجي يذكر المفاضلة بين النثر والشعر فيقول : " أما التفضيل بين النظم والنثر فالذي يصلح أن يقوله من يفضل النظم أن الوزن يحسن الشعر ويحصل للكلام به من الرونق ما لا يكون للكلام المنثور ، ويحدث عليه من الطرب في إمكان التلحين والغناء به ما لا يكون للكلام المنثور ولهذه العلة ساغ حفظه أكثر من حفظ المنثور" (٣).

جاءت أوزان شوقي في شعر الغربية والحنين على أوزان الخليل ، فقد نظم شوقي في شعر الغربية والحنين على البحور الآتية : ( الطويل ، البسيط ، الوافر ، الكامل ، الهزج ، الرجز ، الرمل ، السريع ، الخفيف ، المتدارك ) حيث كان نظمه على تلك البحور بصورة متفاوتة ، ويمكن تبيان ذلك وفق جدول إحصائي يبين أوفر البحور حظاً في غرض الغربية والحنين عند شوقي ، وذلك وفق الجدول الآتي مع النسب المئوية على كل بحر :

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر : شوقي ضيف ، ص ١١٥ .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل - بيروت ، ط ٥ ، ١٩٨١ م ، ١ / ١٣٤ .

(٣) سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٨٧ .

| البحر    | عدد وروده | نسبته المئوية |
|----------|-----------|---------------|
| الكامل   | ٢١        | %٢٧.٢         |
| الطويل   | ١٥        | %١٩.٤         |
| الوافر   | ١٥        | %١٩.٤         |
| البسيط   | ١٣        | %١٦.٨         |
| الخفيف   | ٣         | %٣.٨          |
| الرجز    | ٣         | %٣.٨          |
| الرمل    | ٣         | %٣.٨          |
| المتدارك | ٢         | %٢.٥          |
| السريع   | ١         | %١.٢          |
| الهبج    | ١         | %١.٢          |

فالملاحظ من الجدول السابق أن بحر الكامل حظي باهتمام كبير من قبل شوقي في نظمه لغرض الغربة والحنين ، وهذا يتماشى مع منهج شوقي في التعامل مع البحور ، " فأول البحور التي نظم عليها شوقي أكثر شعره البحر الكامل وقد ورد عليه ما يقرب ثلث شعره ، فقد نظم عليه شوقي في كل الأغراض ، فبحر الكامل التام ثلاثون مقطعاً ، وهو أكبر بحور الشعر جلجلة وحركات وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله إن أريد به الجد ، فحماً جليلاً ، مع عنصر ترنمي ظاهر ، ويجعله إن أريد به الغزل ، وما بمجره من أبواب اللين والرقه حلواً مع صلصلة كصلصة الجرس .. وهو بحر كأنما خلق للتغني المحض سواء به جد أم هزل ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف والصور حتى لا يمكن فصله عنها بحال" (١) .

ثم يأتي في المرتبة الثانية بحر الطويل وبحر الوافر وهذان البحران يتميزان باستخدامهما الأوفر حظاً عند الشعراء ، فبحر الطويل يتميز بطول تفعيلاته التي تسمح للشاعر من بث أحزانه في غربته واغترابه ، والتعبير بحرية مطلقة عن حنينه وقد جاء ثلث الشعر العربي عليه ، وبحر الوافر بتفعيلاته ساعدت شوقي في إظهار ما يعانیه من غربة وحنين ، ولعل إبراهيم أنيس ربط بين المعاني المرادة وكيفية نظمها على البحور المختلفة ، فيقول : " على أننا نستطيع ونحن

(١) ينظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، الكويت ، ١٩٨٩ م - ١٤٠٩ هـ ، ٣ ، ٣٠٢/١-٣٠٣ . ظواهر عروضية من الشوقيات ، محمد عبد المجيد الطويل ، مجلة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٤ م ، ص ١٠٢-١٠٤ .

مطمئنون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع صب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية " (١) . وقد أشار حازم القرطاجني إلى ذلك في معرض حديثه عن المعاني المرتبطة بالأوزان والبحور الشعرية ، فيقول : " ولما كانت أغراض الشعر شتى وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير، وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس. فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصدا هزلياً أو استخفافياً وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصد " (٢).

## ٢ - القافية :

القافية هي المقطع الصوتي الذي ينتهي به البيت الأول من القصيدة ، والذي سوف يتكرر في نهاية كل بيت منها ، مادامت القصيدة في هذا الطراز الملتزم بوحدة الوزن والقافية ، وهذا المقطع الصوتي قد حدده الأخفش بالكلمة الأخيرة من البيت، وحدده الخليل من آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله (٣) .

ويعرفها إبراهيم أنيس فيقول : " ليست القافية إلا عدة أصوات تتكون في أواخر الأَشْطَر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن " (٤)

وقد اختلف منذ القدم على تحديد القافية في البيت ، ولكن الأنسب أن يُأخذ بأصغر صورة للقافية والمتواترة في القصيدة كلها ، والركيزة الأساسية للقافية هي حرف الروي ، فالقصيدة تنسب إليه ، فيقال سينية ، لامية ، وهكذا .

(١) موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني ، ص ٢٦٦ .

(٣) محاضرات في العروض والقافية : د. علاء إسماعيل الحمزاوي ، دار التيسير للطباعة والنشر بالمنيا ٢٠٠٢ ، ص ١١٥ .

(٤) موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، ص ٢٤٤ .



أما القافية عند شوقي فقد تنوعت حروف الروي عنده ، وجاءت حروف الروي متمثلة في أربعة عشر حرفاً هي : ( الميم ، النون ، اللام ، الباء ، القاف ، الراء ، الدال ، التاء ، الحاء ، العين ، الكاف ، الهمزة ، الياء ، السين ) وجاء نسبة ورودها وفق الجدول الإحصائي الآتي والنسب المئوية لكل حرف :

| حروف القوافي أو حروف الروي | عدد وروده | نسبته المئوية |
|----------------------------|-----------|---------------|
| الميم                      | ١٢        | %١٥.٥         |
| النون                      | ١٠        | %١٢.٩٨        |
| اللام                      | ٩         | %١١.٦         |
| الباء                      | ٧         | %٩            |
| القاف                      | ٧         | %٩            |
| الراء                      | ٦         | %٧.٧٩         |
| الدال                      | ٥         | %٦.٤          |
| التاء                      | ٤         | %٥.١          |
| الحاء                      | ٤         | %٥.١          |
| العين                      | ٤         | %٥.١          |
| الكاف                      | ٣         | %٣.٨          |
| الهمزة                     | ٣         | %٣.٨          |
| الياء                      | ٢         | %٢.٥          |
| السين                      | ١         | %١.٢٩         |

إنَّ الملاحظ من الجدول السابق أن حرفي الميم والنون قد حازا على نسبة ( ٢٨ % ) وهذه نسبة عالية إذا ما قورنت بالحروف الأخرى ، ومن المعلوم أنهما حرفان مخرجهما من الخيشوم وتصاحبهما غنة ويدلان على كثرة الآلام عند الشاعر ، ويرجع ذلك إلى آهات الغربة التي عايشها شوقي ، ولهفة الحنين المسيطرة عليه . فالناظر إلى ديوان الشوقيات يجد " أن شوقي نظم قوافيه على جميع الحروف ما عدا ثمانية أحرف وهي <sup>(١)</sup> : التاء ، الجيم ، الخاء ، الدال ، الصاد ، الطاء ، الظاء ، الغين . وهذه الحروف من الحروف النافرة والحوشية المهجورة التي قل أن نجد عليها شعراً " <sup>(٢)</sup>.

(١) نظم على حرف الزاي مقطوعة من ثلاثة أبيات ، أما حرف الشين فنظم عليه قصيدة واحدة فقط .

(٢) ينظر : ظواهر عروضية من الشوقيات ، محمد عبد المجيد الطويل ، ص ١٠٨-١٠٩ .

أما في شعر الغربة والحنين فقد أضاف شوقي لتلك الأحرف ستة هي : الزاي ، والشين ، الهاء ، الألف ، الضاد ، الفاء .

والملاحظ من خلال دراسة القافية عند شوقي أنه عمد إلى اختيار القافية التي تتلاءم والجو النفسي الذي يعيشه ، فابتعد كل البعد عن القوافي التي تؤثر سلباً على موسيقا القصيدة وتتفر المتلقي منها .

### المطلب الثاني : الموسيقى الداخلية :

تتكون الموسيقى الداخلية بين ثنايا النص الشعري ، وتأتي من لغة الشاعر والعلاقة بين الكلمات من جهة والألفاظ من جهة أخرى ، ومهارة الشاعر تكمن في إضافته موسيقا داخلية على شعره ، فالموسيقا الداخلية مرتبطة بأسلوب الشاعر ووفرة ألفاظه وقوتها والجو النفسي الذي يعيشه ، والمعاني التي يبثها داخل قصيدته ، حيث تتكون الموسيقى الداخلية من التصريح والطباق والمقابلة والتكرار والجناس .

أما شوقي فقد ملك مقاليد اللغة ومفاتيحها ، وأضفى على شعره لوناً خاصاً تميز عن غيره من شعراء عصره والأقدمين ، لما يحتويه من سلاسة في الألفاظ تجعل المتلقي يبحر في أشعاره ولا يملها ، ومن أمثلة الموسيقى الداخلية في شعر الغربة والحنين عند أحمد شوقي ما يأتي:

### ١ - التصريح :

عرفه ابن رشيق القيرواني قائلاً : " هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه: تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته " (١) ، وقد اهتم شوقي بهذه الظاهرة في شعره ، وكانت أشد ظهوراً في القصائد المتكاملة التي نظمت في الغربة والحنين ، ومن أمثلة ذلك قوله في مطلع سينيته في بلاد الأندلس : ( الخفيف )

إِخْتِلَافُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ يُنْسِي      أَذْكَرًا لِي الصَّبَا وَأَيَّامَ أَنْسِي (٢)

فقد جاءت كلمة ( ينسي ) في نهاية صدر البيت متناغمة مع كلمة ( أنسي ) في عجز البيت ، مما زاد من الموسيقى الداخلية للبيت ، وأعطى عاملاً مهماً لجذب انتباه المتلقي .  
ومن ذلك قوله : ( الكامل )

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني ، ١٧٣/١ .

(٢) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

شَيِّعْتُ أَحْلَامِي بِقَلْبٍ بَاكِ      وَلَمَحْتُ مِنْ طُرُقِ الْمِلَاحِ شِبَاكِي (١)  
 ويقول أيضاً : ( البسيط )  
 يَا نَائِحَ الطَّلَحِ أَشْبَاهَ عَوَادِينَا      نَشْجِي لَوَادِيكَ أَمْ نَأْسِي لَوَادِينَا (٢)

## ٢- التكرار :

التكرار لغة : " كَرَّرَ عَلَيْهِ يَكْرُرُ كَرًّا وَكُرُورًا وَتَكَرَّرًا عَطْفَ وَكَّرَّ عَنْهُ رَجَعُ وَكَرَّرَ عَلَى الْعَدُوِّ يَكْرُرُ وَرَجُلٌ كَرَّارٌ وَمَكْرَرٌ وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ وَكَرَّرَ الشَّيْءَ أَعَادَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَالكَرَّةُ الْمَرَّةُ وَالْجَمْعُ الْكَرَّاتُ وَيُقَالُ كَرَّرْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وَكَرَّرْتُهُ إِذَا رَدَّدْتَهُ عَلَيْهِ " (٣)

والمعنى الاصطلاحي لا يختلف كثيراً عن المعنى اللغوي ، فالتكرار إعادة الشيء مرة تلو الأخرى ، وقد يكون في الحرف أو الكلمة أو الجملة أو الصيغة .

ومن النقاد القدامى الذين تعرضوا للتكرار ابن سنان الخفاجي حيث يقول : " وما أعرف شيئاً يقدح في الفصاحة، ويغض من طلاوتها أظهر من التكرار لمن يؤثر تجنبه، وصيانة نسجه عنه. إذ كان لا يحتاج إلى كبير تأمل، لا دقيق نظر. وقلما يخلو واحد من الشعراء المجيدين أو الكتاب، من استعمال ألفاظ يديرها في شعره، حتى لا يخل في بعض قصائده بها. وربما كانت تلك الألفاظ مختارة، يسهل الأمر في إعادتها وتكريرها، إذا لم تقع إلا موقعها. وربما كانت على خلاف ذلك " (٤). فابن سنان يرى أن التكرار لا يوظفه إلا من كان ماهراً به ، ويجب ألا يطغى على المعنى العام فيفسد جمال النسيج الشعري .

ويرى إبراهيم أنيس أن : " تكرر الحروف ليس بالقبيح إلا حين يبالغ فيه ، وحين يقع في مواضع من الكلمات يجعل النطق بها عسيراً . فالمهارة هنا تكون في حسن توزيع الحرف حين يتكرر كما يوزع الموسيقي الماهر النغمات في نوتته . وليس يتأتى هذا لكل شاعر كما لا يكون مع كل الحروف " (٥).

ورد التكرار في شعر الغربة والحنين عند شوقي على عدة حالات ، فكان تكرار الحرف ، وتكرار الكلمة ، وتكرار الجملة ، وتكرار الصيغة .

(١) الشوقيات : ص ٤٦٦ .

(٢) السابق : ص ٦٨٠ .

(٣) لسان العرب : ابن منظور ، مادة ( كرر ) ، ١٣٥/٥ .

(٤) سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٢ ، ص ١٠٦ .

(٥) موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، ص ٣٩ .

أما تكرار الحرف فكان مصاحباً لدلالة أرادها الشاعر ، ومن أمثلة ذلك قوله : ( البسيط )

|  |  |
|--|--|
| يا نَائِحِ الطَّلَحِ أَشْبَاهُ عَوَادِينَا           | نَشَجِي لُوَادِيكَ أَمْ نَأْسَى لُوَادِينَا                  |
| مَازَا تُفْصُ عَلَيْنَا غَيْرَ أَنْ يَدَا            | قَصَّتْ جَنَاحَكَ جَالَتْ فِي حَوَاشِينَا                    |
| رَمَى بِنَا الْبَيْنُ أَيْكَأَ غَيْرَ سَامِرِنَا     | أَخَا الْغَرِيبِ وَظِلًّا غَيْرَ نَادِينَا                   |
| كُلُّ رَمْتِهِ النَّوَى رِيَشَ الْفِرَاقِ لَنَا      | سَهْمًا وَسُلَّ عَلَيْكَ الْبَيْنُ سَكِينَا                  |
| إِذَا دَعَا الشُّوقُ لَمْ نَبْرَحْ بِمُنْصَدِعِ      | مِنْ الْجَنَاحِينَ عَيِّ لَا يُلْبِينَا                      |
| فَإِنْ يَكُ الْجِنْسُ يَا ابْنَ الطَّلَحِ فَرَّقْنَا | إِنَّ الْمَصَائِبَ يَجْمَعَنَّ الْمُصَابِينَا <sup>(١)</sup> |

فالملاحظ في الأبيات السابقة تكرار الشاعر لحرف النون الذي تكرر ما يقارب ثلاثين مرة؛ ليعطي إيقاعاً موسيقياً مميزاً ، فحرف النون مخرجه من الخيشوم مما يعطي دلالة على الحزن الشديد الملقى على روح الشاعر وخياله ، وتكرر حرف الحاء كذلك سبع مرات ليدل على مدى الحرقه والألم الذي يعانيه الشاعر .

ومن أمثلة تكرار الحرف قوله : ( الخفيف )

|   |   |
|---|---|
| إِخْتِلَافُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ يُنْسِي  | أَذْكَرَ لِي الصِّبَا وَأَيَّامَ أَنْسِي                  |
| وَصِيفَا لِي مُلَاوَةٌ مِنْ شَبَابِ         | صُورَتِ مِنْ تَصَوُّرَاتٍ وَمَسِّ                         |
| عَصَفَتِ كَالصِّبَا اللَّعُوبِ وَمَرَّتِ    | سِنَّةً حُلُوءَةً وَوَلَدَةً حَلَسِ                       |
| وَسَلَا مِصْرَ هَلْ سَلَا الْقَلْبُ عَنْهَا | أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمَانَ الْمُؤَسِّي <sup>(٢)</sup> |

لقد أكثر شوقي في الأبيات السابقة من تكرار حرف السين وساعده في ذلك وجود القافية ، مما أنتج موسيقياً خاصة أثرت بالإيجاب على النص ، ومما زاد من الإيقاع للنص وجود عدد من الحروف المشتركة في صفة الصفير وهي : حرف السين تكرر تسع مرات ، وحرف الصاد تكرر سبع مرات ، والأصوات الصفيرية تنتج موسيقياً حزينة تتلاءم والجو النفسي للشاعر .

(١) الشوقيات : ص ٦٨٠ .

(٢) السابق : ص ٣٨٤ .

ففي الأبيات السابقة ترى انسياً موسيقياً كما ينساب الجدول الهادئ ، فالموسيقا فيها خفيفة محبوبة لا تكاد تسمعها الأذان حتى تتلقفها القلوب ، والتي يعجب بها الخاصة والعامة ويطربون لها مثل ( قلنس ) للمؤلف الموسيقي ( اشتراوس ) (١).

أما تكرار الكلمة فالأمثلة عليه كثيرة في شعر الغربة والحنين ، ومن ذلك قوله : ( الوافر )  
فَصَفْحًا لِلزَّمَانِ لِصُبْحِ يَوْمٍ      بِهِ أَضْحَى الزَّمَانُ إِلَيَّ ثَابَا (٢)  
فقد وظف الشاعر كلمة الزمان في موضعين ، وذلك ليؤكد على أنَّ الزمان ظلّمه فترة من العمر عندما قضى خمس سنوات من عمره في المنفى ، وها هو اليوم يصفح عن الزمان بعدما سمح له بالعودة إلى وطنه .

ومن تكرار الكلمة ما يجمع بين كلمتين مكررتين في بيت واحد ومن ذلك قول الأمير :  
( الوافر )

أُحِبُّكَ مِصْرُ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِي      وَحُبُّكَ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ نَامِي  
سَيَجْمَعُنِي بِكَ التَّارِيخُ يَوْمًا      إِذَا ظَهَرَ الْكِرَامُ عَلَى اللَّيَامِ  
لِأَجْلِكَ رُحْتُ بِالدُّنْيَا شَقِيًّا      أَصْدُ الْوَجْهَ وَالِدُنْيَا أَمَامِي  
والملاحظ تكرار كلمة ( قلب ) مرتين في البيت الأول ، وتكرار كلمة ( حبك ) وذلك على سبيل التوكيد على أن مصر حبها ساكن في القلب ، لا يمكن لأحد أن ينهي تلك العلاقة ، وذلك يؤكد على ارتباط الشاعر بوطنه وتعلقه به .

ومن ذلك قوله : ( البسيط )  
فَلَا الْأَذَانُ أَذَانٌ فِي مَنَارَتِهِ      إِذَا تَعَالَى وَلَا الْأَذَانُ أَذَانٌ (٣)

ورد عند شوقي التكرار المزدوج للكلمات في البيت الواحد ومثال ذلك قوله : ( الوافر )  
حَنَنْتِ إِلَى الطَّبِيعَةِ دُونَ مِصْرٍ      وَقُلْتِ لَدَى الطَّبِيعَةِ أَيْنَ مِصْرُ (٤)  
حيث جاءت كلمة الطبيعة مكررة مرتين ، وكلمة مصر مكررة مرتين كذلك ، وكما ذكر آنفاً هو دليل على تعلق الشاعر بوطنه مصر .

(١) بتصرف : موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص ٤٠ .

(٢) الشوقيات : ص ١٠٥-١٠٦ .

(٣) السابق : ص ٧٠١ .

(٤) السابق : ص ٣١٣ .

أما تكرار الجملة في البيت الواحد من النص قول شوقي في نشيده لمصر وإصراره على جعل مصر منارة عالمية لا تقبل الضيم والقهر : ( المتدارك )

سَعِيًّا أَبَدًا سَعِيًّا سَعِيًّا      لِأَثِيْلِ الْمَجْدِ وَلِلْعَالِيَا  
وَلَنَجْعَلَ مِصْرَ هِيَ الدُّنْيَا      وَلَنَجْعَلَ مِصْرَ هِيَ الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>

فقد كرر شوقي جملة ( وَلَنَجْعَلَ مِصْرَ هِيَ الدُّنْيَا ) مما أضاف موسيقيا سلسلة تقبلها النفس والأذن ، وجاء كذلك تكرار للكلمة ( سعيًّا ) في الشطر الأول من البيت الأول ثلاث مرات؛ للتأكيد على العزم والهمة العالية .

أما عن تكرار الصيغة وهو تكرار لأسلوب ما، مثل : استخدامه لأسلوب الشرط أكثر من مرة فنراه في قوله : ( الكامل )

فَإِذَا سَخَوْتَ بَلَغْتَ بِالْجُودِ الْمَدَى      وَفَعَلْتَ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَنْوَاءُ  
وَإِذَا عَفَوْتَ فَقَادِرًا وَمُقَدَّرًا      لَا يَسْتَهِينُ بِعَفْوِكَ الْجُهْلَاءُ  
وَإِذَا رَجِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ      هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الزُّحْمَاءُ  
وَإِذَا غَضِبْتَ فَأَنْتَ مَا هِيَ غَضَبَةٌ      فِي الْحَقِّ لَا ضِغْنٌ وَلَا بَغْضَاءُ  
وَإِذَا رَضِيتَ فَذَاكَ فِي مَرْضَاتِهِ      وَرِضَى الْكَثِيرِ تَحْلُمٌ وَرِيَاءُ  
وَإِذَا حَطَبْتَ فَلِلْمَنَابِرِ هِزَّةٌ      تَعْرُو النَّدِيَّ وَلِلْفُلُوبِ بُكَاءُ<sup>(٢)</sup>

حيث كرر شوقي أسلوب الشرط ست مرات باستخدام الحرف ( إذا ) مما عمل على إنتاج موسيقيا ظاهرة بغير تكلف ولا اصطناع ، وأفاد في توضيح الدلالة والتأكيد على صفات سيد الخلق محمد ( صلى الله عليه وسلم ) .

ومثال آخر على تكرار الصيغة في قوله : ( الطويل )

صَحَا الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ حُومَارِ أَمَانِي      يُجَاذِبُنِي فِي الْغَيْدِ رَثَّ عِنَانِي  
حَنَانِيكَ قَابِي هَلْ أُعِيدُ لَكَ الصَّبَا      وَهَلْ لِلْفَتَى بِالْمُسْتَحِيلِ يَدَانِ

(١) الشوقيات : ص ٦٨٧ .

(٢) السابق : ص ٣٤ .

تَحُنُّ إِلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطَيْبِهِ      وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مِنْ دَمٍ وَحَنَانٍ<sup>(١)</sup>

حيث كرر الشاعر أسلوب الاستفهام باستخدامه للحرف ( هل ) ؛ ليدلل على شدة حنينه من خلال موسيقا تطرب المتلقي وتجذبه للنص الشعري .

### ٣- الطباق :

يعرف الطباق عند أهل البديع بأنه : " الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر "<sup>(٢)</sup> . فالطباق يولد جرساً موسيقياً خفياً من خلال وجود كلمتين متضادتين ، والتضاد الحاصل بين ذلك المعنيين يعمل على إبراز المعنى وتوضيحه وترسيخ الفكرة المرادة في النسيج الشعري ، فنجد ذلك عند كثير من الشعراء ؛ لأنه محسن بديعي يساهم في إيصال الفكر والمعاني للمتلقي بدون عناء .

لقد تكرر الطباق كثيراً عن شوقي في شعر الغربة والحنين مما أضفى على هذا الشعر سمة غالبية ، ولجوء شوقي لهذا النوع دليل على اضطراب الجو النفسي عنده ، فهو يريد أموراً غير الواقعة أمامه ، ومن تلك الأمثلة على الطباق قوله : ( الطويل )

أرِقْتُ وَعَادَتْنِي لِذِكْرِي أَحِبَّتِي      شُجُونٌ قِيَامٌ بِالضُّلُوعِ قُعودُ  
وَمَنْ يَحْمِلِ الْأَشْوَاقَ يَتَعَبُ وَيَخْتَلِفُ      عَلَيْهِ قَدِيمٌ فِي الْهَوَى وَجَدِيدُ  
لَقَيْتَ الَّذِي لَمْ يَلِقَ قَلْبٌ مِنَ الْهَوَى      لَكَ اللَّهُ يَا قَلْبِي أَنْتَ حَدِيدُ  
وَلَمْ أَخْلُ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْكَ وَرِقَّةٍ      إِذَا حَلَّ غَيْدٌ أَوْ تَرَحَّلَ غَيْدُ<sup>(٣)</sup>

والملفت للنظر في تلك الأبيات كثرة الكلمات المتطابقة ، حيث جاءت مجموعة كلمات مثل : (قيام و قعود ) و ( قديم وجديد ) و ( حلٌّ و ترحل ) ، ومما زاد من الموسيقا في البيت الرابع وجود الجناس الناقص بين الكلمتين المتطابقتين ، والمتفحص في موسيقا الأبيات السابقة يجد مدى قوتها النابعة من وفرة الطباق فيها .

(١) الشوقيات : ص ٧١٣ .

(٢) علم البديع : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ص ٧٧ .

(٣) الشوقيات : ص ٢٤٤ .

ومن الأمثلة على الطباق قوله : ( البسيط )

فَإِنْ يَكُ الْجِنْسُ يَا ابْنَ الطَّلْحِ فَرَقْنَا      إِنَّ الْمَصَائِبَ يَجْمَعَنَّ الْمُصَابِينَا<sup>(١)</sup>

حيث جاء كلمة ( فرقنا ) وكلمة ( يجمعن ) متطابقتين ، مما يزيد من إبراز الفكرة وتوضيح المعنى الذي يريد الشاعر ناهيك عن الجرس الموسيقي الذي أحدثه التضاد .

ومن التضاد ما يتفق مع الجناس فيزيد في المعنى والإيقاع الموسيقي ، ومن ذلك قوله :

( المتقارب )

وَعَالَ الْحَدَائِثَ شَرَحُ الشَّبَا      بَ وَلَوْ شَيَّتِ الْمُرْدُ فِي الشُّبِّبِ<sup>(٢)</sup>

فقد جاء الطباق بين كلمتي ( الشباب ) و ( الشيب ) .

#### ٤ - المقابلة :

يعرفها ابن رشيق القيرواني حيث يقول : " هي ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه . وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدّين كان مقابلة " <sup>(٣)</sup> ويعطي عبد العزيز عتيق تعريفاً لها فيقول : " أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب " <sup>(٤)</sup> .

ومن أمثلة المقابلة في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله : ( الخفيف )

أَحْرَامٌ عَلَيَّ بِلَابِلِهِ الدَّو      حُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ<sup>(٥)</sup>

لقد جاءت المقابلة هنا لفظية ومعنوية ، فشوقي يتوجع من منعه دخول وطنه ، بينما المستعمر يتلذذ بخيرات الوطن ، فجاء التضاد بين كلمة ( حرام و حلال ) ومن حيث الدلالة بين كلمة ( بلبله ) والمقصود بها أبناء مصر ، وكلمة ( الطير ) والمقصود بها المحتل والأجانب الذين استباحوا مصر وكل خيراتها وطرّدوا أبناءها .

ويقول أيضاً : ( الخفيف )

وَطَنِي لَوْ شُغِنْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ      نَارَعَتَنِي إِلَيْهِ فِي الْخُلْدِ نَفْسِي<sup>(١)</sup>

(١) الشوقيات : ص ٦٨٠ .

(٢) السابق : ص ١٥٢ .

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني ، ١٥/٢ .

(٤) علم البديع : عبد العزيز عتيق ، ص ٨٦ .

(٥) الشوقيات : ص ٣٨٤ .



والمقابلة هنا بين ( شغلت عنه ) و ( نازعتني إليه ) فالمقابلة تعطي جرساً موسيقياً تتلذذ النفس عند سماعه ، ويشدها للتفاعل مع جو النص .

#### ٥ - الجناس :

تعريفه اصطلاحاً : " هو تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى ، ويسمى التجانس والتجنيس " (٢)

والجناس أداة موسيقية تبعث في النفس تعلقاً بالنص الشعري لما يتركه من أثر واضح في المتلقي ، فقد استخدم شوقي الجناس بجميع أشكاله مما أضفى على شعره بريقاً من نوع خاص وموسيقاً ظاهرة جليلة سلسلة ، ومن أمثلة الجناس في شعره قوله : ( الخفيف )  
وَسَلَا مِصْرَ هَلْ سَلَا الْقَلْبُ عَنْهَا      أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمَانَ الْمُؤَسِّي (٣)

فقد ورد الجناس التام بين كلمتي ( سلا ) والتي بمعنى (أسألاً) ، وكلمة ( سلا ) والتي بمعنى (نسي وصبر) ، فالملاحظ مدى قوة الموسيقى التي أحدثها هذا الجناس .

وقوله أيضاً : ( الخفيف )

نَفْسِي مِرْجَلٌ وَقَلْبِي شِرَاعٌ      بِهِمَا فِي الدُّمُوعِ سِيرِي وَأَرْسِي (٤)

فالملاحظ في البيت السابق عدد من النواحي التي أخرجت البيت في أجمل حلة ، فقوة الإيقاع نابعة من الجناس الناقص بين كلمتي ( سيري ) و ( أرسى ) وكذلك اتحاد الجناس مع الطباق بين الكلمتين ، ويبرز في البيت السابق مظهر موسيقي رائع وذلك في حسن التقسيم في الشطر الأول من البيت ، حيث وردت جملتان تامتان تتكون كل واحدة منهما من مبتدأ وخبر ، في قوله : ( نَفْسِي مِرْجَلٌ وَقَلْبِي شِرَاعٌ ) مما زاد من جمال البيت ورونقه .

#### ٦ - التقسيم :

التقسيم فن من فنون البديع المعنوي، وهو في اللغة مصدر قسّمت الشيء إذا جرّأته أما في الاصطلاح فاختلفت فيه العبارات، والكل راجع إلى مقصود واحد (١) .

(١) السابق : ص ٣٨٤ .

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب ، ٣١٣/٢ .

(٣) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

(٤) السابق : ص ٣٨٤ .

ويرى عبد العزيز عتيق أن التقسيم يرد على ثلاثة أقسام (٢):

أ- استيفاء جميع أقسام المعنى، وقد ينقسم المعنى إلى اثنين لا ثالث لهما، أو إلى ثلاثة لا رابع لها، أو إلى أربعة لا خامس لها، وهكذا .

ب- يتمثل في ذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل حالة ما يلائمها ويليق بها.

ج- يتمثل في التقطيع، ويقصد به تقطيع ألفاظ البيت الواحد من الشعر إلى أقسام تمثل تفعيلاته العروضية، أو إلى مقاطع متساوية في الوزن. ويسمى التقسيم حينئذ ( التقسيم بالتقطيع ) .

أما التقسيم في شعر الغربة والحنين عند شوقي فيظهر في بعض القصائد ، ومن أمثلة ذلك قوله : ( الطويل )

إِذَا جَنَّنِي اللَّيْلُ اهْتَزَزْتُ إِلَيْكُمْ      فَجَنَحْنَا إِلَى سَعْدِي وَجَنَحْنَا إِلَى سَلْمَى  
وَحَنَنْتُ نَوَاقِيسٍ وَرَنَنْتُ مَادِنٌ      وَرَقَّتْ وُجُوهُ الْأَرْضِ تَسْتَقْبِلُ السُّلْمَى (٣)

فقد جاء حسن التقسيم في الشطر الثاني من البيت الأول ، وفي صدر البيت الثاني في قوله ( وَحَنَنْتُ نَوَاقِيسٍ وَرَنَنْتُ مَادِنٌ ) .

وكذلك جاء في قوله : ( الخفيف )

نَفْسِي مِرْجَلٌ وَقَلْبِي شِرَاعٌ      بِهِمَا فِي الدُّمُوعِ سِيرِي وَأُرْسِي (٤)

فحسن التقسيم ورد في الشطر الأول من البيت ، فقد جعل جملتين منفصلتين مكونتين من مبتدأ وخبر ، وفق تقطيع موسيقي خاص .

(١) علم البديع : عبد العزيز عتيق ، ص ١٣٤ .

(٢) علم البديع : عبد العزيز عتيق ، ص ١٣٧-١٤٠ .

(٣) الشوقيات : ص ٥٥٠ .

(٤) السابق : ص ٣٨٤ .

## الخاتمة

من خلال الغوص في شعر الغربة والحنين عند شوقي والتعرف إلى أسبابه ونتائجه ،  
ودراسة فنية لخصائص هذا الغرض ، فقد توصلت الدراسة إلى أهم النتائج حيث جاءت على  
النحو الآتي :

١- إنَّ النفي الذي تعرض إليه شوقي جعله يعيش حياة الغربة بكل ما تحتويها من آلام  
وحرقة ، وذلك أثار على شعره ، فأنتج شعراً مختلفاً عن سابقه ، ممتلئاً بالعواطف  
الجياشة التي تبعث في النفس الحنين الصادق إلى الوطن ، فكانت تلك الفترة مرحلة  
تحول في حياة شوقي .

٢- ارتبط حنين شوقي بمسببات الغربة نفسها ، فالغربة عن الوطن جلبت الحنين إلى الوطن  
وإلى الأهل والأصدقاء ، والشعور بالاغتراب النفسي أنتج حنيناً إلى الذكريات الجميلة  
وفترة الشباب ، أما واقع الأمة الإسلامية والعربية فأخذ حنين ديني لأيام النبي ( صلى  
الله عليه وسلم ) فكانت المدائح النبوية والشوق لعصر الفتوحات الإسلامية ، ومن ذلك  
أيضاً حنينه للمحبوب .

٣- اتسمت قصائد شوقي في غربته بالحنين الجارف إلى الوطن ، حيث عرفت تلك القصائد  
بالأندلسيات ، وتميزت بقوة معانيها وصدق عاطفتها ، وإن جاز وصفها فإنها من أجمل  
قصائد شوقي على الإطلاق .

٤- اختلف أسلوب شوقي في غرض الغربة والحنين بالقوة ، حيث كانت الألفاظ المباشرة  
للغربة والحنين ظاهرة جلية ، ومما زاد من وضوحها كثرة الألفاظ الموحية بالغربة  
والحنين .

٥- تنوعت الأساليب الإنشائية الطليبية عند شوقي من ( نداء ، وأمر ، واستفهام ، وتمنٍ )  
وذلك بسبب حنينه الشديد ورفضه الغربة والاغتراب .

٦- جاءت الصورة الشعرية قوية في شعر الغربة والحنين ، فالصورة البيانية شملت النواحي  
البلاغية وقوة التشبيه مع الدلالة القطعية على شدة حنين شوقي .

٧- رسم شوقي صوراً حسية لمعاناته في الغربة ، حيث أسهمت في توضيح عواطفه الجياشة  
الكامنة في صدره ، مما أوحى للمتلقي بما يشعر الشاعر من حنين صادق نابع من  
عواطف صادقة .

٨- من الظواهر الأسلوبية الظاهرة في شعر الغربة والحنين التناص ، وذلك بتأثره بالدين  
والأدب العربي والتاريخ الإسلامي ، مما كشف عن الثقافة الواسعة التي يتمتع بها شوقي  
والتي أسهمت في إبراز أحاسيسه ومشاعره .

٩- اعتمد شوقي في غرض الغربة والحنين على مجموعة من الأبحر الشعرية ، وكان أوفرها حظاً بحر الكامل فالطويل والوافر ثم البسيط ، وإن دل ذلك فيدل على استخدامه للبحور التي تتسع لبث الشكوى من خلالها إما لطول تفعيلاتها أو لسرعة إيقاعها .

١٠- عمد إلى اختيار القافية التي تتلاءم والجو النفسي الذي يعيشه ، وابتعد كل البعد عن القوافي التي تؤثر سلباً على موسيقا القصيدة وتنفّر المتلقي منها ، حيث حاز حرفا الميم والنون على الكم الأكبر ، وذلك تعليه أن كلا الحرفين يشتركان في خروجهما من الخيشوم والذي يحمل دلالة الحزن والأسى ، وهذا يتلاءم مع الجو النفسي الذي عاشه الشاعر .

١١- ورد التكرار بصورة كبيرة ، سواء بكثرة الحروف التي تحمل دلالة الحزن والحرقة ، أو بالكلمة ، أو بالجملة ، أو بالصيغة ، وذلك مساعدة للغرض الذي من أجله نظمت القصائد المتنوعة .

١٢- تعددت المحسنات البديعية في هذا الغرض مما زاد من الإيقاع الموسيقي المنسجم وبنية النص .

## فهرس الآيات

| الصفحة | الآية  | رقم الآية | السورة   |
|--------|--|-----------|----------|
| ١٣٨    | إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ<br>بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ<br>النَّعِيمِ   | ٩         | يونس     |
| ١٤٠    | وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ<br>أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا  | ٢٤        | الإسراء  |
| ٩٤     | أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا   | ٤٦        | الكهف    |
| ٦٦     | وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۗ وَكَانَ تَقِيًّا  | ١٣        | مريم     |
| ١٣٩    | فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى<br>شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْئُتُ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا<br>فَبَدَّتْ لُهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ<br>وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ<br>رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا<br>كَمِيْعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي<br>هُدًى فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ | ١٢٣-١٢٠   | طه       |
| ١٠٨    | وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ  | ١١٧       | الأنبياء |
| ٢٢     | ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي<br>كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا<br>يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴿٢٢٧﴾  | ٢٢٦-٢٢٤   | الشعراء  |

# المصادر والمراجع

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم .

١. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين : محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م .
٢. أحمد شوقي حياته وشعره : كمال أبو مصلح ، المكتبة الحديثة ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م .
٣. أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : فوزي العطوي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م .
٤. الأدب العربي المعاصر في مصر : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة عشرة .
٥. أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق / عبد الحميد هندواي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م .
٦. إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية : سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ، مطابع الجيزة ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م .
٧. الأسلوب : أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٧٦م .
٨. أسواق الذهب : أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، مطبعة الهلال ، مصر ١٩٣٢ .
٩. الأعلام : خير الدين بن محمود بن فارس الزركلي الدمشقي(ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين- بيروت ، الطبعة الخامسة عشرة ، ٢٠٠٢م .
١٠. أمالي الزجاجي : لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي ، تحقيق / عبدالسلام هارون ، دار الجيل - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م .
١١. أمير الشعراء أحمد شوقي : محمد الطاهر الزنكلوني ، مجلة الأزهر - القاهرة ، الجزء العاشر ، يوليو ١٩٨٦م .
١٢. البديع في شعر شوقي : منير سلطان ، المعارف ، الإسكندرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢م .
١٣. تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ج ١ .
١٤. تاريخ ابن خلدون : ابن خلدون ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م .

١٥. تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة : فتحة دخموش ( رسالة ماجستير ) جامعة منتوري .
١٦. تحليل الخطاب الشعري : محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢ م .
١٧. التناص : مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية ، د. أحمد الزعبي ، مكتبة الكتاني، الأردن، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م .
١٨. التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر : حسن البنداري ، عبد الجليل صرصور ، علة ثابت ، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ، ٢٠٠٩ ، المجلد ١١ ، العدد ٢ .
١٩. جمهرة أشعر العرب : لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق / علي محمد الباجي ، نهضة مصر - القاهرة ١٩٨١ م .
٢٠. الحماسة الشجرية : ابن الشجري ، تحقيق / عبد المعين الملوحي و أسماء الحمصي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٠ م .
٢١. الحنين إلى الأوطان : لأبي عثمان الجاحظ ، دار الرائد العربي - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ م .
٢٢. الحنين في الشعر الزنكي والأيوبي: مي إبراهيم عمرو ، رسالة ماجستير من جامعة الخليل ٢٠١١ م .
٢٣. الحنين والغربة في الشعر العربي : د. يحيى الجبوري ، دار مجدلاوي ، عمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨ م .
٢٤. الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل - بيروت، ١٩٩٦ .
٢٥. الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية : عبدالإله الصائغ ، الدار البيضاء-بيروت :المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م .
٢٦. الخطيئة والتكفير -من البنيوية إلى التشرحية - قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر: عبد الله الغدامي ، النادي الثقافي الأدبي - جدة ، ١٩٨٥ م ، ط ١ .
٢٧. دراسات في النقد الأدبي : د. حماد أبو شاويش ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ١٩٩٩ م



٢٨. دراسة عن شوقي : شفيق جبيري ، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع ، الطبعة الأولى - ١٩٩٧ م .
٢٩. دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، قراءة و تعليق : محمود شاکر ، مكتبة مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢ م .
٣٠. ديوان ابن خفاجة الأندلسي : تحقيق / عبد الله سنده ، دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦ م .
٣١. ديوان أبي سلمى عبد الكريم الكرمي : دار العودة - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨ م ، ص ١٧٣ .
٣٢. ديوان أبي فراس الحمداني : تحقيق / خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٤ م ، ص ٢٥٢ .
٣٣. ديوان أحمد شوقي ( الشوقيات ) : تدقيق محمد فوزي حمزة ، الطبعة الثانية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ٢٠١٢ م .
٣٤. ديوان البحترى : تحقيق / حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف - القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٤ م .
٣٥. ديوان المتلمس الضبعي : تحقيق حسن الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ م .
٣٦. ديوان النابغة الذبياني : ت/ عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٦ م .
٣٧. ديوان امرئ القيس : تحقيق / عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٤ م .
٣٨. ديوان جرير : جرير بن عطية العامري ، دار بيروت للطباعة - بيروت ، ١٩٨٦ م .
٣٩. ديوان حافظ إبراهيم : ضبطه وشرحه ، احمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧ م .
٤٠. ديوان طرفة بن العبد : تحقيق / مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٢ م .
٤١. ديوان مالك بن الريب : تحقيق / د. نوري حمودي القيسي ، مجلة معهد المخطوطات العربية" مج ١٥ ، ج ١ .
٤٢. ديوان محمود سامي البارودي : تحقيق / علي الجارم ومحمد شفيق معروف ، دار العودة - بيروت ، ١٩٩٨ م .

٤٣. ذكرى الشعراء ( شاعر النيل وأمير الشعراء ) : أحمد عبيد ، المكتبة العربية ، دمشق، الطبعة الأولى .
٤٤. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي : تحقيق : عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
٤٥. سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م .
٤٦. شرح اللزوميات : لأبي العلاء المعري ، تحقيق / زينب القوصي - وفاء الأعصر - سيدة حامد - منير المدني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م ، ج ٣ .
٤٧. شرح ديوان أبي تمام : الخطيب التبريزي ، تحقيق / راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٩٤ ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .
٤٨. شرح ديوان عنتر بن شداد : الخطيب التبريزي ، تحقيق : مجيد طراد ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م .
٤٩. شعر شوقي الغنائي والمسرحي : طه وادي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٥م .
٥٠. شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السابعة .
٥١. الشوقيات المجهولة : محمد صبري ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ج ١ ، ١٩٧٩م .
٥٢. الصحاح : لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩م .
٥٣. صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٥٤. الصورة البيانية في كتاب روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي البروسوي : إلهام حرارة ( رسالة ماجستير ) الجامعة الإسلامية - غزة ، ٢٠١٣م .
٥٥. الصورة في الشعر العربي : على البطل ، دار الأندلس - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م .
٥٦. الصورة والبناء الشعري : محمد حسن عبد الله دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨١م .

٥٧. ظاهرة التناقص في الشوقيات ، مهند عباس زكي ، رسالة ماجستير ، الجامعة العراقية - بغداد، ٢٠١١ م .
٥٨. ظواهر عروضية من الشوقيات ، محمد عبد المجيد الطويل ، مجلة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤ م .
٥٩. عشرون من شعراء المنافي والسجون : أحمد سويلم ، دار الطلائع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١ م .
٦٠. علم البديع : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان .
٦١. علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩ م .
٦٢. علم النص : جوليا كريستيفا ، تر/ فريد الزاهي ، مراجعة / عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ م .
٦٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل - بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١ م .
٦٤. الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : فاطمة صحصح ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ .
٦٥. الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المساة : د. أمين العمصي ، جامعة قاريونس - بنغازي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م .
٦٦. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق/ يوسف النبهاني ، دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .
٦٧. فن الشعر: إحسان عباس ، دار صادر- بيروت، دار الشروق- عمان، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ م .
٦٨. في النقد الأدبي ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الرابعة، ١٩٦٧ م .
٦٩. القرآن والصورة البيانية : د. عبدالقادر حسين ، عالم الكتب - بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م .
٧٠. اللزوميات : لأبي العلاء المعري ، تحقيق / أمين عبد العزيز الخانجي ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ج ٢ .

٧١. لسان العرب لابن منظور : دار صادر - بيروت ، الطبعة الأولى .
٧٢. المنتبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة : عباس حسن ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥١ م .
٧٣. المجال النفس اجتماعي العربي : د. عباس مكي ، معهد الإنماء العربي - بيروت ، ١٩٩١ م .
٧٤. محاضرات في العروض والقافية : د. علاء إسماعيل الحمزاوي ، دار التيسير للطباعة والنشر بالمنيا ٢٠٠٢ م .
٧٥. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : عبد الله الطيب ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٩ م - ١٤٠٩ هـ .
٧٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٣ م .
٧٧. المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المكتبة الإسلامية ، استانبول .
٧٨. مقدمة القصيدة عند شعراء مدرسة الإحياء والبعث : عبد العزيز الثبتي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٠ م .
٧٩. المكان في الشعر الأندلسي : محمد الطربولي ، دار الرضوان ، عمان ، الطبعة الأولى .
٨٠. من أعلام الفكر والأدب في التراث العربي : محمد جواد النوري ، مطبعة الشرق العربية ، القدس - شعفاط .
٨١. منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني ، تحقيق / محمد الحبيب بن الخوجة ، دار المغرب الإسلامي - بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٦ م .
٨٢. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي ، تحقيق / د. عبد الله المحارب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ م .
٨٣. موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٢ م .
٨٤. نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، تحقيق / د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية - بيروت .

# فهرس المحتويات

| الموضوع                               | الصفحة |
|---------------------------------------|--------|
| الإهداء                               | ب      |
| شكر وتقدير                            | ج      |
| ملخص البحث                            | د      |
| المقدمة                               | ١      |
| أولاً : المولد والنشأة :              | ٧      |
| ثانياً : حياته التعليمية :            | ١٠     |
| ثالثاً : حياته السياسية :             | ١٣     |
| رابعاً : مكانته الأدبية :             | ٢١     |
| خامساً : شوقي في ميزان النقد:         | ٢٥     |
| سادساً : وفاته :                      | ٢٦     |
| الغربة في شعر أحمد شوقي               | ٢٩     |
| المبحث الأول : الغربة لغة واصطلاحاً : | ٢٩     |
| المبحث الثاني : بواعث الغربة :        | ٣١     |
| العامل السياسي :                      | ٣٧     |
| العامل الاجتماعي :                    | ٣٩     |
| العامل النفسي :                       | ٤٠     |
| العامل الثقافي :                      | ٤٣     |
| المبحث الثالث : أنواع الغربة :        | ٤٤     |
| الغربة الداخلية : ( الاغتراب ) :      | ٤٤     |

|     |   |
|-----|---|
| ٥٥  | _____ : الغربة الخارجية :                             |
| ٦٤  | _____ الحنين في شعر أحمد شوقي                         |
| ٦٥  | _____ : المبحث الأول : الحنين لغة واصطلاحاً :         |
| ٦٥  | _____ : أولاً : الحنين لغة :                          |
| ٦٦  | _____ : ثانياً : الحنين اصطلاحاً :                    |
| ٧١  | _____ : المبحث الثاني : الحنين في شعر أحمد شوقي :     |
| ٧١  | _____ : المطلب الأول : الحنين إلى الوطن :             |
| ٨٩  | _____ : المطلب الثاني : الحنين إلى الأهل والأصدقاء :  |
| ٩٩  | _____ : المطلب الثالث : الحنين إلى الذكريات الماضية : |
| ١٠٦ | _____ : المطلب الرابع : الحنين الديني :               |
| ١١٥ | _____ : المطلب الخامس : الحنين إلى المكان :           |
| ١٢٢ | _____ : المطلب السادس : الحنين إلى المحبوب :          |
| ١٣٠ | _____ الدراسة الفنية                                  |
| ١٣٠ | _____ : المبحث الأول : الأسلوب :                      |
| ١٣٧ | _____ : التناسق :                                     |
| ١٤٣ | _____ : الأساليب الإنشائية الطليبية :                 |
| ١٥٣ | _____ : المبحث الثاني : الصورة الشعرية :              |
| ١٥٤ | _____ : أولاً : الصورة البيانية :                     |
| ١٥٤ | _____ : ١- التشبيه :                                  |
| ١٥٦ | _____ : ٢- الاستعارة :                                |
| ١٥٨ | _____ : ٣- الكناية :                                  |
| ١٥٩ | _____ : ثانياً : الصورة الحسية :                      |
| ١٥٩ | _____ : ١- الصورة البصرية :                           |
| ١٦١ | _____ : ٢- الصورة السمعية :                           |
| ١٦٢ | _____ : ٣- الصورة الشمية :                            |
| ١٦٣ | _____ : ٤- الصورة الذوقية :                           |
| ١٦٤ | _____ : المبحث الثالث : الموسيقى :                    |
| ١٦٥ | _____ : المطلب الأول : الموسيقى الخارجية :            |
| ١٦٥ | _____ : ١- الوزن :                                    |

|     |                                     |
|-----|-------------------------------------|
| ١٦٧ | ٢- القافية :                        |
| ١٦٩ | المطلب الثاني : الموسيقى الداخلية : |
| ١٦٩ | ١- التصريح :                        |
| ١٧٠ | ٢- التكرار :                        |
| ١٧٤ | ٣- الطباق :                         |
| ١٧٥ | ٤- المقابلة :                       |
| ١٧٦ | ٥- الجناس :                         |
| ١٧٦ | ٦- التقسيم :                        |

١٧٨ **الخاتمة**

١٨٠ **فهرس الآيات**

١٨٢ **المصادر والمراجع**

١٨٨ **فهرس المحتويات**